

محاضرات في اللغة

القسم الأول

منهج في دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية
ودراسة أصواتها ومفرداتها وقواعدها

دكتور عبد الرحمن لون

M. A. Ph. D. Lon

استاذ مساعد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
ومنتدب لتدريس بجامعة بغداد

١٩٦٦

ساعدت جامعة بغداد في نشر هذا الكتاب

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٦/٥/٢٥

893.72
Auf 99

كتب أخرى للمؤلف

V.1

- ١ - الجزء الفعلي في اللهجة المصرية (بالإنجليزية) بحث لنيل الماجستير من جامعة لندن ١٩٤٩
- ٢ - النظام الفعلي في اللغة التوبية (بالإنجليزية) بحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن ١٩٥٢
- ٣ - اللغة بين الفرد والمجتمع القاهرة ١٩٥٤
- ٤ - دراسات نقدية في التحو العربي القاهرة ١٩٥٧
- ٥ - أصوات اللغة القاهرة ١٩٦١
- ٦ - التطور المغوي القاهرة ١٩٦٣
- ٧ - الفي في العربية - بحث نشر في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد ١٩٦٥
- ٨ - الشكل والمضمون في التعبير المغوي - مقال بمجلة الاقلام ، بغداد ، كانون الثاني ١٩٦٦
- ٩ - سيوية والمذهب الشكلي - بحث نشر في مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد ١٩٦٦
- ١٠ - الشرق الادنى مجتمعه وثقافته - مترجم عن الانجليزية ، مشروع الالف كتاب - القاهرة
- ١١ - كون تيكي - مترجم عن الانجليزية ، مشروع الالف كتاب - القاهرة
- ١٢ - الاسلام والاشتراكية - مترجم عن الانجليزية بتكليف من وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العربية المتحدة

كلمة للمؤلف

كان المفروض أن تشمل هذه المحاضرات على المنهج الدراسي الذي يوضع نصب عيني أكمله في تدريس مادة فقه اللغة لطلاب كلية الشريعة بجامعة بغداد ، إلى جانب عدد من الابحاث التطبيقية المتصلة بما في هذا المنهج من مبادئ لدراسة أصوات اللغة ومفرداتها وقواعدها . ولكن ظروف الطباعة والدراسة مما قد فرضت على أن اقتصر في القسم الأول من هذا المؤلف على المبادئ التي شملها المنهج ، وأن أخص بقية الابحاث التطبيقية قسما آخر أرجو أن يتاح له الفضول في المستقبل .

وقد حرصت على أن أتجنب التفاصيل النظرية في هذه المحاضرات وأن أربط ما قد أ تعرض له من أمور نظرية باللغة العربية الفصحي بولهجاتها . وفي رأيي أن علم اللغة الحديث لن يفهم حق الفهم إلا في نطاق مادة لغوية من لغة من يدرسونه . ومن أجل هذا فإنه من الواجب علينا أن نتطور بالمشاكل اللغوية القديمة وأن نعالجها وفق المنهج الحديث ، بدلا من أن ننجأ بترجمة كتب اللغة ترجمة تحافظ على امتلتها اللاتينية والاغريقية كما لو كانت نصوصا مقدسة . وليس ثمة من شك في الفائدة الكبرى التي تجنيها الدراسات اللغوية العربية من نقل الأفكار الجديدة التي تقول بها المدرسة اللغوية المعاصرة في أوروبا وأمريكا ، ولكن الامر الذي ينبغي ألا تتجاهله هو أن علينا تعریف هذه النظريات بعرضها في نطاق المادة العربية .

وأنا حين أقدم هذا العمل المتواضع للقارئ العربي ، أرجو أن أكون قد قمت بجهد متواضع في سبيل استعادة الثورة الفكرية الجبار التي كانت لامتنا العربية في عصور ازدهارها .

وانني في النهاية لأنتقدم بالشكر إلى المسؤولين في جامعة بغداد لموتهم الكريمة في اخراج هذا المؤلف .

مايس (مايو) ١٩٦٦

بغداد :

١٢٦

٢١٦

المدخل

فقه اللغة وعلم اللغة

نشأة اللغة وماهيتها

اللغة والمجتمع

العائلات اللغوية

اللغة العربية

« فقه اللغة وعلم اللغة »

لابد لنا بادئء ذي بدء من ايضاح بعضاللبس الذي يحيط بعبارة « فقه اللغة » فالبعض يستعملها للإشارة الى نوع من القواميس التي تجمع المفردات على أساس دلالي ، والبعض يستعملها عنوانا للدراسات اللغوية الخاصة باللغة العربية ، والبعض الآخر يستعملها للدراسات التقوية العامة التي يطلق عليها اسم « علم اللغة » ٠

هذا نوع مناللبس يجب أن يتضح ، ولكن لابد الى جانب توضيحه من معرفة مبررات وجود هذا العلم مستقلا عن علوم اللغة الأخرى من صرف ونحو وبلاغة وعروض وقاموس ٠ هل هذا العلم شيء آخر غير هذه العلوم التقوية ، حتى يصح أن يستقل عنها ؟ أم هو نوع من اعادة بعض اجزاء هذه العلوم ومن ثم فلا حاجة لنا به ؟ ٠

أما فيما يتعلق بالأمر الاول فاننا نجد عبارة « فقه اللغة » عنوانا لبعض المؤلفات القديمة والحديثة التي لا تعدو أن تكون – كما أشرنا – مجرد قواميس دلالية مثل كتاب (فقه اللغة) للشاعبي المتوفى سنة ٢٩٤هـ وكتاب « الأفصاح في فقه اللغة » وهو من تأليف استاذين معاصرین^(١) ٠

أما استعمال العبارة عنوانا للدراسات اللغوية العربية بمعناها العام فمثاليه كتاب « فقه اللغة » للعالم المعاصر الدكتور علي عبدالواحد وافي^(٢) ٠ وأخيرا شاع استعمال العبارة في الجامعات العربية لمعنى مرة دراسة علم

(١) هما الاستاذان عبدالفتاح الصعيدي وحسن يوسف موسى ٠

(٢) للدكتور وافي مؤلفان أحدهما خاص بدراسة النظريات العامة للغات وقد أطلق عليه اسم « علم اللغة » وثانيهما خاص بعرض سريع للغات السامية يعقبه تفصيل لدراسة العربية وسماه « فقه اللغة » ٠

اللغات العام ومرة اخرى دراسة بعض الظواهر اللغوية الخاصة باللغة العربية^(٣)

والحق ان جهود اللغويين القدماء كانت واسعة الافق متوعة الاتجاهات . وكان من مظاهر هذا التنوع عدم الاقتصار على جمع مفردات اللغة فيما يسمى بالقواميس وعلى دراسة علوم القواعد العربية من نحو وصرف وبلاغة ، بل كان هناك عمالان مكملان دخلا فيما بعد في نطاق ماسمهما البعض بفقه اللغة وهمما : -

أولا - القواميس الدلالية ، وهذه تختلف عن القواميس المألوفة لنا في أنها لا ترتيب المفردات حسب حروفها الهجائية بل حسب اشتراكتها في مدلول أو آخر . كأسماء الانوف « الانوف » أو « الشفاه » اذ يقرر التعالبي ان الشفة للإنسان والمنسر للجراح والمنقار للطير الخ . وان الانف للإنسان والخرطوم للفيل والمخطم للبعير الخ^(٤) .
وهذه المؤلفات على نوعين : -

[١ - رسائل في طوائف خاصة من الألفاظ والمعاني ككتاب أبي حنيفة في الانواء والنبات ، وكتب يعقوب في النبات والاصول والفرق وكتب أبي حاتم في الاذمنة والحضرت والطير ، وكتب الاصمعي في الدارات والسلاح والابل والخيل والشام وأسماء الوحش والنبات والشجر والتلخ والكرم والمشترك اللغظي ، وكتب أبي قتيبة في الرحل والمنزل والبن ، وكتب ابن دريد في صفات السرج واللجام والسيحاب والغيث ؛ وكتاب الفيروزبادي في الترافق (الروض المألوف فيما له اسمان الى الوف) وكتاب ابن خاوليه

(٣) تدرس هذه المادة في كليات الآداب بالجامعات المصرية وتسمى « فقه اللغة » وفي كلية دار العلوم ظل هذا الاسم مستعملا حتى الخمسينيات حيث استعمل اسم « علم اللغة » الى جانبها .

(٤) انظر ص ١٦٥ ، ١٦٦ فقه اللغة للتعالبي - القاهرة - ١٩٣٨

في أسماء الاسد وأسماء الحية ، وكتاب أبي هلال العسكري في الالفاظ التي تطلق على بقایا الاشياء (المعجم في بقایا الاشياء) والكتب التي الفت في الاضداد (الالفاظ التي تطلق على الشراء وضده) لقطرب والحسن بن محمد بن الحسن الصفاني وابن السكیت وأبی بکر بن الانباري وأبی البرکات ابن الانباري وعبد الله بن محمد التوّزی وابن الدهان وابن درستويه ، والمعجمات الفلسفية والعلمية وما اليها ککشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي والتعريفات للجرجاني والکلیات لابی البقاء ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع لعبد الله بن العسكري الاندلسي المتوفی سنة ٤٨٧ هـ وہلم جرا ٠٠

وهذا النوع من المعجمات كان أسبق في الظهور من النوع الآتي فقد ظهر بعض كتب منه في فاتحة العصر العباسی ٠

٢ - معجمات ترمي الى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعانی فترتب المعانی بطريقة خاصة وتذكر الالفاظ التي تقال للتعبير عن كل معنی فيها ، فتجد أبوابها مرتبة على نحو هذا الوضع : خلق الانسان ، الحمل والولادة ، الرضاع والفطام ، الغذاء السيء للولد ، أسنان الاولاد وتسميتها في المراحل المختلفة ، شخص الانسان وقامته وصورته ، صفات الرأس ، قلة الشعر وتفرقه في الرأس ٠٠٠ وہلم جرا ، وتذكر في كل باب المفردات التي تعبّر عن موضوعه مرتبة ترتیبا خاصا ومبينة مدلولاتها ومواطن استعمال كل منها ٠

وهذا القسم من المعجمات يرجع اليه كل من يعرف معنی ما ويرغب في الوقوف على الالفاظ الموضوعة له ٠

ومن أشهر ما ألف من معجمات هذا القسم خمسة كتب احدهما « كتاب الالفاظ » لابن السكیت (١٨٦-٥٤٤) وهذا أقدم مؤلف من هذا النوع وثانيها « الالفاظ الكتابية » للهمذاني (المتوفی سنة ٢٣٧ هـ) وثالثها

« مبادئ اللغة » للإسكافي (المتوفى سنة ٤٤١ هـ) ورابعها « فقه اللغة » للنثالي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) في مجلد صغير واحد • وخامسها المخصص لابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) في سبعة عشر جزءاً وهو أدتها وأحسنها تنسيقاً وأكثرها استيعاباً لمسائل البحث^(١) [

ثانياً - أبحاث عامة لا صلة لها بقواعد اللغة مثل شأة اللغة عند الإنسان وهل كانت بطريق التوقيف أو الالهام وترادف الالفاظ وتضادها واقترانها من لغات أخرى الخ • وقد الفت كتب خاصة لبعض هذه الموضوعات مثل كتاب « الاضداد » لابن الأنباري وكتاب « الاضداد » للاصمعي ومثل « شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي و « المعرف من الكلام العجمي » لابي منصور الجواليقي • كما خصصت أبواب لهذه الموضوعات في كتاب « الخصائص » لابن جنبي • و « المزهر » لمسيوطي وسواهما • وكانت اللغة العربية بطبيعة الحال مادة المناقشة في كل هذه الابحاث •

ومثل هذه القواميس الدلالية وما قد تتضمن من هذه الابحاث اللغوية العامة تكون ما سماه علماء اللغة العرب قديماً وحديثاً بعلم « فقه اللغة » •

★ ★ *

والاليوم تستعمل الى جانب عبارة « فقه اللغة » عبارة اخرى هي « علم اللغة » أو لفظ « لغويات » وهم ترجمة « Linguistic Science » و على التوالي •

وتسمية هذه الدراسة بعلم اللغة تسمية تمشي مع أسماء عدد كبير

(١) النص منقول من « فقه اللغة » للدكتور علي عبدالواحد وافي - الطبعة الرابعة ١٩٥٦ - القاهرة - ص ٢٧٥ - ٢٧٧

من الدراسات الحديثة مثل «علم الاجتماع» و «علم النفس» و «علم الاحياء» .
الخ . وهي أسماء ترجمت عن "biology" ، psychology" ، sociology" .
وهي تنتهي باللاصقة "logy" و معناها باللاتينية «علم» أو «معرفة» .
هذا ما يتعلق بالتسمية . أما مفهوم «علم اللغة» فهو أوسع نطاقاً من المفهوم
الذى استعملت له عبارة «فقه اللغة» .

و «فقه اللغة» بالمعنى الذي استعمله فيه العرب قديماً وحديثاً دراسة
محدودة المكان والزمان . وذلك لأن علماء العربية ، كانوا يركزون كل
اهتمامهم على العربية الفصحى ، وهي لغة مكان معين – هو المنطقة التي
كانت تسكنها قريش من جزيرة العرب – سادت في زمان معين – هو على وجه
القرب القرن السابق للهجرة والقرن الأول منها . وقد كان اللغويون
العرب لا يرتكبون النصوص التي تنقل عن بعض القبائل العربية في عصر الجاهلية
و مصدر الاسلام والنصوص التي تنقل عن العرب في العصر العباسي مثلاً ،
أساساً لوضع قواعد اللغة الفصحى .

وهكذا كان مقياس الصواب اللغوي عند علماء اللغة العرب محدوداً
في نطاق هذا المكان وهذا الزمان .

أما علم اللغة الحديث فانه لا يفرق بين الظواهر اللغوية لمجرد
اختلافها في الزمان أو المكان ، فما يتحدث به العراقيون اليوم أو من الف
عام وما يتحدث به المصريون أو السوريون أو السودانيون . . . الخ أو
تحدثوا به في الماضي ، كل هذا داخل في النطاق اللغوي الواسع الذي
يسمى بالعربية .

كذلك كان علماء اللغة العرب يتحاشون جمع النصوص اللغوية التي
ينطق بها جفاة الاعراب ويتحرون اختيار نصوص طبقة اجتماعية بعينها تتمثل
في قبيلة أو طائفة بعينها . ولكن علم اللغة الحديث يهتم بلغة الاجلاف كما

يهم بلغة التمدين • وذلك لأنه يدرس النشاط الانساني الذي يسمى لغة •
وهو نشاط يقوم به الحضري والريفي والرفيع والوضع على حد سواء •
وقد تعرض علماء اللغة العرب للهجرات العالمية لا لدراسة ظواهرها
بل لتحذير المتعلمين من استعمال ما يشيع منها • أما علم اللغة الحديث
فأنه يجد في الهجرات ميدانا خصبا لدراسة الظواهر اللغوية وتوزيعها
جغرافيا في الوطن اللغوي ، ويحاول تفسير ظاهرة لغوية في مكان ما
بوجودها أو انعدامها في مكان آخر من الوطن اللغوي •

ومن الطبيعي أن يهتم العالم اللغوي العربي بلغته العربية • ولكن عالم
اللغة الحديث لا يقف عند لغته وحدها بل انه يدرس الظاهرة ، ولتكن
الاسناد مثلا ، في لغته العربية ويقارنها بنفس الظاهرة في اللغات التي تتصل
بالعربية كالعبرية والسوريانية والجبيشية ، فيدرك تطور الظاهرة في هذه
اللغات ، أو يقارنها بنفس الظاهرة في لغات لا صلة لها بالعربية مثل لغة الملايو
أو لغة بلاد النوبة فيرى مظهاها جديدا للظاهرة يختلف عن مظهاها في
لغته وفيما يتصل بها من لغات •

• والاتجاه المعاصر في النظر الى اللغة يتلخص في اثنين أولهما
النظرية العلمية الوصفية اليها ، وثانيهما اعتبار المسائل التاريخية اللغوية
دراسة لا تتأثر بالاعتبارات الوصفية ولا تؤثر فيها •

أما الامر الاول فيشمل دراسات تتعلق باللغة وان كانت في صميمها تدخل
في نطاق علوم اخرى وذلك مثل دراسة الجواب الاجتماعية والنفسية
للنظام اللغوي ودراسة اللغة وعلاقتها بالواقع الخارجي مما يدخل في
صميم الدراسات الفلسفية • ويشمل هذا الامر أيضا دراسة اللغة ذاتها
باعتبارها نظما صوتية وتركيبية اى من ناحيتها تركيب الالفاظ من أصوات
ومقاطع ومن اصول ولو اسق ٠٠٠ الخ وتركيب الجمل واجزاء الجمل .

• من مفردات •

أما الامر الثاني وهو دراسة المسائل اللغوية من جانبها التاريخي
فيشمل دراسة تاريخ أصوات اللغة وتاريخ مفرداتها وتاريخ تراكيتها
النحوية •

وإذا كان الامر الاول قد حظى باهتمام اللغويين العرب فان الامر
الثاني لم يحظى منهم بأي انتباه وذلك فيما عدا ما ذكروه من تركيب بعض
المفردات كأداة النفي « لم » وهي مركبة من « لا » و « ما » •

وتخلف الدراسات اللغوية الحديثة عن الدراسة القديمة في انها
وصفية احصائية وهي بهذا تنهي منهج مختلف العلوم الحديثة كالطبيعة
والفلك وبالاخص منهج العلوم الاجتماعية • وتقوم النزعة الوصفية في
الدراسات الحديثة على الملاحظة وتجميع المادة وتبويتها حسب صفاتها
المادية لا حسب التقسيمات العقلية التي يقترحها الباحث قبل علاج مادته •

وعلم اللغة بهذا الاعتبار كذلك ينظر للظاهرة ويبتها احصاءً ووصفاً
في اللغة الفصحى ولهجاتها المختلفة مهما عظم شأنها أو قل • ثم هو لا يلجم
للتلخيص أو الاختصار رغبة في تسهيل معرفة القواعد على الدارسين بل انه
يتبع الظاهرة بكل تفاصيلها لمعرفتها في ذاتها ومحاولة الوصول الى نظرية
عامة تربطها بسوها من ظواهر اللغة نفسها أو من الظواهر المماثلة لها
في مختلف اللغات حتى يمكن وضع نظرية انسانية عامة تصدق على هذا
النشاط الانساني المسمى لغة •

هذا اختلاف بين اللغويين القدماء والمحدثين في مجال البحث ، يوجد
إلى جانبه اختلاف في منهج البحث أيضاً •

كان منهج اللغويين القدماء يعتمد على النقل عن العرب وعلى تطبيق
بعض الاحكام المنطقية على اللغة ، فتقسيم الكلمة الى اسم و فعل وحرف

تقسيم متأثر بالمنطق ، ونظرية الجملة متأثرة بنظرية القضية المنطقية والعلل
التي يوردها المخاطة دائمًا على عقلية .

وعلم اللغة من وجهة نظر أخيرة علم عام يتعاون مع مختلف
العلوم العامة في محاولة كشف هذا السر الضخم الذي يسمى بالإنسان .
 فهو يقدم مكتشفاته إلى عالم النفس وعالم الاجتماع والفيلسوف ليبدأ من
حيث يتنهى . فنظرية الرمزية اللغوية ميدان مشترك بين علم اللغة وعلم
النفس . ونظرية الطرف الاجتماعي ميدان مشترك بين علم اللغة وعلم
الاجتماع . ومشكلة المعنى (semantics) ميدان مشترك بين علم اللغة
والفلسفة . وكذلك الأمر بالنسبة لعلم اللغة التاريخي إذ أنه إلى حد كبير
يعطي جانباً لا تشمله نظريات التطور البيولوجي . ويدرك من يدرس
تاريخ لغة من اللغات كيف تتشابه الاتجاهات التطورية اللغوية والاتجاهات
التطورية البيولوجية . وإذا كانت الأخيرة تدرس التطورات المادية في
الحيوان والانسان فإن الأولى تدرس تطورات ظاهرة هامة من ظواهر
النشاط العقلي الإنساني . وعلم اللغة التاريخي كذلك يخدم الدراسات
التاريخية العامة ، فلم يعد مجال علم التاريخ مقتصرًا على الأحداث السياسية
فحسب بل لقد شمل كذلك مظاهر الحياة العامة بجانبها العقلي والمادي .
وهنا يجد الباحث التاريخي في مفردات اللغة ومعانيها والتطورات التي
مرت بهذه وتلك وما تكشف هذه التطورات من ملابسات اجتماعية أو
نفسية ، يجد الباحث التاريخي هنا مادة لا تقل في قيمتها عما يجد في
خرائب المتقين عن الآثار ومبانيهم .

كل هذا من الجانب النظري ، ولكن لعلم اللغة الحديث جوانب
تطبيقية نشير في اختصار لبعضها : -

١ - تعلم اللغة . تأثرت طرق تدريس اللغة أخيراً بالمدرسة اللغوية
التحليلية المعاصرة وأخذ المربيون يوصون بضرورة استعمال النماذج

التركيبة في تعلم اللغات بدلاً من شرح قواعة فلسفية لا تقوم على أساس منطقي سليم ولا يكاد الطالب يدرك ما ترمي إليه ، وبدلاً من التعليقات والتأملات التي يضجع منها الجميع بالشكوى ٠ وبعبارة أخرى ينادي المربون بدراسة ميكانيكية اللغة وهي دراسة لابد أن يسبقها تحليل شكلي للغة ٠

٢ - أجهزة التفكير والترجمة (computors) هنا يتعاون علم اللغة مع الهندسة الميكانيكية والالكترونية ٠ وبفضل هذا التعاون أمكن اختراع أجهزة لترجمة نصوص كتبت بلغة ما إلى لغة أخرى ٠ والجانب الميكانيكي هنا من عمل المهندس فهو الذي يصل بين جزء الآلة الذي يتلقى اشارة ما وجزئها الذي يتبع أثراً معيناً نتيجة للاشارة التي تلقاها ٠ ولكن عالم اللغة التحليلي هو الذي يقدم للمهندس المفردات والتركيبيات في اللغة الأولى ونظائرها في اللغة الثانية ٠ وعالم اللغة هنا كصانع الطوب والمهندس كالمهندس لابد من تعاونهما الكامل حتى يتم البناء ٠

ونحن في هذا المجال لن نتعرض لكل هذه الجوانب ولكن هدفنا الآن هو أن نبين الفرق بين الاتجاه التقليدي في الدراسات اللغوية واتجاهنا نحن ٠ وقد نتعرض لبعض قضایا النحو أو الصرف أو القاموس ، ولكننا ستتعرض لها من ناحية المنهج لا من ناحية المادة وتفاصيلها ٠ كما قد تتعرض لبعض القضایا الاجتماعية أو التطورية ولكننا ستتعرض لها بمقدار ما تلقي على الحقائق اللغوية من أصواتاً ٠

«نشأة اللغة عند الإنسان»

شغل موضوع نشأة اللغة عند الإنسان أذهان المفكرين من أقدم العصور ، فقد تعرضت الكتب السماوية لقضايا الألفاظ فنص الانجيل على أن الكلمة كانت أول ما خلق في الكون ٠ أما القرآن فيروي قصة آدم في الجنة وكيف ميزه الله على الملائكة باللغة حيث يقول تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » ٠ ولقد ثار جدل طويل بين منكري الأغريق حول نشأة اللغة عند الإنسان ، فقال فيثاغورس وأفلاطون والرواقيون من بعد بأن اللغة قد نشأت طبيعية حيث أنها استجابة للفطرة الإنسانية التي تفرض عليه حاجات مادية وعقلية لابد من وجود اللغة للوفاء بها ٠ أما ديموكيتس وارسطو والابيقريون فيقولون بأن اللغة رموز متواضع عليها بين أبناء الجماعة الواحدة ، اذ لو كانت اللغة فطرية بالمعنى الذي يقول به أفلاطون ومن معه لما اختلفت من جماعة إلى أخرى كما لا يختلف المشي أو الضحك أو البكاء أو غيرها من الأمور الفطرية باختلاف الجماعة ٠ هذه هي الصعوبة التي تثار في وجه الرأي الأول ٠ أما الرأي الثاني فليس أكثر موثيقا اذ أنه لابد من وجود وسيلة للتتفاهم بين أفراد الجماعة حتى يمكنهم أن يتقدموها على الألفاظ التي يضعونها للمدلولات المختلفة ٠ ولو وجدت هذه الوسيلة وكانت هي اللغة ٠ أو بعبارة أخرى نجد هذا الرأي يقتضي وجود لغة يتم بها التفاهم حتى يمكن الاتفاق الاجتماعي على ابتكار الألفاظ ، أي ان وجود اللغة سابق لهذا الاتفاق وليس الاتفاق هو الوسيلة التي تبتكر بها اللغة ٠ وعن الأغريق نقل علماء العرب هذين الرأيين وأكثروا الجدل حولهما^(١) ٠ وفي سياق

(١) انظر المزهر للسيوطى

تفسير الآية السابقة « وعلّم آدم الاسماء كلها » تحدث المفسرون واللغويون، عن طريقة تعليم الله آدم اللغة . هل التعليم يعني التلقين أم انه يعني مجرد الالهام ، أم ان الله قد علم آدم المسميات أي عرفه بالكون وما فيه ثم ترك لملكته التي أودعها فيه ابتكار الاسماء لهذه المسميات ؟

وتساءل من يقول بأن الله قد لقى آدم الاسماء عن اللغة التي علمها اياد ف قال قوم بأنها العربية وان عصياني آدم قد جعله ينسى العربية وتكلم السريانية ولكن آدم قد تاب وتاب الله عليه فتكلم العربية من جديد . و قال آخرون بأن الله قد علم آدم السريانية وعنها نشأت بقية اللغات . الانسانية الأخرى .

ومثل هذا القول يذكرنا برأي قال به بعض الاوربيين من ان الله كان يتكلم في جنات عدن اللغة السويدية وان آدم كان يتكلم اللغة الدينماركية وان الحياة التي أغرت آدم بالائم كانت تتكلم الفرنسية^(١) . والحق انه لا يمكن الاخذ بمثل هذه الآراء مأخذ الجد ، فمن الواضح ان هذه اللغات كلها لا يمكن أن يرجع تاريخها الى بدء نشأة الإنسان في الكون . وهذه اللغات لغات جماعات بعينها فكيف يمكن أن نصدق أن اللغة العربية أو السريانية أو السويدية أو سواها قد وجدت قبل وجود الجماعة التي تتكلمها ؟

ليس من شك في أن كل جماعة من الجماعات تعزز بلغتها وتصور انها خير اللغات . والعربي في عرف العرب أفضل لغات البشر والتركية عند الاتراك أو الفرنسية عند الفرنسيين كذلك أفضل اللغات . ومثل هذه الاحكام ليست أحکاما موضوعية بل ذاتية تصدر من شعور الشخص بلغته .

وـما فيها من ميزات تعبيرية يتوجه أنها لا توجد أو لا يوجد ما يناظرها في لغة أخرى .

وفي القرون الثلاثة الأخيرة نشط التفكير في اللغة وحظى موضوع نشأة اللغة بنصيب وافر من الفروض تتعرض هنا بعضها :-

١ - رأي أتباع دارون . قرر دارون أن الوظيفة تخلق المضو وأن فقدان الوظيفة يذهب بالمضو ، فمثلاً احتاج الإنسان إلى استعمال يديه للدفاع عن نفسه ، فقد حاول الامساك بقطعة من الحجر أو أغصان الشجر للدفاع عن نفسه ، وقد تطورت بسبب هذه الوظيفة يد الإنسان حتى تتمكن من أدائها فأصبحت أصابعها على ما تشاهده من المرونة . أما الدجاجة مثلاً فانها تحتاج لنفس التراب بحثاً عن الرزق ، كما يحتاج الارنب لمخالبه لحضر حجره . وقد تطورت الوظيفة بأصابع الدجاجة ومخالب الارنب بحيث أصبحا يؤديان الوظيفة المناظرة بهما على أحسن وجه .

وعلى هذا يفترض أتباع دارون أن الإنسان الأول كان يعبر عن حاجاته بالإشارة وانه استعمل في عصر متأخر حركات الفم والوجه للتعبير عن هذه الحاجات بدلاً من يديه التي كان يتصادف انهما مشغولتان بعمل من الاعمال . وقد تطور الفم بحيث أصبح أكثر ملاءمة لهذه الوظيفة وساهمت الاوتار الصوتية في هذا العمل فنشأت اللغة .

٢ - نظرية التقليد . هناك من قال بأن اللغة قد نشأت عند الإنسان بطريق التقليد فهو يسمع صوت الكلب « هو هو » أو « بو بو » فيطلق هذا الصوت اسمـاً لهذا الحيوان أو للعمل الذي يقوم به .

وقد يكون التقليد تقليداً لصوت طبيعي كالرعد أو سقوط جسم ثقيل أو سوى ذلك . والقائلون بهذه النظرية يلاحظون :-

٣ - وجود الفاظ في اللغات المعاصرة يلمح فيها بوضوح أثر التقليد

فبحن نقول في مصر «العصفور يصوّص» وفي العراق «العصفور يوصوّص» .
و «الكلب يهبه» و «القط ينون» والتشبه واضح بين ألفاظ هذه العبارات .
والصوت الذي نسمعه من هذا الحيوان أو ذاك . وجود هذه الألفاظ .
دليل على امكان نشأة اللغة عند الانسان بهذه الطريقة نفسها .

٢ - يلاحظ انه بالرغم من أن صوت الحيوان لا يتغير من مكان .
لآخر ، فان أبناء جماعة ما يقلدون هذا الصوت بشكل خاص يختلف عن .
الصوت الذي يقلده به أبناء جماعة اخرى . فبحن في مصر نقلد صوت .
القطة بقولنا « نو » أما في انجلترا فيقولون تقليداً له (مياو) . كذلك يقلد .
صوت الديك في الانجليزية باللفظ « كوكا دولدو » وفي الفرنسية باللفظ .
« كوكوريكو » وفي المصرية باللفظ « كوكوكوكوك » . ومعنى هذا انه .
بالرغم من اتنا جميعا نقلد صوتا واحدا الا أن كلاماً منا يقلده بشكل .
يختلف عن الآخر . وبهذا يفسر أصحاب هذه النظرية اختلاف .
لغة عن لغة اخرى مع اتحاد المصدر الذي نشأت عنه كل منهما .

٣ - نظرية صرخات الانفعال . يقول أصحاب هذه النظرية بأن .
الانسان يعبر تلقائيا عن الالم والسرور والخوف والتعجب وسواءها .
من الوان افعاله . ومثل هذا التعبير الفطري هو المظهر الاول من مظاهر .
اللغة الانسانية ، ومن الممكن أن تتصور أن تتطور هذه الصرخات الانفعالية .
فتتخد مظهاها خاصا عند كل جماعة يختلف عن مظهاها في باقي .
الجماعات .

* * *

هذه النظريات كلها مردودة اذ لا تستطيع واحدة منها تفسير نشأة .
اللغة تفسيرا مرضيا . وقد تفسر بعض هذه النظريات وجود بعض المفردات .
في اللغة مثل نظرية التقليد ، ولكن عدد هذه المفردات قليل جدا اذا ما قيس .
بمفردات اللغة جميعا .

وعلى فرض نجاح احدى هذه النظريات في تفسير نشأة مجموعة من المفردات ، فإنها أعجز من أن تفسر نشأة النظم التركيبية في اللغة ؟ اذ كيف تفسر مثلاً نشأة الاشتغال من مادة الفعل في العربية أو نصب الاسم في حالات ورفعه في أخرى أو غير ذلك من الخصائص اللغوية التي تتصف بها كل لغة .

والى جانب هذا يلاحظ أن جميع هذه النظريات لا يعتمد على مادة اللغوية قديمة بل أنها جمِيعاً لا تتجاوز الظن والتخيّل ، وهم لا يصلحان أساساً يقوم عليه العلم . ولو فرض ان قلت لك بأن العربية الفصحى في عهد النبي عليه السلام تنصب المثنى بالياء وترفعه بالالف ، لاستطعت أن أقدم لك الدليل المادي على هذه الدعوى من النصوص العديدة التي توجد بين يدينا . ولا يستطيع القائل بأى من هذه النظريات أن يقدم دليلاً كهذا الدليل ليثبت صحة نظريته . وذلك لأن هذه النظريات تحاول الكشف عن لغة الإنسان الأول ، أي أنها تحاول الرجوع إلى الوراء في أعماق التاريخ بما يتجاوز مئات الآلاف من السنين . وليس ثمة من أمل أو ظل من أمل في أن تُعثر على نقوش لغوية بقىت منذ هذه العصور السحيقة ؟ بل إن أقدم النصوص التي عثرنا عليها حتى الآن لا يتجاوز عمرها سبعة آلاف من السنين . ولا يمكن أن تتحذى هذه وسيلة للكشف عن لغة الإنسان منذ مئات المئات من آلاف السنين . ولاجل هذا قال بعض اللغويين بأن هناك وسيلة لمعرفة لغة الإنسان الأول وهو دراسة لغات الجماعات البدائية التي تعيش في عصرنا ودراسة لغة الطفل .

أ - لغات البدائيين - أصحاب هذه النظرية متأثرون بعلماء الثقافات (ethnologists) الذين يرون أن بعض القبائل البدائية التي تعيش في عصرنا هذا تشبه من الناحية الثقافية إنسان العصر الحجري ، فهم مثله يعيشون على الالتحاط والصيد ويستعملون الآلات الحجرية . وقد قاس

هؤلاء المغويون على هذا الرأي فقالوا بأن لغة هذه الجماعات تشبه لغة الانسان الاول وان دراستها ستعطينا فكرة عن اللغة الانسانية الاولى ٠

والواقع أنه لا يوجد في هذا العصر ما يمكن أن يسمى بالانسان البدائي ، صحيح ان بعض الجماعات الانسانية تعيش على اسلوب يختلف عن الاسلوب الذي تعيش عليه ٠ ولكن الذي لا شك فيه ان هذه الجماعات ليست سوى حلقة من سلسلة تاريخية طويلة ، وان لغاتها قد تطورت على مر العصور وبهذا لا يمكن أن تعتبر لغاتها المعاصرة مهما اختلفت عن لغاتها ممثلة للغة الانسان الاول ٠ بل لقد وجد ان كثيرا من اللغات التي تتكلمتها هذه الجماعات معقدة التراكيب دقيقة التعبير ، مع ان المفروض في اللغة الانسانية الاولى أن تتصف بالبساطة وعدم التعقيد ٠

ب - لغة الطفل - أصحاب هذه النظرية متاثرون بنظرية تسمى نظرية التلخيص يقول بها علماء الاحياء ٠ وهم يرون ان حياة الفرد تلخيص لحياة الجنس كله ٠ وأول دور من أدوار حياة الطفل هو بوبيضة الام وهي تشبه أول دور من أدوار الحياة الحيوانية أي دور المخلوق ذي الخلية الواحدة ، أو الاميا ٠ ولا تثبت البوبيضة أن تنقسم فيصبح الجنين قطعة من اللحم لا معاملا للخلقة فيها وهي بهذا تشبه الحيوانات ذات الخلايا المتعددة التي لا تتميز بتذكرة أو تأثير ٠ ثم يتميز الجنين بجنسه فيصير ذكرا أو اثني وهو بهذا يعيد مرحلة تالية من مراحل تطور الحيوان ٠٠٠ (١)

وقد قلد بعض المغويين هذه النظرية فقالوا بأن لغة الطفل تمر بنفس المراحل التطورية التي مرت بها اللغة الانسانية ٠ تبدأ حياته بالصراخ الذي لا يقصد به أي معنى وأثناء هذا الصراخ يتحرك لسانه وشفتاه فيفتح

(١) النظرية للفيلسوف هيكل وتسمى أيضا محاكاة الاصل ٠ انظر كتاب « تقسيم النبات » تأليف رأفت والقاضي وتوفيق القاهرة سنة ١٩٦٣ ص ٥٥٤ ٠

بعض الاوصوات كالباء والميم والباء والدال . وتسمعه امه فتفرح وتضمه لصدرها وتتادي أباء لأن الطفل قد نطق بلفظ « بابا » بمحض الصدفة وبتكرار هذه العملية يدرك الطفل قيمة الصوت فيستعمله في استدعاء امه أو طلب طعامه أو غير ذلك . وهنا يصبح صياغ الطفل لغة مقصودة ، حيث تشير أصواتا ذات دلالات معينة . وتطور لغة الطفل بنموده وبالحاج امه وأخواته عليه أن ينطق بالفاظ معينة مثل « بابا » « ماما » « كوتاه » « نونه » الخ . ويقلد الطفل هذه الاوصوات ويدرك معناها . وقد يعبر عن عبارة كاملة بجزء من أحد الفاظها فيقول « آب » وهي تعني « افتح الباب » وهكذا . ويقول أصحاب هذه النظرية بأن لغة الانسان الاول قد بدأت بصياغ لا معنى له ثم اكتسب هذا الصياغ معنى بفعل الظروف المحيطة بالانسان فأصبح لغة ، تماما كما حدث في حالة الطفل .

وبالرغم من أن هذه نظرية جذابة الا أنه ليس من الممكن أن توصف بالواقعية . ولا تزال هي الاخرى ضمن النظريات التي تعتمد على الظن والتخمين والتي لا يمكن أن ترتفق الى مستوى العلم .

* * *

هذه خلاصة لعدد من الآراء التي قيلت في تفسير نشأة اللغة وهي جمِيعاً كما ترى آراء لا تحظى بقدر كبير من القبول . ونحن الآن نتساءل « ما هو رأي علماء اللغة المعاصرین في نشأة اللغة اذن؟ »

لقد سبق أن قلنا انا ننوي في بحثنا الموجي منهج العلم في الاعتماد على الدلائل المادية حتى نقول برأي ما على سبيل القطع . ولما كان من المستحيل العثور على نصوص لغوية ترجع الى نشأة الانسان الاول منذ حوالي مليوني عام ، فإنه من المستحيل وبالتالي أن نقول برأي ما حول اللغة الانسانية الاولى ، كيف كانت أو كيف نشأت . ان امامنا العديد من المشاكل اللغوية المعاصرة التي تتطلب البحث والدراسة ، وقد يكون من الاجدى على العلم أن تصرف إليها وترك مشكلة اللغة الانسانية الاولى .

المقارنة اللغوية :

ثمة طريقة في البحث يمكن بواسطتها معرفة اللغات القديمة المنقرضة . وهي قد تصل بنا الى أعمق تاریخیة لم يبق لنا من نصوصها اللغوية شيء ، ولكنها على وجه التأکید لن تصل بنا الى معرفة اللغة الإنسانية الأولى . وهذه الطريقة هي طريقة المقارنة اللغوية الى ستعرض لها فيما بعد .

نلاحظ الآن في العالم العربي مثلا وجود عدد من اللهجات العربية التي تختلف في بعض الصفات وتتحد في صفات اخرى الى درجة يمكن معها القول بأنها جمیعا منحدرة عن أصل واحد . وقد يكون هذا الاصل الواحد هو العربية الفصیحی أو احدى اللهجات القديمة . واذا قارنا اللهجات المعاصرة لاستطعنا أن نصل الى صورة فرضیة للغة التي انحدرت عنها هذه اللهجات ، تماما مثلا يمكن أن نفترض أن أب محمد وعلى وابراهیم كان مقوس الانف لأن أبناءه مقوسو الأنوف ، وانه كان قصیر القامة لأنهم جمیعا قصار القامة . نحن هنا نفترض ان الصفات التي تشیع في الابناء قد ورثت عن أبيهم . ونستطيع بالمثل أن نفترض أن الصفات التي تشیع في اللهجات العربية مثلا كانت توجد في اللغة التي تطورت عنها هذه اللهجات ، والتي تسمی « اللغة النموذج » (Proto Language) ولنأخذ اللغة التي عنها تطورت اللغة العربية ونقارنها باللغات العبرية والسوريانية والحبشية واليمنية القديمة الخ وهي لغات تشبه بعضها البعض كما تتشابه اللهجات العربية . وسنستطيع بهذه المقارنة أن نصل الى افتراض لغة أقدم منها تعتبر المصدر الذي تولدت هذه اللغات عنه وتسمی « اللغة السامية النموذج » (Proto Semitic) .

وبمقارنة الفرنسية والایطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية نصل الى « اللغة اللاتینية النموذج » أي الماذج اللغوية التي نفترض وجودها في اللغة الاصلية التي تطورت عنها هذه اللغات .

وبمقارنة اللاتينية والأغريقية والائلندية والالمانية والروسية .. الخ
نصل الى النماذج الافتراضية التي تكون « اللغة الهندواروبية النموذج »
(Proto Indo European)

وبمقارنة الهندواروبية النموذج والسامية النموذج والحامية النموذج
وهي أصل المصرية القديمة واللغات البربرية يمكن أن تصل الى النماذج
التي تطورت عنها اللغات الهندواروبية والسامية والحامية .. الخ

وهكذا يمكن أن تصور عقلاً أنه من الممكن أن تقودنا هذه
الدراسات المقارنة الى الوصول الى « اللغة النموذج الاولى » التي تولدت
عنها اللغات المعاصرة . ومثل هذا العمل كما ترى عمل يعتمد أساساً على
دلائل مادية واقية هي اللغات واللهجات المعاصرة واللغات الادبية التي بقيت
في تراثنا الثقافي حتى اليوم . ويمكن تشبيه هذه الدراسة بطبع أوراق
الشجرة التي تنتهي بنا الى فروع صغيرة ثم تتبع الفروع الصغيرة حتى
تنتهي بنا الى الفرع الكبير الذي تولدت عنه ثم تتبع الفروع الكبيرة حتى
تنتهي بنا كل مجموعة منها الى الفرع الاكبر الذي تولدت عنه ثم تتبع
الفروع الكبيرة حتى تنتهي بنا الى جذع الشجرة .

وقد كان الفيلسوف الالماني ليستر (١٦٤٦ - ١٧١٦) أول من قال
بنظرية « اللغة النموذج » حيث قال بأن اللغات المعاصرة ترجع الى لغة اولى
وانه لن يمكن الوصول الى اللغة الاولى عن طريق النصوص اللغوية التي
خلفتها لنا الاجيال الماضية وان السبيل الوحيد لمعرفة اللغة الاولى هو مقارنة
اللغات واللهجات المعاصرة والوصول الى نماذج مفترضة يمكن أن تعطينا فكرة
افتراضية عن اللغة الاولى ^(١) .

ويهدف علماء اللغة المعاصرون الى حصر جميع اللغات واللهجات التي

(١) ص ٤٣٣ Gray's Foundation of Language
الطبعة الثانية . نيو يورك ١٩٥٨

تسود العالم و دراستها دراسة مقارنة للوصول الى « اللغة المموج » لكل مجموعة منها ثم مقارنة « اللغات المموج » بعضها بعض والوصول الى « لغة نموذج » اقدم وهكذا . وهم لا يزعمون انهم بدراساتهم هذه سيكشفون النقاب عن نشأة اللغة الانسانية الاولى أو صفات هذه اللغة . وكذلك أمر أبعد من أن يناله انسان .

ما هي اللغة؟

نحن لا نقصد باللغة مجرد التعبير لأن التعبير قد يتحقق بالابتسامة أو بتقطيب الوجه أو بإشارة من اشارات اليد . وقد يحدث بالصراخ أو الضحك . أو سوى ذلك من الوسائل الصوتية التي يعبر بها الإنسان والحيوان عن عاطفة أو احساس . والفرق بين هذين النوعين من التعبير هو ان الثاني منها - دون الاول - تعبير صوتي . واللغة ولاشك تعبير صوتي ولكنها تفرق عن الصراخ والضحك في أن هذين الامرین الاخیرین من رد الفعل الطبيعي . اما اللغة فمن ردود الافعال المكتسبة .

ورد الفعل هو العمل الذي يحدث تحت تأثير أمر آخر ، فانا لو صحت في وجهك فتراجعت للوراء ، فان تراجعت من ردود الافعال . ولو قلت لك « صباح الخير » فقلت لي « صبحك الله بالخير » فان قولك هذا من ردود الافعال أيضا . وما فعلته أنا يسمى « التأثير » لانه سبب العمل الذي قمت به ، وعملك هذا يسمى برد الفعل لانه نتيجة للمثير .

والنشاط الذي يقوم به الانسان قد يكون استجابة لطاقة بيولوجية واتصال عضوي وقد يكون اكتسابا يتحقق له بتقليد الغير . والنشاط العضوي الانساني غير المكتسب كالضحك والبكاء والانين . يحدث بطريقة واحدة رغم اختلاف الناس والمواطن فانت في العراق تضحك وتبكي وتئن بنفس الطريقة التي يضحك بها الناس ويبكون ويئسون في اليابان أو الهند أو القطب الشمالي ، أما لغتك فانها تختلف عن لغات هؤلاء الناس ، لانها نشاط مكتسب .

والنشاط البيولوجي هو النشاط الذي يمكن للفرد القيام به بمجرد تمام تكوينه العضوي . ونلحظ مثلا أن الطفل لا يستطيع المشي على قدميه ولكنه حين تنمو عضلات ساقيه ومركز الاتزان في مخه يستطيع

ذلك دون حاجة الى معلم ٠ وليس ثمة شك في أن تحكم الطفل في عضلات اللسانه أمر بيولوجي ، والتحكم في عضلات اللسان هو الخطوة الاولى في طريق الكلام ٠ ولكن ليس معنى هذا أن اكتساب اللغة أمر بيولوجي ٠ فلو فرضنا أن طفلا قد عزل عن المجتمع انعز الا تماما حتى بلغ العاشرة مثلا ثم درستا مدى استطاعته الكلام للاحظنا انه بالرغم من نمو عضلات لسانه لا يستطيع الكلام الا بعد تدريب طويل ٠ ومعنى هذا ان مجرد النمو البيولوجي ليس كافيا لامكان القيام بالنشاط الذى نسميه لغة لأن هذا النشاط كما اتضح نشاط مكتسب ٠ وإذا كانت اللغة امراً مكتسباً فان من الطبيعي أن تختلف باختلاف المصدر الذي تؤخذ عنه ٠ ومن أجل هذا اختلفت اللغات ٠ فأنت تستعمل لفظ (حجر) للدلالة على الذات المعروفة بينما لأنك قد سمعت وامك وأقرانك يستعملون هذا اللفظ لهذه الذات ٠ وفي نفس الوقت يستعمل الانجليزى مجموعة اخرى من الاصوات للدلالة على نفس الذات وذلك لأنك قد سمع أباه وامه وأقرانه يستعملون هذه المجموعة من الاصوات للدلالة عليها ٠ وعلى قدر ما يوجد في مجتمع ما من ذوات وأفكار توجد الالفاظ ٠ ومن ثم فليس من الغريب ألا يوجد في الانجليزية لفظ (جمل) لأن الجمل لا يوجد في هذه البلاد كما أنه ليس من الغريب ألا يوجد في العربية لفظ (سردين) أو (تونه) لأن هذين النوعين من الاسماك لم يعرف بالعرب ٠ وعند اتصال الشعوب التي تتكلم الانجليزية بتلك التي تتكلم العربية أخذت لغة الاولين كلمة (Camel) وأخذت لغة الآخرين كلمتي (سردين و تونه) ٠ ونحن حين نقول بأن اللغة ميراث ثقافي يعني بالتحديد انها ألفاظ تؤخذ عن الاسلاف من ناحية وانها من ناحية اخرى صورة للظروف المادية والقليلة في المجتمع ٠

ولكن اذا كانت اللغة نشاطاً فمن الذى يقوم به؟ وفي أي الظروف يقوم به؟ الفرد ولا شك هو الذى يقوم بهذا النشاط ولكن في ظرف

اجتماعي معين ، بمعنى انه لا يتكلم بمفرده . و حتى في الظروف التي يجد فيها أن الشخص يتكلم بمفرده كمن يقرأ خطاباً أو يتحدث الى نفسه ، يتخيل التكلم مخاطباً يتحدث اليه ؟ أي أن الظرف الاجتماعي متتحقق بطريقة ما .

النشاط الذي نسميه لغة نشاط انساني مكتسب تقوم به الاعضاء الصوتية . وهذا النشاط يمكن أن يقسم الى أجزاء ، بمعنى أنه من الممكن ابدال جزء من نطق ما بجزء من نطق آخر ، فلدينا مثلاً لفظ «مات» يمكن أن يستبدل بالجزء الاول منه صوت آخر فيصير «بات» كما يمكن استبدال جزء آخر بالجزء الاخير فيصير «ماء» وهكذا . وهذه الاجزاء تميز بصفتين اولاً هما أنها غير قابلة للانقسام حيث لا يمكن أن تقسم الميم أو الباء أو الهمزة الى أجزاء يسمى كل منها صوتاً ، وثانيهما ان الجزء الواحد لا يفيد معنى بمفرده ولكنه يفيد المعنى مع بقية أصوات المجموعة التي يوجد فيها . ولابد كذلك أن ترتيب الأصوات ترتيباً معيناً حتى تفييد معنى ما . فمجموعه الأصوات « ج + فتحه + م + فتحه + ل » تفييد معنى معيناً هو الحيوان المعروف . ولكن لو اختلف ترتيبها فأصبحت :

« م + فتحه + ج + فتحه + ل »

لفقدت معناها . وكذلك يكون الشأن فيما لو نقص أحد أصواتها فصارت :

« ج + فتحه + م + فتحه » مثلاً وهي على هذا الشكل لا معنى لها .

وأقل مجموعة من الأصوات تؤدي معنى من المعاني تسمى بالوحدة . الصرفية أو الصرفيم . ومثالها « الواو المفتوحة » في العربية ، وتفيد اضافة شيء الى شيء وهو معنی نسميه في العربية بالعلطف ، ومثل « ال » وتفيد التعريف و « ولد » وتشير لذات معينة .

وقد تكون الكلمة صرفيما واحدا مثل « ولد » أو أكثر من صرفيما واحد مثل « المسلمين » وهي مكونة من الصرفيات « ال » و « مسلم » و « ون » ومعنى أولها التعريف، ومعنى ثانها ذات متصف بالاسلام، ومعنى ثالثها الجمع والذكير .

لتأمل الآن هذه المجموعة من الكلمات التي سضعها على الترتيب التالي :

« أحمد محمد مع يقرأ ويمشي هو »

ليس من شك في أن لكل منها على انفراد معنى ما ، ولكنها في مجموعها لا تؤدي معنى كاملا لأنها لم توضع على ترتيب من الترتيبات التي تفرض اللغة العربية وضع الكلمات على نسقها . ولابد حتى تؤدي هذه الكلمات معنى كليا من وضعها على هذا النحو :

« محمد يقرأ وهو يمشي مع أحمد »

ولكن ما هي الوظيفة التي تستخدم فيها هذه المجموعات من الاصوات مرتبة وفق النظم التي تفرضها اللغة ؟

هذه الوظيفة هي أن تستعمل في نقل خبر ما من ذهن المتكلم الى ذهن السامع كقولنا « سافر محمد » ، أو في نقل أحاسيس المتكلم مثل « ما أكثر تعبى » وهي عبارة تفيد التعجب و « يا الله لك » وهي عبارة تفيد الاستغاثة لا الاخبار . بعد كل هذا يمكن أن نعرف اللغة بالتعريف التالي : « اللغة نشاط مكتسب يتم بواسطته تبادل العواطف والافكار بين أفراد جماعة انسانية معينة » . وهذا النشاط عبارة عن مجموعة من الاصوات تستعمل وفق نظم معينة » .

اللغة والكلام والحدث اللغوي

التعريف الذي ذكرناه للغة تعريف وظيفي ، بمعنى انه يعتمد على الوظيفة التي تؤديها اللغة في المجتمع وهي نقل الافكار بين المتكلم والسامع .

ولا يرتضى الاستاذ السويسري فريدينارد دي سوسيير مثل هذا التعريف لانه يفضل التفريق بين مظهرين مختلفين من مظاهر اللغة . أما الاول فهو الكلام وهو عند دي سوسيير نشاط واقعي يقوم به فرد من الافراد يتمثل في نطقه بعبارة ما . وهذا النشاط الواقعي يتغير دائما . فانا حين انطق بعبارة ما اختلف في ادائها عنك حين تنطق انت بهذه العبارة نفسها . وقد اغير تركيب العبارة نوعا ما او انطق بصوت من اصواتها او نغمة من نغماتها على شكل مختلف ؟ وكل هذه التغيرات امور عرضية لم تتمكن بعد في اللغة لانها لم تصبح شائعة على السنة الآخرين .

اما الامر الثاني ويسمه دي سوسيير لغة ، فهو الصور الذهنية المختزنة في ذهن الجماعة اللغوية لكل لفظ وكل تركيب او صوت من الفاظ اللغة وتراكيتها وأصواتها . او بعبارة اخرى هي مجموعة الرموز التي تحتويها لغة من اللغات . ومن الناحية الخارجية يمكن أن نجمع هذه الرموز في كتب نسميتها القواميس وكتب القواعد . والتغير في اللغة بطىء لا يحدث الا عن طريق الكلام ، اذ لا بد أن يتغير كلام شخص ما ثم يتقلده آخر فآخر حتى يشيع هذا التغير لدى الجماعة اللغوية فتغير الصور اللغوية الذهنية لديها فيتم التغير في اللغة .

وقد أخذ على مذهب دي سوسيير هذا ما يأتي :-

١ - ليس هناك شيء اسمه « ذهن الجماعة » أو « عقل الجماعة » اذ ان الموجود فعلا هو « عقل الفرد » - أو اذهنه - ولهذا لا يمكن ان تختزن الصور اللغوية في « عقل الجماعة » . أما المكان الذي توجد فيه هذه الصور فهو « عقل الفرد » . واما كانت اللغة هي هذه الصورة المختزنة فلا بد أن تكون اللغة مسألة فردية وليس جماعية .

٢ - لم يفرق دي سوسيير بين نطق فرد واحد بعبارة واحدة وبين الكلام الذي هو مجموع ما ينطق به افراد الجماعة اللغوية في كل الاوقات ،

ولابد من ذكر قسم آخر هو «الحدث اللغوي» يشير لنطق فرد واحد عبارة واحدة مرة واحدة . وعلى هذا يكون الكلام مجموع الاحداث اللغوية ، ولا يعتبر أي حدث لغوي واحد كلاماً بل مجرد مثال للكلام ، كما توصف أنت بأنك انسان وان كنت لست كل الناس .

٣ - ليست «لغة الجماعة» أكثر من أمر اعتباري . وهي المدار المشترك بين لغات أفراد جماعة لغوية واحدة .

وعلى هذا فقد انتهينا الى تقسيم ما نسميه باللغة الى امور أربعة : -

١ - لغة الفرد وهي الصور الذهنية اللغوية في ذهن فرد بعينه .

٢ - لغة الجماعة وهي القدر المشترك من الصور الذهنية اللغوية لدى أفراد جماعة ما .

٣ - الحدث اللغوي وهو نطق فرد واحد عبارة واحدة مرة واحدة .

٤ - الكلام وهو مجموع الاحداث اللغوية التي ينطق بها أفراد جماعة لغوية معينة .

هذا ويطلق دي سوسيير لفظ «لغة» (بدون اداة تعريف) (Langauge) على اللغة الانسانية باعتبارها ملكرة من الملకات أو ظاهرة من الظواهر وهي بهذا تختلف عن «لغة جماعة بعينها» وهي مجموعة من الرموز مجموعة في القاموس وكتاب القواعد الخاص بهذه اللغة .
اللغة والفرد : -

تتمثل اللغة من الناحية الواقعية في الكلام . والكلام نشاط يقوم به الفرد ومن هنا يمكن القول بأن الفرد هو المركز الذي تقوم عليه الدراسة اللغوية . ونشاط الفرد اللغوي ذو جانين ، جانب عقلي وجانب مادي ، وقبل أن نتعرض بالتفصيل لطبيعة كل من هذين الجانين نتعرض لوصف النشاط الذي نسميه كلاماً . وسنستعرض هنا الموقف الذي صوره بلو مفليد (٤)

في كتابه (اللغة) عندما وصف هذا النشاط « رأت الفتاة تفاحة فصاحت قائلة (تفاحة) وسمعها صاحبها فمد يده واقتطفها وقدمها اليها قائلًا (ها هي) ٠ » يمكن تحليل هذا الموقف الى العناصر الآتية ، الفتاة ، والفتى ، والتفاحة ، والنشاط الذي قام به كل من الفتى والفتاة ، ولكل من هذه العناصر دوره ٠

أما التفاحة فقد لفقت انتباه الفتاة وأما الفتاة فقد قامت بعملية عضلية انتجت الاصوات « ت + ضمه + ف + فتحه طوليه + ح + فتحه + ه ٠ » وبفضل هذه العملية أطلق عليها اسم « الطرف المتكلم » ٠ ونقل الهواء هذه الاصوات الى اذن الفتى وحدثت هنا عملية مادية تمثلت في حركات دقيقة في طبلة اذنه ثم في اعصابه السمعية التي نقلت هذه الحركات - الى المخ فأدرك ما تعنيه الفتاة ٠ وبفضل هذه العملية المادية والعقلية اطلق على الفتى اسم « الطرف المستمع » ٠

هناك الى جانب هذا علاقة بين النشاط الذي قامت به الفتاة والذي سميته بالاصوات وبين الجسم الذي رأته والذي نسميه التفاحة ٠ واذن فعلينا أن نعرف الامور الآتية : -

- ١ - النشاط العقلي لدى كل من الفتاة والفتى ٠
- ٢ - النشاط العضوي لديهما ، أي ما تقوم به أعضاء النطق عند الفتاة وأعضاء السمع عند الفتى من حركات ٠
- ٣ - ما يحدث في الهواء نتيجة لهذا النشاط ٠

أولا - العملية العقلية - يمكن دراسة العمليات العقلية باحدى الطريقتين - طريقة علم الاعصاب وطريقة علم النفس ٠

يقرر علماء الاعصاب ان مركز النشاط العقلي هو المخ والمخيخ والحليل الشوكي ٠ وقد شاعت نظرية تقول بأن المخ عبارة عن مجموعة من المراكز أو الاجزاء بعضها يختص بعملية السمع والآخر بعملية البصر

والثالث بالكلام وهكذا . والذى يهمنا من هذه ما يتعلق منها بالكلام . وقد قام بعض العلماء بدراسات لمعرفة مدى أهمية هذا الجزء من المخ في عمليات الكلام . وقد لاحظوا ان اصابة هذا الجزء قد يؤدي الى فقدان القدرة على الكلام أو على الاصابة بالتمتمة أو نقل النطق . كما لاحظوا ايضاً كثيراً من عيوب الكلام ترجع الى اضطراب يحدث في هذه المراكز ومنها :-

(١) مرض الافازيا (Aphasia) وهو مرض يؤدي الى عدم استطاعة

الشخص ترتيب الاصوات داخل الكلمة أو ترتيب الكلمات داخل الجملة ترتيباً سليماً، فمثلاً اذا حاول المريض بهذا المرض أن يقول (ضرب) فقد يخطئ فيقدم الراة على الصاد فيقول (رضب) أو اذا حاول النطق بالجملة «جلس الولد على الكرسي» فقد يخطئ فيقول «على جلس الكرسي الولد» وهكذا . وقد وجدوا انه بمجرد شفاء الشخص من هذا المرض العصبي .

يسعى قدرته الطبيعية على الكلام .

(٢) مرض الهلوسة (hallusination) وهو مرض يؤثر على المراكز

السمعي في المخ فيتصور المريض انه يسمع كلاماً موجهاً اليه فيجيب عنه . وهو من وجهة نظره يتكلم رداً على ما سمع . أما من وجهة نظرنا فانه يحدث نفسه .

(٣) مرض الحساسية السمعية (hyperenaphasia) وهو يجعل

المريض يتصور سماع بعض العبارات وينقل صورها الى مركز السمع فيسمعها دون أن تنطق .

وبالرغم من أن نظرية المراكز هذه قد لاقت هجوماً عنيفاً تمثل في

نظرية تسمى بنظرية «الجيشتال» ، فإن كل ما يهمنا هنا هو اثبات علاقة

عملية الكلام بالظروف العصبية لدى المتكلم .

وقد وجد علماء الاعصاب أيضاً أن عملية التفكير عبارة عن سريان تيارات كهربائية من نقطة في المخ الى نقطة اخرى ، وذلك يمرورها في خيوط دقيقة جداً تشبه أنسلاك الكهرباء وتسماى هذه الخيوط بأعصاب المخ ، وبفضل تقليد هذه العملية أمكن اكتشاف الآلات الحاسبة والمفكرة . على أنه ليس العجيب في العقل الانساني هو اكتشاف طريقة عمله ، ولكن العجيب هو أن هذا العضو الذي لا يزيد وزنه عن رطل واحد من الخلايا يقوم بعمليات معقدة ومتعددة . فهو يستطيع الكلام والترجمة والقيام بالعمليات الحسابية والرسم والبناء والاختراع ، وهي عمليات لو حاول الانسان تقليد لها جميعاً لابتكرآلاف الاجهزة . ولا يزال علماء الاعصاب بعد سنتين طوال يجهلون حقيقة ما يحدث عند عمليات التذكر أو التخييل . أين تذهب الكلمات التي نسماها وكيف ترجع من جديد عندما تذكرها ؟ وكيف تخيل صورة انسان نعرفه ، بل كيف تصور وجه انسان لم نره من قبل

اذا ما سمعنا باسمه ٠٠٠ الخ

كل هذه أمور لا يستطيع عالم الاعصاب كشف النقاب عنها .
واذن فلن نستطيع أن نستفيد - الآن على الأقل - كثيراً من علم الاعصاب في فهم عملية الكلام وتحليلها .

لنجاول الآن الاستفادة من علم النفس ، وهو علم يدرس العمليات العقلية بطريقة التأمل الذائي (Introspection) وهي أن يحاول الفرد معرفة ما يجري في نفوس الناس في موقف من المواقف بأن يضع نفسه في هذا الموقف ذاته ، لكشف ما يجري فيها ثم يحكم بأن ما يحس به هو ما يحدث في نفوس الآخرين . وعلماء النفس هنا على حق اذا لا سيل لها الى معرفة طعم فاكهة معينة مثلاً الا بأن نذوقها حيث ان وجد ان الآخرين لا يمكن اكتشافه الا عن طريق معرفة وجداننا . والعقل عند علماء النفس

مجموعة الملكات والقدرات وليس جزءاً مادياً من اجزاء الجسم . ولكن، هناك عضواً معيناً هو المخ تجري فيه العمليات المتصلة بهذه الملكات والقدرات . وسنعرض هنا لعمليتين لهما اتصال ب موضوعنا و هما :

أولاً - عملية التصور - تنقل الحواس المختلفة صور الاشياء الخارجية . الى المخ فترسم عليه كما ترسم الصورة في المرأة . غير أن الصورة تزول . من المرأة بزوال الجسم الذي أحدثها . أما الصورة العقلية فيمكن أن تظل . بعد زوال الجسم كما يمكن أن تخزنها وتستدعيها فيما بعد عند اللزوم .

ثانياً - عملية الاستدقاء - يمكن استدقاء الصورة المخزنة في المخ . بتعريف الحواس للشئ مرة اخرى . وهنا يستدعي العقل الصورة القديمة . ويطبقها بالصورة التي أمامه فيدرك أن الصورتين لأمر واحد ، أو بعبارة . اخرى تحدث عملية تذكر . ويمكن استدقاء الصورة المخزنة بوسيلة . اخرى وهي أن تعرض للحواس شيئاً آخر له ارتباط بالشئ صاحب . الصورة . ومثال ذلك . - جريان اللعاب عند رؤية الطعام ، ورؤية الطعام . تسمى (المثير) ويسمى جريان اللعاب « رد الفعل » . ويمكن أن تحدث رد . الفعل هنا دون رؤية الطعام ولكن بسماع الجرس الذي تعودنا حدوث . رئيشه عند حدوث الطعام . ورئيشه الجرس في هذه الحالة ليس المثير الاصلي . ولكنه مثير ثانوي يحدث أثره بفضل ارتباطه في الذهن بالثير الاصلي . والمثير . الثانوي هذا هو الذي نسميه (رمزاً) . والكلمة مثير من النوع الثانوي أو . رمز ، وفائتها أنها تستدعي إلى الذهن صورة الشئ دون أن نضطر إلى . احضاره أمام الحواس للاحساس به واستعادة صورته . والتظاهرة في المثال . الذي ذكرناه من قبل مثير أصلي أعاد إلى ذهن الفتاة صورة مخزنة اكتسبها . من رؤية التفاحة من قبل . أما رد الفعل فكان نطقها (تفاحة) . أما الفتي . فلم ير التفاحة ولكن سمع هذه الكلمة من الفتاة فذكرته بصورة الجسم . « أي التفاحة » مع انه لم يرها . وبهذا يمكن القول بأن هذه الكلمة رمز .

لهذا الجسم واننا قد استدعاها الصورة بواسطة الرمز لا بواسطة الجسم ٠
اما رد الفعل الناتج عن هذا المثير الثانوي او الرمز فقد كان احضار الفتى
التفاحة ل الفتاة ٠ والمفروض ان ارتباط هذا اللفظ (ت + ضمه + ف + ا + ح
+ فتحه + هـ) بهذا الجسم أمر مشترك بين الفتى والفتاة بل وبين جميع
أفراد الجماعة اللغوية التي يتسمى بها ٠ وينشأ هذا الارتباط في الذهن
من التجارب التي يمر بها الفرد منذ ولادته حتى يموت ٠ ولنفرض أن طفلًا
رأى تفاحة لأول مرة في حياته وسمع امه تقول «تفاحة» وتقدمها اليه ٠
هذا العمل يربط هذا اللفظ والجسم ٠ ويتواли مثل هذا الحادث أي استعمال
اللفاظ بازاء الاشياء والاحاديث تكثر الرموز اللغوية عند الطفل ٠

وقد يحدث خطأ في عملية الربط بين الرمز النموي والشيء الذي
يشير اليه ويكون سمعياً أو ادائياً ٠ وعن الخطأ في عملية
الربط يحدث اختلاف بين لغة الفرد ولغة الجماعة فإذا حدث الخطأ على
نطاق واسع بحيث شمل الجماعة كلها فإن هذا يسبب تغيراً في لغة الجماعة ٠
ويكثر الخطأ في الربط عند الاطفال واليهم يعزى ما نشاهده في لغتهم
من الفاظ خاصة بهم واليكم مثالان لهذا : -

كان الطفل المصري فاضل على أسعد يسمى الحذاء «دفعي» ولم
يكن أبواه يدرى أن سر هذه التسمية ٠ وقد لاحظت أن الطفل لا يستعمل
كلمة «فرده» ، وإن الفرق بين الكلمة (دفعي) التي يستعملها وبين (فرده)
يتمثل في أمرين ٠ أولهما : وجود الراء في أحدهما والياء في الأخرى
ونطق الطفل الراء ياءً أمراً شائعاً ٠ وثانيهما : تقديم موضع الدال في
كلمة الطفل عن الموضع المقابل لها في الكلمة الصحيحة ٠

ولو قلنا بأن الطفل قد وقع في خطأين أولهما نطق الراء ياءً وثانيهما
تقديم صوت عن موضعه في الكلمة ، وهما خطأان يكثر وقوع الاطفال فيهما ٠

لو قلنا بهذا لاكتشفنا سر هذه التسمية التي أطلقها الطفل على الحذاء .
وبالوصول الى هذا أمكن افتراض الموقف التالي : -

ووجدت الأم احدى فردي الحذاء بعيدة عن متناولها فقالت له « هات
الفردة » وأشارت لفردة الحذاء . وربط الطفل بين الحذاء وكلمة « فردة »
ثم استعملها مع ارتكاب الخطأين المشار اليهما . ولم تدرك عائلة الطفل سر
تسمية هذه ولكنها قلدها فيها جا له ولا يقول . وتمكن هذه العملية الرمزية
من نفس الطفل فأصبحت « دَفَيَه » تعني في لفته الى سنوات عديدة (فردة) .
اما المثل الآخر فقد حدث لطفل عراقي هو الآن في الرابعة .

للطفل أيس هادي حداد أخ صغير اسمه « ليث » وصوت الثاء يشبه
سماعيا صوت الغاء ولهذا فقد اخطأ في نطق اسمه أخيه وقال « لوفي »
واستطاعت العائلة هذا الخطأ وقلدته وظل اسم الاخ الصغير فترة طويلة
لدى أيس واسرتة « لوفي » . هنا أيضا نوع من الخطأ في عملية اكتساب الرمز
اللغوي .

والرمز اللغوي هو صورة ذهنية ذات جانين أحدهما تصور اللفظ
والثاني تصور الشيء الذي يشير اليه اللفظ ، فمثلا يستطيع كل من ان
يتمثل في ذهنه الاصوات التي تدل على المادة المعينة التي تسمى (حجر)
كما يستطيع أن يتمثل هذه المادة ذاتهما . وبمجرد تمام اكتساب الرمز
اللغوي عند الشخص يستطيع تصور هذه المادة كلما ذكر اللفظ الدال عليها
كما يستطيع أن يتصور اللفظ اذا ما رأى المادة . وعملية التداعي هذه أي
تداعي صورة اللفظ وصورة المعنى ، هي التي تسكن من عملية التفاهم بين
أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ، فمجرد أن ينطق المتكلم باللفظ يدعوه الى
ذهن السامع صورة مدلولة ويكون ادراكه لما يقول المتكلم مثيرا يدفعه الى
الرد أي الى النطق بالفاظ تستدعي لدى الشخص الاول مدلولاتها وهكذا .

وهذا يعني بالضرورة انه لا بد من وجود قدر مشترك من الرموز في ذهن كل من الشخصيتين حتى يتم التفاهم بينهما .
ومجموعة الرموز التي توجد في ذهن شخص ما هي لغة هذا الشخص .
ولكل شخص حصيلته اللغوية الخاصة التي يكتسبها من تجاربه في الحياة .
ولما كانت تجارب كل شخص تختلف عن تجارب سواه فاننا نتوقع أن تكون لغة كل شخص تختلف الى حد ما عن لغة سواه من أبناء جماعته . ولكن مع التسليم بهذا الاختلاف بين شخص وآخر الا أن هناك قدراً كبيراً مشتركاً بين الخبرات والتجارب التي يحصلها من يعيشون في بيئه اجتماعية واحدة . ومن أجل هذا تقارب لغتهم بحيث يمكن أن تتجاهل ما بينهم من اختلاف . والقدر المشترك بين لغات الافراد في جماعة ما ، هو لغة هذه الجماعة .

★ ★ *

الجانب الفيزيائي في الكلام : الكلام عبارة عن حركات عضوية تبدأ من رئي المتكلم وتنتهي بخروج الهواء من فمه وأنفه . ويخرج الهواء من الفم والأنف على شكل موجات صوتية ينقلها الهواء الى اذن السامع فتحدث تأثيرها الذي أشرنا اليه .

ومن الممكن دراسة الكلام باعتباره تمويجات صوتية تحدث في الهواء كما يدرس عالم الطبيعة الموجات الصوتية المختلفة . وقد وجد ان الجهاز الموسيقي الذي يحدث هذه الذبذبات عند الكلام هو الحنجرة . وجد أيضاً أن الذبذبات التي تفادر الحنجرة تمر بمجموعة من غرف الرئتين في البلعوم واللهاة وداخل الفم والأنف ، وان حركات اللسان المختلفة وحركات الشفتين والفكين وسواها من الاعضاء تساعد على تشكيل هذه الغرف . فيختلف تأثيرها على الذبذبات الصادرة من الحنجرة .

ولسنا هنا في مجال التفصيل ولكن نكتفي بأن نذكر أن بعض هذه

الموجات يضعف أو يتلاشى وبعضها يقوى وانها تخرج في شكل حزم من الموجات الصوتية . ويمكن بدراسة هذه الحزم تعين الاصوات المختلفة ، كالباء أو الجيم أو الصفات الصوتية الهمامة ، كالتفخيم في العربية أو الانفية في لغات اخرى . بل لقد أمكن بفضل هذه الدراسة ، تحليل العبارات واتاج بعض الجمل بطريقة صناعية ، دون أن ينطق بها متكلم . وقد ازدهرت هذه الدراسة أخيرا ، نظرا لقيمتها التطبيقية في هندسة الصوت التي هي أساس عمليات الاذاعة اللاسلكية واللّفون ، ونشأ فرع جديد من فروع الدراسة اللغوية الصوتية يعرف باسم « علم الاصوات الفيزيائي » “acoustic phonetics” . وهو فرع من فروع الدراسة الصوتية يعتمد أساسا على الأجهزة الميكانيكية والالكترونية ، ولسنا هنا بحاجة الى الحديث عن هذا الفرع من الدراسة ، باكتر من هذه الاشارة السريعة اليه .^(٥)

(٥) انظر كتابنا أصوات اللغة وفيه كثير عن هذه الدراسة .

«اللغة والمجتمع»

ذكرنا من قبل أن اللغة نشاط يقوم به الفرد ويكتسبه من المجتمع الذي يعيش فيه ، ويروي التاريخ قصة أحد ملوك الاسرة الثانية المصرية ، حين عزل طفلاً ولیداً عن الاتصال بالناس ، ليرى ما اذا كان سيتكلم عند اكتمال نموه ، دون اكتساب لغته من الجماعة . كما تذكر الكتب قصص بعض الافراد الآدميين الذين عثر عليهم في الغابات يعيشون مع الذئاب والكلاب الضارية . وينظر أن هؤلاء قد تركوا في الغابة منذ ولادتهم وتربوا مع أطفال ذئبة أو كلبة . وقد أخذ هؤلاء ودربوا على الكلام فاستطاعوا في سرعة اكتساب اللغة . وهذا دليل على أن ملكة اللغة فطرية تولد مع الشخص . أما اكتساب اللغة فلا يتحقق الا في وسط المجتمع .

والمجتمع هو مجموعة من الافراد الذين تربط بينهم روابط معينة ، كالجنس والدين والعادات والوطن الخ . ولكن اجتماع هذه الامور كلها في مجتمع ما قد يتعدى ، فهناك شعوب لا تسكن وطنًا واحدًا ، مثل الغجر واليهود ، وهناك شعوب لا تتكلم لغة واحدة ، كالشعب السويسري ، أو لا تدين بدين واحد كالشعب اللبناني . وقد يكون هذا صعوبة تصادف علماء الاجتماع ، عندما يعرّفون الشعب أو الامة . ولكن الغويين لا يصادفون مثل هذه الصعوبة ، لأن المجتمع في عرفهم هو جماعة من الناس يتكلمون لغة واحدة . وهم يطلقون على هذه الجماعة اسم «الجماعة اللغوية» . وفي أغلب الأحيان تجد الجماعة اللغوية تسكن رقعة متصلة من الأرض . فالجماعة اللغوية العربية تسكن وطنًا يمتد من حدود فارس وتركيا شرقاً حتى المحيط الاطلسي غرباً؛ ومن البحر الايبيريا المتوسط شمالاً حتى المحيط الهندي وجنوب السودان جنوباً . وقد لا يكون الوطن اللغوي متصلة على هذا النحو ، كموطن الجماعة اللغوية التي تتكلم

الانجليزية ، وهو عبارة عن أماكن متناثرة على سطح الكرة الارضية ، من انجلترا وايرلندا ، الى كندا والولايات المتحدة ، واستراليا ونيوزيلاند ، وبعض جزر المحيط الهادى . وكل من يتكلم لغة جماعة لغوية معينة عضو في هذه الجماعة ، اذا كان قد تعلم اللغة طفلا من امه وأبيه واقرائه . أما من يسكنون الوطن اللغوي من الاجانب الذين يحافظون على لغتهم الاصلية في نطاق عائلاتهم وأصدقائهم من مواطنיהם ، ويتكلمون في نفس الوقت اللغة السائدة في هذا الوطن في معاملاتهم مع الناس ، فهو لاء ليسوا من أبناء الجماعة اللغوية لهذا الوطن . ومن أمثلة هؤلاء اليونانيون الذين يعيشون في مصر والناصر الاجنبية التي تعيش في العراق .

ولغة الجماعة اللغوية ، هي كل ما يقوله او قاله او سيقوله اي فرد من افراد هذه الجماعة ، فما ينطق به السوداني او المصري او الجزائري او الليبي او العراقي او سواهم من أبناء الجماعة اللغوية العربية من عناصر اللغة العربية ، مهما ارتفعت او انخفضت المنزلة الاجتماعية او الثقافية له . ونطاق اللغة بهذا المعنى العام نطاق متسع لا يمكن حصره ، ولكن من الممكن تقسيمها باعتبارات اجتماعية معينة هي :-

اولا - اللهجات الزمانية : من الواضح أن لغة جماعة لغوية ما تختلف من عصر الى آخر ، نظرا لما يجد في حياة أبناء هذه الجماعة من أفكار وأشياء . ولنأخذ مدينة كبغداد مثلا ، ولنقارن بين لغة سكانها اليوم وسكانها منذ عشرة قرون من الزمان . ولا شك أن من بين مفردات اللغة بغداد اليوم ، ما لم يوجد في تلك الفترة البعيدة كلفظ « خاشوگه » و « شرافف » و « ميز » وسواها من اللفاظ المقتضية أو المبتكرة . وسنجد ، الى جانب هذا النوع ، ألفاظاً أخرى كانت موجودة في ذلك العصر ، ولكنها لم تكن تعني ما تعنيه اليوم ، كلفظ « أمانة » التي تستعمل اليوم وتطلق على سيارات

أتوبيس بغداد ، وكلفظ « صحافة » وهو لفظ مأخوذ عن « صحيفة » ، ولم يكن المفهوم المعاصر لهذا اللفظ موجودا في ذلك الوقت . وكلفظ سيارة وقطار وجامعة وكلية ومصلحة وعاصمة . . . الخ .

هذا الى جانب ما يحدث من اختلاف في طريقة نطق الالفاظ ذاتها ،
كما نلاحظ في الكلمة العربية « قلب » وقد كانت تنطق بدون تفخيم ، أما
في العراقية الحديثة فإنها لفظ يفχم كله ، وتنطق القاف فيه جيما غير
معطشة كالجيوم الظاهرة . ومن الممكن – اذا ما توفرت المادة اللغوية – أن
يدرس الباحث ما جد على لغة ما في مكان بعينه من اختلافات على مر
الاجيال . ومثل هذه الدراسة تسمى بالدراسة اللغوية التاريخية .

ثانيا - لهجات الاقليمية : يمكن تقسيم اللغة بمعناها العام الذي ذكرناه الى لغات محلية أو لهجات اقليمية . وذلك لانه بالرغم من أن اللغة العربية مثلاً بمعناها العام تشمل جميع ما ينطق به أبناء الشعب في أي مكان من وطنهم الكبير الا انه من الواضح أن التفاهم بين أبناء بغداد وأبناء البصرة أو الموصل ، أكثر سهولة من التفاهم بين أبناء بغداد والقاهرة أو الخرطوم أو مراكش . وهذا يعني أن من الممكن أن يقسم الوطن اللغوي الكبير أقساماً أصغر ، فيكون كل قسم منها موطن للهجة اقليمية من لهجات هذه اللغة ، داخل اطار العربية الكبير صور صغرى للهجات العراق وسوريا ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش واليمن والجزيرة العربية . الخ وهذا التقسيم المكاني تقسيم سياسي الى حد كبير .

ولكنا نلاحظ الى جانب هذا أن هناك لهجات متعددة داخل الأقليم الواحد . ففي العراق لهجات البصرة وبغداد والموصل وسواها . ولكل منها مميزات معينة تختلف بها عن سواها اختلافا لا يتعذر معه التفاهيم . بل أننا قد نتجاوز هذا الحد ونقرر بأن هناك اختلافا نسبيا في نطاق المدنية

الواحدة ، كما قد نلاحظ في لغة سكان الكاظمية ولغة سكان الاعظمية بمدينة بغداد . كل هذه التقسيمات المكانية تعتمد في وجودها على اعتبارات اجتماعية كصعوبة اتصال الناس بعضهم بعض ، وكاختلاف المذاهب الدينية أو اختلاف الاصل الذي انحدر عنه السكان وغير ذلك .

وإذا كان هناك من العوامل الاجتماعية ما يزيد من اختلاف اللهجات بعضها عن بعض ، فإن هناك أيضا ما يقرب بين بعضها وبعض كالاذاعية والسينما والصحافة وغير ذلك من العوامل الاجتماعية التي زادت قوتها في عصرنا الحديث .

ثالثا - اللهجات الطبقية : من الظواهر الاجتماعية المسلم بها انقسام المجتمع الى طوائف . وكان المجتمع من قبل ينقسم الى قبائل تمثل كل منها وحدة مستقلة عن سواها ، أما في المجتمع الحديث فان التقسيم القبلي يأخذ في الانهيار التدريجي ، ويتراكم المجال لانقسام آخر هو الذي يسمى « الطبقات » . وكما كانت للقبائل في القديم مميزاتها اللغوية فان للطبقات الحديثة كذلك مميزات لغوية . ويكفي - حتى تتبين صدق هذه الدعوى - أن تلاحظ لغة طائفة المثقفين في العراق كله وستجدوها متقارنة لا تكاد تتبين فيما بينهم فروقا اقليمية . وإذا قارنت لغة المثقفين بلغة العمال ثم بلغة الفلاحين أو رجال الدين أو غيرهم من الطوائف الاجتماعية ، لوجدت من الفروق في طريقة نطقهم ومفرداتهم ، وأحيانا في طريقة تركيب كلامهم ما يؤيد القول بتقسيم اللغة العامة الى اللهجات طبقية .

رابعا - اللغة المشتركة : بالرغم من الانقسامات اللغوية التي تعرضنا لها والتي تعيق التفاهم بين جميع سكان الوطن اللغوي الاكبر الى حد كبير أو قليل ، نجد أن هناك وسيلة للتفاهم بينهم جميعا مهما اختلفت أذمنتهم وأفاليهم أو طبقاتهم . وهذه الوسيلة هي اللغة المشتركة أو ما نسميه (باللغة الفصحى) . فنحن الان نقرأ كتب الاقديمين ثرا وشرا ،

دون صعوبة تذكر . كما أن العربية الفصحى هي خير وسيلة للتفاهم ، إذا ما اجتمع عراقي ومصري وسوداني وسعودي وجزائري مثلا .

واللغة المشتركة هي ألفاظ معينة مختارة ، تتركب منها الجمل والعبارات بطريقة خاصة . ويستعمل الأدباء ورجال العلم في جميع أجزاء الوطن اللغوى الكبير هذه اللغة المشتركة فيما يألفون ويكتبون . كما تقوم المؤسسات العلمية كالمدارس والجامعات على تعليم اللغة المشتركة . وفي نفس الوقت تحرص الدوائر الرسمية على استعمال هذه اللغة . ومن أجل كل هذا يقوى مركز اللغة المشتركة ويزيد نفوذها .

ويعرف الاستاذ (اوتويسبرسن) اللغة المشتركة بأنها « اللغة التي تخلصت من الصفات اللغوية الخاصة بأى إقليم بعينه » .

أما كيف تنشأ اللغة الفصحى أو اللغة المشتركة ، فإن هناك من العوامل ما يزيد من أهمية لهجة من لهجات اللغة . وقد يصبح الأقليم الذى تسود فيه هذه اللهجة مركزا يلتقي فيه خاصة القوم من المناطق الأخرى ، فيكون لفاظهم المتكرر حافزا على محاولة كل منهم الحديث بلغة يفهمها الآخرون ، فيتخلص من الخصائص التى تميز بها لهجته الأقليمية . وبتوى الزمن على هذا الوضع تنشأ لغة خاصة يفهمها جميع الوافدين من الأقاليم الأخرى . وقد يحدث في مثل هذه الاجتماعات أن يعني مغن انشودة أو يقول شاعر قصيدة ، مراعيا بطبيعة الحال أن يكون مفهوما من جميع سامعيه الذين يتسمون إلى أقاليم مختلفة . ثم يشيع هذا الغناء والشعر في المناطق الأخرى ، ويقلده من أبناء هذه المناطق شعراء ومغنون يستعملون هذه اللغة الجديدة ، التي تخلصت من خواص اللهجات الأقليمية المختلفة .

وبهذه الطريقة نشأت العربية الفصحى قبل ظهور الاسلام . ثم نزل

القرآن بهذه اللغة وظهرت طبقة جديدة من قراء القرآن ورواية الحديث ، ثم ظهرت الى جانبهم ومن بعدهم طبقات متواتلة من العلماء والشعراء والمؤلفين ، وكلهم يستعمل اللغة المشتركة التي نسميها اليوم بالعربية الفصحى التي ما زالت مزدهرة حتى عصرنا هذا ٠

وليس من شك في أن اللغة المشتركة تتطور بمرور الزمن ، كما تتطور اللهجات الأخرى ٠ ولكن نظرا لانها لغة مدونة من ناحية ، ولأن الجهات الرسمية وشبه الرسمية تحرص على تعليمها للناشئين ، فإن درجة التطور فيها أقل من التطور في اللهجات الأخرى ٠

«الظروف الاجتماعية واللغة»

ستحدث هنا عن أنواع ثلاثة من الظروف الاجتماعية وهي الظروف المادية والظروف العقلية والظروف الكلامية .

اولا - الظروف المادية :

تعني بالظروف المادية الاحداث والملابسات التي تمر بشعب من الشعوب . ولهذه تأثيرها على اللغة كما سترى فيما بعد . ومن هذه الاحداث ما يأتي :-

١ - نشأة المدن الكبرى :

مما يتميز به العصر الحديث نشأة المدن الكبرى ، التي حدثت على أثر قيام النهضة الصناعية في العالم ، وتنظيم الادارة الحكومية في العصر الحديث وتركيزها في عاصمة معينة . وقبل عصر النهضة الصناعية كان الناس يعيشون على الزراعة ، وكانت بطبيعة الحال يسكنون حيث يعملون . ونظرا لاسع الرقعة الزراعية ، فقد كانوا موزعين في أنحاء البلاد . وظروف العمل في المصنعين تتطلب أن يجتمع أكبر عدد ممكن في رقعة صغيرة من الأرض ، فقد لا تزيد مساحة المصنعين عن عدد قليل من الأفدنة ولكنه مع ذلك يضمآلاف العمال . ومن الطبيعي أن يجذب المصنعين عماله من أماكن مختلفة من الوطن ، وأن يكون لكل منهم لهجته الأقليمية . وباجتماع هؤلاء العمال تفاعل لهجاتهم و يؤثر بعضها على بعض . وهذا هو الذي يحدث بالنسبة للجهاز الحكومي المركزي في العاصمة ، حيث يندرج إليها الموظفون من أنحاء البلاد ، وكل لهجته الأقليمية كذلك . وفي هذا الخضم اللغوي الضخم تلعب الجامعات والهيئات التعليمية دورا هاما في تنمية الحركة اللغوية الجديدة التي لا تثبت أن تخرج بلهجة جديدة ، تختلف عن جميع اللهجات الأقليمية الأخرى . ومن الملاحظ أن لهجة العاصمة لا تثبت أن تنتقل إلى المدن الأخرى ، بحيث تختلف كل مدينة لغويًا عما

يحيط بها من قرى يمقدار ما تشابه مع بقية المدن في البلاد . ونحن نجد في مصر أن لهجة أسيوط أو أسوان ، أو سواها من مدن مصر ، أقرب إلى لهجة القاهرة منها إلى لهجات القرى المجاورة لها .

وهكذا تراجع اللهجة المحلية الأصلية التي كانت سائدة في المدينة وتحل محلها لهجة جديدة ، تصبح ذات مكانة اجتماعية هامة ، يقلدها المستهرون من أبناء الريف .

ونود أن نعرض في هذا السياق لمثيلين من أمثلة نشأة لهجة العاصم .
أما المثل الأول فهو لهجة العاصم في البلاد العربية .
ونلاحظ هنا أن الجماعة اللغوية ذات لغة مشتركة منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنا . وهي اللغة الفصحى ، لغة القرآن والحديث والادب منذ عصر طويل . ولهذا كان من الطبيعي أن تستمد لهجات العاصم العربية الجديدة قدرًا كبيرا من مادتها من اللغة الفصحى ، ومن اللغات التي وصلتها بها أسباب الحياة في العصر الحديث ، إلى جانب العناصر المحلية التي وفدت إلى العاصمة من النازحين إليها . أما المثل الثاني فهو نشأة لهجة مدينة لندن بإنجلترا ، فقد أثبتت الأبحاث أن اللهجة المحلية لمنطقة لندن قد أخذت في التضاؤل ، وافسحت المجال للهجة العاصمة الجديدة ، هذه اللهجة التي جلبت كثيرا من عناصرها اللغوية من مختلف المناطق الأخرى وخاصة المناطق الشمالية . ولم يبق من اللهجة المحلية القديمة سوى بعض أسماء الأحياء والشوارع وبعض الظواهر اللغوية التي تظهر على ألسنة الطبقات السفلية من المجتمع الذي يسكن العاصمة .
وقد صارت لهجة لندن الحديثة فيما بعد اللغة المشتركة للجماعة اللغوية الانجليزية . وهكذا نجد الفرق واضحا بين حالي ، الاول وفيها توجد لغة فصحى قديمة تعمل نشأة المدن والعواصم على أحياها والانتقال بها من أن تكون لغة التأليف والكتابة إلى أن تصبح كذلك لغة الكلام . وهذه

الحركة لم تتم بعد في البلاد العربية ٠ ويوم يصبح التعليم عاماً في جميع البلاد ، وتقرب العواصم العربية ، ويزيد اتصال أبناء الوطن العربي بعضهم البعض ، ستحد لهجات العواصم الكبرى في مختلف أجزاء الوطن العربي ، وستلعب العربية الفصحى دوراً هاماً في حركة التوحيد اللغوي هذه ٠ أما في الحالة الثانية فان لهجة العاصمة لم تجد مثل هذا المورد الذي وجدته العواصم العربية ٠ ومن ثم أصبحت لهجة العاصمة نفسها اللغة الفصحى ٠

٢ - الاحداث السياسية :

للأحداث السياسية الكبرى تأثير على اللغة ، فقد يسبب اتحاد منطقتين في دولة واحدة ، أو فقدان دولة ما جزءاً منها ، أو تقارب دولتين تقارب شديداً ، اتحاد لقتهما أو تقاربهما ٠ وقد لوحظ تأثير مثل هذه الاحداث على اللهجة المصرية واللهجة السورية ، في فترة اتحادهما في الجمهورية العربية المتحدة ، فسررت الالفاظ السورية في اللهجة المصرية ، مثل الهاتف للتليفون والبرق للتلغراف ، كما سربت وبالتالي بعض الالفاظ المصرية الى اللهجة السورية ٠ كذلك أثر تقارب الدول العربية الاخير في توحيد ألقاب الجيشين ، وتوحيد المناهج الدراسية ومصطلحاتها ٠٠٠ الخ ٠ ومن أمثلة ذلك أيضاً ما حدث في اللهجة الالزاس واللورين ، وقد كانتا من أراضيmania قبل الحرب العالمية الاولى ، ثم ضمتا بعدها الى فرنسا ٠ وقد اختلطت المفردات الفرنسية بلهجة هاتين المنطقتين الى حد كبير ، بل أصبح كثير من أبنائهما يتحدثون بالفرنسية الى جانب لقتهم الالمانية ٠ وقد حدثت نتيجة للحرب العالمية الاخيرة أمور ت督促 أن تبتكر لها ألفاظ ٠ ومثال ذلك في العربية لفظ « تموين » و « اعاشة » و « صاروخ » و « ذرة » ٠٠٠ الخ ٠ كما أنه قد ينتج عن مثل هذه الاحداث الكبرى هجرة جماعات من الناس الى غير مواطنهم ، واستقرارهم وسط جماعات لغوية غير جماعاتهم ، فيؤثرون

في لغاتهم ويتأثرون بها . ومثال ذلك هجرة اليهود إلى فلسطين . وهم قد جاءوا من مناطق ومواطن متفرقة ، ولكن منهم ثقافة ولهجته الخاصة التي تختلف عن لهجية سواه ، بل إن منهم من لم يكن يعرف العربية وقد تعلمتها كثيرا . ومن أجل اختلاط هذه العناصر المختلفة تجد العربية الحديثة تختلف اختلافا واضحـا عن العربية القديمة . ومثال ذلك أيضا الاختلاف الواضح بين اللغة الانجليزية في إنجلترا وفي أمريكا ، فقد تكون الشعب الأمريكي من خليط من الأجناس واكتسب بعضه اللغة الانجليزية . وكان من الطبيعي أن يكون لذلك أثره في الانجليزية الأمريكية . ثم هناك مثلا لذلك أيضا لغة « الأفريكانا » في جنوب أفريقيا . وهي خليط من الانجليزية والهولندية مع بعض عناصر لغوية أخرى .

٣ - تغير مستوى الحياة المادي :

قد تجد ظروف على شعب بدوى تجلب له وسائل الحضارة وأساليب الحياة المدنية . ومن الطبيعي أن تأتي الحياة المدنية معها بأشياء جديدة ، لم يكن يعرفها هذا الشعب من قبل . ومن الطبيعي أن تدخل على اللغة مفردات جديدة تسمى بها هذه الأشياء ، أو أن تغير مفهومات بعض المفردات القديمة لتلائم المفهومات الحديثة . وليك عددا من الأمثلة على ذلك .

١ - الكلمة العربية « قطار » كانت تعني مجموعة من الجمال يسير بعضها خلف بعض . وباختراع السكك الحديدية أصبح مفهوم كلمة قطار مجموعة من العربات يربط بعضها في بعض .

٢ - الكلمة صحفـة - وقد كان معناها « خطاب » أو « رسالة » وهي اليوم ذات مفهوم آخر هو الصحفـة اليومية التي تنقل للناس الأنبـاء .

٣ - الكلمة « سيارة » وهي صيغـة مبالغـة من الفعل - سار - وبهذا كانت تدل على أي مؤـنـث كثـيرـ السـيرـ . أما اليوم فهي تدل على الآلةـ الحديثـةـ

المعروفة بخصوصها دون غيرها ٠

٤ - كلمة « طيارة » و « طيار » وهما صيغتا مبالغة من الفعل - طار - تدلان على أي شيء كغير الطيران . أما الآن فمدلولهما خاص بالآلة التي تطير وبالشخص الذي يقودها . والالمثلة على هذا النوع كثيرة .
وهناك مفردات تدخل اللغة عن طريق الاقراض أو الابتكار ، تسمى بها المختارات التي تند إلى موطن لغوي من بلاد أخرى ، واليك أمثلة لذلك :

الكلمة « تليفون » تكون من جزئين « تلي » و معناها بعيد و « فون » و معناها صوت . وعندما ابتكرت هذه الآلة استعمل مختر عها هذين اللفظين اللاتينيين على هذا النحو ، وجعلهما اسماء لهما . وشاعت هذه الآلة وانتقلت مع اسمها هذا إلى كثير من المواطن اللغوية . وعلى عهد هتلر بألمانيا ظهرت نزعة لتبديل الأسماء غير الألمانية واستعمال ألفاظ ألمانية . وقد استعمل بدلا من الكلمة (تليفون) الكلمة مركبة من أصلين ألمانيين هي « فرن شبراخ » و « فرن » معناها « بعيد » و « شبراخ » معناها « كلام » . وقد حدث هذا في بعض البلاد العربية أيضا ، حينما سمي التليفون باسم (الهاتف) . ويعمل المجمع اللغوي بالقاهرة وسواء من المعاهد اللغوية المماثلة على ابتكار ألفاظ ذات أصول عربية للمختارات الحديثة . وقد أطلق على الساندويتش لفظ « الشطيرة » وجمعها « شطائر » ، وعلى التليفون لفظ « المسرة » وعلى الجرامافون لفظ « الحاكي » الخ .

ثانيا - الظروف العقلية :

تعني بالظروف العقلية مجموعة الآراء والمعتقدات التي يؤمن بها شعب من الشعوب . ويطلق البعض على هذا المفهوم كلمة « ثقافة » (culture) . ولللغة مرآة لثقافة الشعب الذي يتكلمتها ، بمعنى أنها تعبر

عن مشتملات هذه الثقافة ٠ وليس من الضروري أن يستلزم اتحاد لغة شعيبين اتحاد ثقافتهما ٠ فثقافة الشعب الامريكي تختلف عن ثقافة الشعب الانجليزي مع أنهما يتكلمان نفس اللغة ٠

وتنعكس الثقافة بصفة خاصة في مفردات اللغة التي تتأثر بالاعتبارات الدينية ومقتضيات الذوق العام عند الجماعة اللغوية ٠ واليكم بعض الأمثلة : -

١ - لا يلفظ اليهود كلمة (الوهيم) بمعنى الله ، بل يقولون بدلا منها كلمة (أدوناي) بمعنى سيدى ٠ وذلك بالرغم من أن كلمة الوهيم قد تكون مدونة في النص الذي يقرأونه ٠

٢ - لا يلفظ البزيذية كلمة (شيطان) ، ولا أية كلمة يوجد فيها حرف الشين ٠ وهذا يقتضي تغيير حرف الشين اذا ورد في الكلمة أو استعمال الكلمة اخرى بمعناها ٠

٣ - في اللغة النوبية تشبه صيغة نفي الفعل الماضي بمعنى (شرب) الكلمة عربية قبيحة ٠ ولهذا لا يستعمل النوبيون نفي هذا الفعل بالطريقة التي ينفون بها سواه من الاعمال ، بل ابتكرروا طريقة اخرى لنفيه ٠ ومن المشاهد في بلادنا في هذه الايام أن حركة التطور الثقافي والعلمي ، قد أدخلت على لقتنا العربية مفهومات جديدة في مختلف فروع العلوم ، فعربنا هذه المفهومات أو اترضنا ألفاظ للتعبير عنها من مختلف (اللغات الاوربية بصفة خاصة ٠)

ثالثا - الظروف الكلامية :

الظرف الكلامي هو كل ما يحيط بالعبارة من ظروف عقلية أو مادية ٠ ويعزز هذا الظرف تأثيرا قويا في مدلول العبارة ، الى درجة أنه قد لا يفهم المقصود منها على وجه التحديد ، دون معرفة الظرف الكلامي الذي قيلت فيه بدقة ٠

لتأخذ مثلا عاديا يجري أمامنا كل يوم . رأى شخص صديقا له يلعب الكرة بأسلوب بارع ، فقال « يا ابن الكلب دا لعب ممتاز » . وسمعه صديقه اللاعب فالتفت إليه مبتسمًا وقال « أشكرك » في هذا الظرف الكلامي لا تعني عبارة « ابن الكلب » سبابا بل اعجابا . ولكنها في ظرف كلامي آخر قد تعني سبابا ولا شك ، كما لو قالها الشخص لصديقه أمام حشد من الناس .

ومن أمثلة هذا الحديث الشريف الذي يقول ما معناه (تنكح المرأة ثلاثة حسبيها ومالها وجمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك) . والمعنى القاموسي لتربت يداك « قطعتا » . والنبي عليه الصلاة والسلام في هذا الظرف لا يدعو على من ينصحه بالزواج بذات الدين بقطع يده .

وقد يكون الظرف الكلامي متضمنا لكلام سابق ، كما لو قلت « من جاء ؟ » فاجاب شخص (محمد) . وبفضل هذا الكلام السابق الذي هو جزء من الظرف الكلامي ، عرفنا به نسبة المجيء إلى محمد ، بالرغم من أن الشخص الذي أجاب لم يذكر لفظ فاعل المجيء على الاطلاق . ومعظم التأويلات التحوية ليست أكثر من تفسير للظرف الكلامي وما يتضمنه من دلالات .

وقد يكون الظرف الكلامي اعتبارا عقليا معينا ، كما لو قال لك شخص تحبه شيئا فكان جميلا مقبولا . ثم يقول من بعده شخص لا تحبه نفس الشيء فيثير فيك الشك . وقد يتضمن تذكر حدث تاريخي ، أو عادة اجتماعية ، فمثلا عبارة « أنه حاتم » تدل على الكرم ، لعرفتنا بالحقيقة التي تقدر كرم حاتم . كما تدل عبارة « أنه عترة » أو « كأنه قيس » على الشجاعة أو التفاني في الحب ، لما تقرره الحقائق التاريخية المعروفة لنا عن هذين الشخصين .

وتعتمد الكتابة الأدبية عامة والمسرحية منها بصفة خاصة ، على خلق الظروف الكلامية المختلفة التي تضفي على عباراتها معانٍ أخرى ، غير مجرد معانٍها القاموسي ، أو التي تضفي عليها كما يقول النقاد جوا معينا .

« العائلات اللغوية »

نلاحظ لأول وهلة وجود شبه واضح بين عدد معين من اللغات ، كذلك الذي يوجد بين الفرنسية والإيطالية ، أو بين العربية والبربرية ، أو بين لهجة القاهرة ولهجة بغداد . وقد يكون الشبه من القوء بحيث لا يملك إلا أن نقول بأن اللغات التي يوجد بينها هذا الشبه قد انحدرت من أصل تاريفي واحد .

وقد لاحظ علماء الاحياء هذه الحقيقة بين أنواع الحيوان والنبات المختلفة واتهوا إلى نظرية المعروفة التي تقسم طبقاً لها هذه الاحياء ، إلى ما يسمونه بالعائلات الحيوانية أو العائلات النباتية . وقد تأثر علماء اللغة بعد دارون بنظرية العائلات في علم الاحياء فأطلقوا على اللغات التي يزيد بينها الشبه اسم « عائلات لغوية » . وقد انتهى علماء اللغة إلى القول بضرورة توفر شروط معينة ، حتى يمكن القول بأن لغتين تتبعان إلى عائلة لغوية ما . وهذه الشروط هي : -

- ١ - التشابه بين النظم الصوتية .
- ٢ - التشابه بين النظم الصرفية .
- ٣ - خصوص الاختلافات بين النظم الصوتية والصرفية لقواعد مضطربة .

أما التشابه في تركيب الجملة والتشابه في المفردات ، فلهما أهمية ثانوية ، نظراً لشدة تأثير هذين المظاهرتين من مظاهر اللغة بالقرض من اللغات الأخرى تأثيراً كبيراً .

وعندما يلاحظ اللغوي الشبه في هذه الوجوه بين مجموعة من اللغات ، يجمعها تحت اسم عائلة لغوية . وقد يزيد قرب لغتين أو أكثر من اللغات التي تتبع إلى عائلة ما ، عن القرب الموجود بينهما وبين بقية لغات العائلة .

ويشبه هذا زيادة الشبه بين الآخرين عن الشبه الذي يوجد بين أبناء العِمْ •
وعلى ضوء هذا استعرض اللغويون اللغات القديمة المعروفة لنا ، واللغات
الحديثة المعاصرة ، وقارنوا بعضها بعض وفق الشروط الثلاثة المقدمة ،
وانتهوا للقول بوجود ست وثلاثين عائلة لغوية ، تتفاوت درجة معرفتنا بها
حسب ما لدينا منها من مادة • وقد تكشف البحوث المقبلة عن وضع
بعض اللغات في نطاق عائلة لا ينبغي أن توضع بين أفرادها ، أو عن زيادة
عدد العائلات اللغوية أو قتها عن ست وثلاثين •

ستعرض للشروط الثلاثة المقدمة الذكر : -

أولا - التشابه في النظم الصوتية •

نمثل لهذا بالنظم الصوتية في اللغات السامية وفيها يلاحظ : -

أ - فقر هذه اللغات جميعا في الحركات ، فهي لا تعدو الفتحة
والكسرة والضمة قصيرة وطويلة • وأما ما في العبرية من زيادة في عدد
الحركات ، فإنها تطور حديث لعله حدث بتأثير استعمال اليهود ، من غير
سكان الشرق الأوسط (أى في أوربا وأمريكا) للغة العبرية إلى جانب
لغة البلاد التي كانوا يعيشون فيها • ومن المعروف أن الكتابة السامية لم
ترسم الحركات القصيرة ، الا في عصر متأخر كما حدث في العريسة •
ولهذا فقد اعتمدنا في معرفة الحركات السامية على بعض الامور التي منها ،
كتابه بعض الاعلام السامية باللاتينية والاغريقية ، وهما ترسمان الحركات
بحروف مستقلة • ومنها ضبط النصوص المقدسة بالحركات التي ابتكرت
في عصر متأخر - وقد حدث هذا بالنسبة للقرآن والكتاب المقدس - واهتمام
الكتابية الائوبية والاكادية بالحركات ووضع رموز خاصة لها ، والأوزان
الصرفية التي تعتمد على نوع الحركة وطولها مثل وزن فعل أو
فاعل ٠٠٠ الع •

ب - تعنى هذه اللغات بالساكن وخاصة الانفجارية والاحتكاكية
والثوية والحلقية كما ترى في الجدول التالي :

ومن هذا الجدول يظهر بوضوح أن عدد الأصوات الانفجارية والاحتكاكية يبلغ اثنين وعشرين صوتا من ستة وعشرين ، وأن الأصوات اللثوية والأسنانية والحلقية تبلغ اثنين وعشرين من ستة وعشرين . هذا مع إغفال الواو والياء المتحركتين .

ح - أهمية صفة التفخيم واعتبارها من مميزات الكلمات . وأنت تجده أن مجرد الاختلاف في التفخيم يعني الكلمتين المتشابهتين تماماً من الناحية النطقية . وذلك مثل « سام وصام » و « تاب وطاب » و « كال وقال » و « ذل وظل » و « دل وضل »^(١)

ولا تختلف احدى الكلمتين عن الأخرى في هذه الأزواج من ناحية النطق في غير التفخيم ، الذي تميزه الكتابة العربية بالاختلاف بين « س و ص » و « ت و ط » و « ك و ق » و « ذ و ظ » و « د و ض » . وهذه الحقيقة تشمل اللغات السامية كلها ولهجاتها .

ثانياً - التشابه في النظام الصرفي .

أهم ما يميز اللغات السامية بناء كلماتها من مادة اشتقاء ، وفق

• طبقاً للنطاق الفصيحي كما وصفه العرب . (*)

١١) في نطق المصريين والسوريين والسودانيين .

موازين معينة . فمن مادة « لك ل » تشتق الماضي والمضارع والمصدر
٠٠٠ الخ ، على أوزان معينة . وتشترك جميع اللغات السامية في هذا الامر

ثالثا - خصوص الاختلافات لقواعد محددة .

من الواضح وجود اختلافات بين لغات المجموعة الواحدة ، أو
اللهجات التي تسمى اللغة واحدة . ولنأخذ مثلاً اللهجة العراقية والمصرية
وسنجد بينهما فروقاً صوتية يمكن أن يوضع بعضها في القواعد التالية : -

أ - أصوات التاء والذال والظاء تنطق في العراقية بوضع اللسان
بين الأسنان . أما في المصرية فإنها تنطق بوضع طرف اللسان بحيث يلامس
المثلثة .

ب - القاف الفصحي تنطق في العراقية « گ » بينما تنطق في المصرية
همزة .

ح - الجيم الفصحي تنطق في العراقية جيماً صلبة « أي معطشة »
(ج) بينما تنطق في المصرية جيماً رخوة « غير معطشة » الخ .

ومن القواعد التي تضبط الفرق بين العربية والبربرية ما يأتي :-
أ - كل شين في البربرية تكون في العربية سينا مثل « شلومو » البربرية
في العربية « سليمان » ، و « شمعون » البربرية « اسماعيل » في العربية .
و « شمس » البربرية « شمس » في العربية .

ب - كل كاف في البربرية تكون في العربية خاء . مثل « ملك » البربرية
وهي في العربية « ميلخ » و « حكيم » في البربرية وهي في العربية « حاخام »
الخ .

ح - صيغة « فاعل » في البربرية تكون في العربية « فوعيل » ٠٠٠ الخ .
رابعاً - من ناحية المفردات تشترك اللغات السامية في عدد كبير منها كما في

المثال الآتي : -

العربية	الآتيوبية	الآرامية	العربية	الأكادية
كلب	كَلْبٌ	كَلْبٌ	كَلِبٌ	كَلْبُ'
(Kalb)	(Kalb)	(Kalbā)	(Kelev)	(Kalbu)
قرن	قرن	قرنَ	قِيرِين	قَرَنْ'
(qarn)	(qarn)	(qarnā)	(qeren)	(qarnu)
رأس	ريش	ريشَ	رُش	رِيشُ'
(ra's)	(rē'ēs)	(risa)	(ros)	(résu)

الخ

خامساً - من ناحية القواعد ، تشتراك جميع اللغات السامية في التفريق بين المذكر والمؤنث ، والمفرد والثنى والجمع ، وزيادة حروف المضارعة في صيغة الفعل ، ووجود حالات اعرابية ثلاثة ٠٠٠ الخ (١)

« العائلة اللغوية السامية »

ذكرنا ان اللغات الانسانية قد قسمت الى مجموعات ، تعرف كل منها بعائلة لغوية ٠ وقد حظيت العائلة السامية باهتمام كبير ٠ وذلك نظراً لتدوين نصوص الكتاب المقدس بالعربية ، والقرآن الكريم بالعربية ، والأهمية الثقافية البالغة للغة السريانية التي استعملت واسطة لنقل التراث الاغريقي للعربية ٠ وأهم العائلات اللغوية من وجهة نظرنا « العائلة السامية » لأنها العائلة التي تنتهي اليها اللغة العربية ولهجاتها ٠ وهي التي سيدور حولها محور مناقشتنا ٠

الهجرات السامية : -

كانت شبه الجزيرة العربية منذ قديم العصور منطلقًا لهجرات

(١) قد تختفي بعض هذه المميزات من احدى اللغات بمرور الزمن كاختفاء بعض الحروف الحلقية واعراب أواخر الكلمات بالحركات من العربية ٠ ولكنها لا تزال تحتفظ ببقايا تثبت وجود هذه الصفات فيها من قبل ٠

متواالية ٠ وهذا أمر يتفق مع حياة البدو الرحل ، الذين لا يكادون يقيمون في مكان ما ، حتى يطوفون خيامهم ويدأون رحلة أخرى ، جنريا وراء المرعى ٠ ومن الطبيعي أن تتجه الهجرات من قلب الجزيرة الى أطرافها الشمالية ، في الشرق والغرب حيث يوجد دجلة والفرات في أرض العراق ، وحيث تجود الطبيعة بالمطر وروافد الانهار في أرض الشام وفلسطين ٠ وقد ذكر المؤرخون هجرات هامة ، خرجت من شبه الجزيرة الى هذه الاماكن ، يهمنا منها موجات خمسة لها أثراً لغوياً كبيراً ٠

١ - هجرة الأكاديين

خرجت هذه الموجة من القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، حوالي القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد ، متوجهة نحو القسم الجنوبي من بلاد العراق ، أي الى الحوض الاوسط لنهر دجلة ، حتى الخليج العربي ٠ وقد كانت هذه المنطقة مأهولة بسكان غير ساميين ، يعرفون بالسومريين أو الكلدانين ٠ وقد تقلب المهاجرون الساميون عليهم ، وأقاموا مملكة لهم في بابل ٠ ثم تلت هذه الموجة موجات اخرى اتجهت للشمال ، وأقاموا مملكة أشور ٠ ثم نقلوا عاصمتهم فيما بعد الى مدينة نينوى ٠ وأطلق على لغات هؤلاء المهاجرين اسم « اللغات البابلية الأشورية أو اللغات الأكادية » ٠

وقد تأثرت هذه اللغات السامية بلغات السكان الأصليين تأثيراً كبيراً ، في أصواتها وقواعدها ومفراداتها ٠ كما استعملت الرسم المسماري الذي كان يستعمله السومريون في الكتابة (٣) ٠

٢ - هجرة الكنعانيين

خرجت هذه الموجة من القسم الجنوبي العربي من شبه الجزيرة ٠

(٣) انظر « فقه اللغة » لعلي عبد الواحد وفي ص ٢١ - ٢٩
القاهرة ١٩٥٦ وانظر أيضاً Gray's Foundation. P. 358

حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ٠ واتجهت إلى الشمال الغربي حتى استقرت في فلسطين وسوريا ٠ وأشهر اللغات التي كان يتكلّمها هؤلاء « اللغة финيقية » و « اللغة العبرية » ٠ ويرجح أن финيقين هم أول من اخترع الكتابة السامية ، حيث كانوا بحارة وتجاراً تقتضيهم أعمالهم الاتصال بالشعوب الأخرى ٠ وقد تأثروا في كتابتهم بالكتابة الهيروغليفية فأخذوا عنها ثلاثة عشر حرفاً من حروفهم الاتنين والعشرين ٠

ومن الكتابة финيقية اشتقت الكتابة العبرية والسوريانية والنبطية ٠ وعن السريانية والنبطية أخذت الكتابة العربية ٠ كما أخذ عن الكتابة финيقية أيضاً الكتابة الاغريقية ، التي أضافت إلى ما أخذته عن финيقية حروفًا مستقلة ترمز للحركات ٠ وعن الاغريقية أخذت الكتابة اللاتينية ، التي هل أصل الكتابة الاوربية المعاصرة ٠ أما اللغة العبرية فرجع أهميتها إلى أنها لغة الكتاب المقدس ، الذي يدين به الأوروبيون ٠ ولهذا فقد حظيت بدراسات وافرة لها قيمتها في حقل الدراسات اللغوية عامة والسامية خاصة ٠

٣ - هجرة الآراميين

خرجت هذه الموجة من قلب الصحراء في القرن السادس عشر قبل الميلاد ٠ واتجهت شمالاً حيث استقرت بين المنطقة التي يسكنها الأكاديون في العراق والتي يسكنها الكلعانيون في الشام ٠ وظلت القبائل الآرامية مصدر ازعاج لكل منهما ، فكانت دائمة الاغارة عليهم وغزو بلادهم ٠ ولم يلبثوا أن اتجهوا في شعبيتين ، استقرت أحدهما في العراق حيث قضت على الآشوريين والبابليين ، وحلت لغاتهم محل اللغات الآشورية والبابلية ٠ أما الشعيبة الأخرى ، فقد استقرت في الشام ، وقضت على финيقية والعبرية ٠ وقد انقسمت لغة الآراميين إلى لهجات عديدة ، اشتهر منها « السريانية » ، التي أصبحت فيما بعد أهم لغة سامية ، وذلك قبل سيطرة اللغة العربية ٠ وقد كانت اللغة السريانية لغة العلم حتى العصر الإسلامي ، فاليها ترجمت

كتب الاغريق ثم نقلت عن السريانية الى العربية . كما ترجم الكتاب المقدس .
من العربية الى السريانية .

٤ - الموجة العبيشية

خرجت هذه الموجة من شبه الجزيرة ، قبل ميلاد المسيح بقرون .
فليلة . وقد اتجهت عبر خليج عدن الى بلاد الحبشة الحالية ، حيث أصبح
عدد المتكلمين باللغة السامية التي تعرف بالحبشية الآن نحو سبعة ملايين .
وتسمى اللغة الحبشية الى الشعبة السامية الجنوبية وهي أقوى شبهها باليمنية .
القديمة منها باللغات السامية الاخرى .

٥ - الموجة العربية

لا نريد أن نطلق على هذه الحركة اسم « هجرة » ، لأنها تختلف
اختلافا جوهريا عن الموجات الإنسانية التي تمثلت في الهجرات السالفة
الذكر .

ولقد خرجت تلك الهجرات بقيادة العدوان على أرض جيرانهم ، أما
الموجة العربية فكانت دعوة عقائدية ، لم تطرد الناس من ديارهم ولم تقصد
أساسا للحلول محلهم .

وبصرف النظر عن هذا الاعتبار ، فإن الذي يهمنا هنا هو أن نذكر
أن الجزء الشرقي من شبه الجزيرة كان مسكننا للقبائل العربية في الشمال ،
واليمنية في الجنوب . وكانت للمنيين لغتهم الخاصة ، التي تختلف اختلافا
واضحا عن اللهجات العربية . ولكن اللغة اليمنية القديمة لم تعم طويلا
بعد سيطرة العربية ، فلم يصلنا منها غير نقوش قليلة .

وجاء الاسلام ، وانتشرت الموجة العربية تحمل معها دينها ولغتها ،
حتى قضت على اللغة السريانية ، التي كانت تسود أطراف شبه الجزيرة
الشمالي ، شرقا في العراق ، وغربا في بلاد الشام . وبقيت السوريانية لغة

تقافة وعلم ، حتى العصر العباسي ، حيث استعملت واسطة في ترجمة علوم الأغريق .

ومن بلاد الشام اتجهت الموجة العربية الإسلامية إلى مصر ، حيث التقت العربية بالقبطية التي عاشت معها جنبا إلى جنب ، حتى انقرضت منذ قرن واحد من الزمان . وتشعبت الموجة العربية إلى الجنوب حتى بلاد النوبة والسودان ، وإلى الغرب حيث التقت بالقبائل البربرية في ليبيا وتونس والجزائر ومراكنش . وعاشت العربية مع اللغة البربرية جنبا إلى جنب حتى عصرنا هذا . ثم عبرت الموجة مضيق جبل طارق إلى إسبانيا والبرتغال حيث سيطرت اللغة العربية حينا طويلا من الدهر .

وتحت ضغط الفرنجية انكمشت العربية ثانية ، وخلفت آثارا هائلة من مفرداتها في اللغتين الإسبانية والبرتغالية .

أما في جنوب شبه الجزيرة ، فقد اتجهت الحركة الإسلامية إلى بلاد اليمن ، وانتشرت العربية مع الدين الجديد ، ثم عبرت خليج عدن إلى بلاد الحبشة ، حيث دان أهلها بالإسلام دون أن يأخذوا العربية لسانا لهم (٤) .

وهكذا حدث توحيد لغوي في المنطقة التي تعرف اليوم بالوطن العربي ، من بلاد مراكنش في الغرب إلى حدود إيران في الشرق ، ومن الساحل الجنوبي للبحر الأبيض إلى خط الاستواء في السودان . ومع سيادة اللغة العربية في هذه المناطق الشاسعة ، بقيت جزائر لغوية يتكلم أهلها اللغات القديمة التي قبضت عليها العربية . ومنها لغة « كلدان » في العراق ، ولغة بعض القرى التي تتكلم السريانية في سوريا ، ولغة عائلات قليلة من الأقباط تتكلم القبطية ، ولغة الكنيسة القبطية في مصر ، ولغة البربر التي لا تزال تعيش جنبا إلى جنب مع العربية في بعض بلاد شمال إفريقيا .

(٤) كانت الحبشة تشمل أريتريا والصومال واقليم الجالا ويدين سكان هذه المناطق بالإسلام وإن كانوا لا يتكلمون العربية .

«اللغة العربية»

اللغة العربية كما يؤخذ مما ذكرنا فيما قبل مجموع ما نطق به أو ينطق به كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية العربية . وهذا يعني أن يشمل بحثنا مجالات ثلاثة ؟ اللهجات العربية القديمة واللغة الفصحى واللهجات العربية الحديثة .

أولاً - اللهجات القديمة

كانت طبيعة الجزيرة العربية من أهم العوامل التي ساعدت على كثرة لهجات سكانها . فالصحراء الشاسعة التي تفصل بين قبائل وآخرين ، جعلت من الممتنع اختلاط هذه القبائل ، اختلاطًا يمكن من التوحيد اللغوي ، ونشوء لغة مشتركة . وهذا القول يصدق بصفة خاصة على قلب الجزيرة العربية . أما في أطرافها من الشرق والغرب والشمال ، فقد كانت توجد بلاد الشام ، وفي الشرق كانت توجد اليمن الخضراء والحجاز . وقد حادت الطبيعة على هذه المناطق بماء الانهار ، أو مياه الامطار ، فوجدت المراعي التي كانت القبائل ترحل في طلبها . ومن هنا قدر لها أن تلتقي في الحرب والسلم ، وان ترتبط بالعداء أو الولاء .

وهذا يتضمن أن نقسم اللهجات العربية القديمة إلى قسمين ، لهجات قلب الجزيرة وهي متعددة ومعزولة ولا نعرف عنها شيئاً يكاد يذكر . وللهجات القبائل الغربية على ساحل البحر الأحمر والهجرات القبائل التي سكنت شاطئ الخليج العربي وسهول العراق المطرة ، وهذه لهجات قدر لنا الاتصال بها ، وعرفنا عنها الكثير بفضل ما نقله علينا المفسرون وعلماء القراءات والنحو .

على أن الملة اللغوية التي نقلها علينا النحواء العرب معيبة من عدة

١ - لم يهتم النحاة اهتماما خاصا باللهجات ، فيما عدا عدد قليل منهم ، فلم يذكر سبويه من تراكيب اللهجات الا ما قبله العربية الفصحى كما كان يراها ، وكان يدخل التعبيرات المهجية أما في لهجة الحجاز ، وأما في لهجة تميم ولا غير . وهذا الصنف من سبويه ، وإن كشف عن ادراكه الفرق بين العربية الشرقية وال العربية الغربية ، يتجلّى أنه قد كان في كل من المنطقة الغربية والشرقية لهجات متعددة ، احدها تميم في الشرق والجاز في الغرب . وبعد سبويه تخلص النحاة مما ذكره عن تفاصيل اللهجات . وظل الحال كذلك حتى جاء الأسطرابادي (المتوفى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٧ م) والسيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) فجمعوا ما ورد من اللهجات في شرح الكافية للأول والزهر للثاني وكذلك فعل ابن عقيل والأشموني والسيوطى وسواهم من شراح الفية بن مالك .

٢ - كان أغلب ما ذكره النحاة عن اللهجات قاصرا على ما ورد في اللغة الأدبية منها واعتبر فصيحا . وقد عالج النحاة هذه المادة بالقياس الذي أجروه على بقية المادة الفصحى ، ووضعوا لها قواعد مفتعلة . ومثال هذا « ذو » الطائية ، التي فرض النحويون خلال مناقشاتهم لها صيغة وتركيبات غريبة على لهجة طيء ، فقالوا بوجود رأي يجعلها تتصرف حسب الأفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأييث (أي : ذو . ذات . ذوا . ذوي . ذوات) . والحق أنها كانت تستعمل بنفس الصيغة في كل هذه الحالات ، كما تشهد بهذا « ذو » العربية القديمة (٢) .

(١) ما سنقوله هنا ملخص عن الفصل الثاني من كتاب :
Rabin Ancient west - Arabian

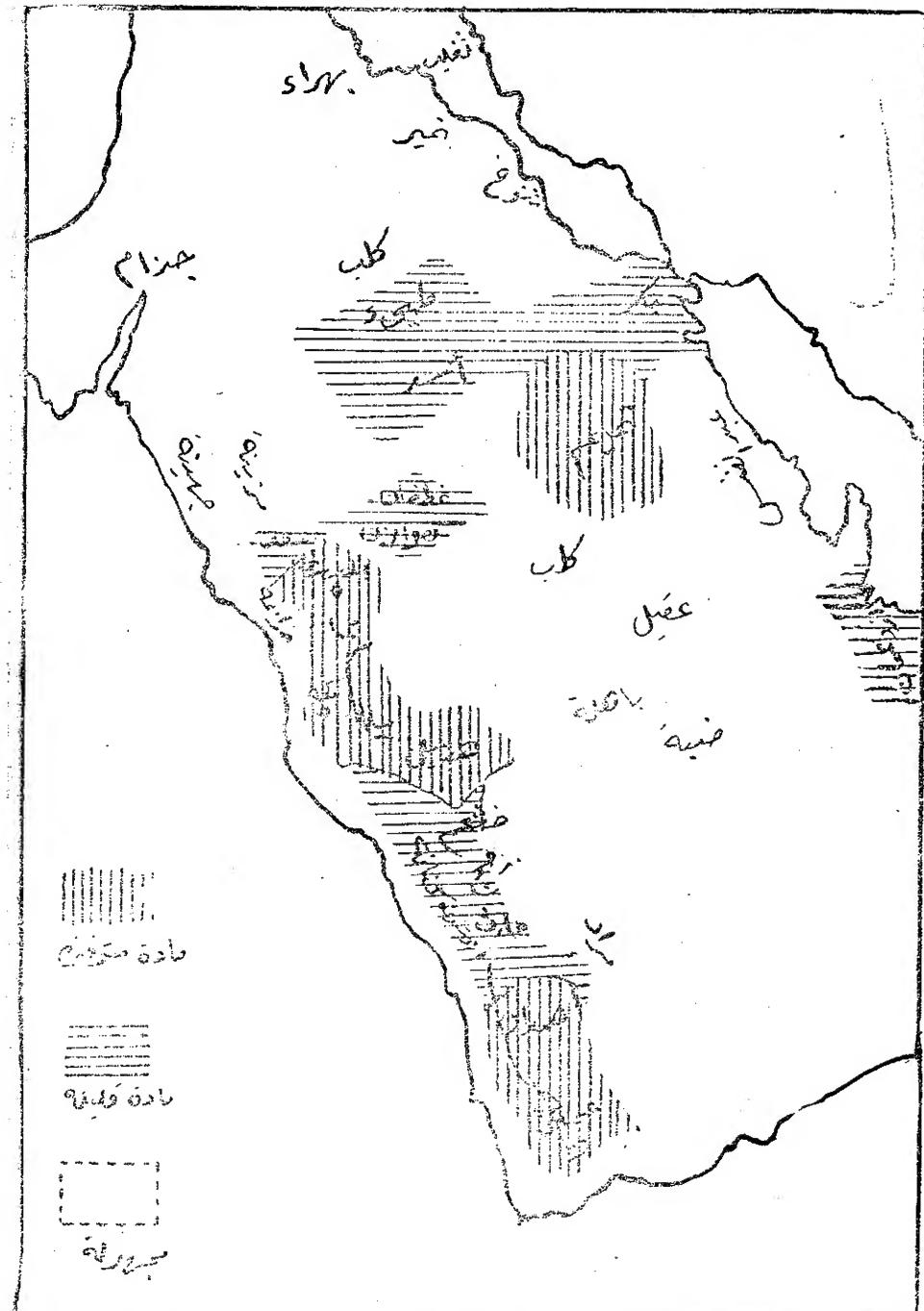
(٢) انظر فيما يتعلق « بذو » الطائية (Rabins) ص ٢٠٤ الفقرة

٣ - كان جامعو القواميس أكثراً من اهتم باللهجات ، ولم يقتصروا عليهم على جمع المفردات التي وردت في القرآن والحديث والشعر ، بل أضافوا إليها مفردات كثيرة نسبوها إلى اللهجات المختلفة ٠ ولذلكم حين أضافوا هذا القسم الثاني من المفردات ، لم يتخذوا لأنفسهم منهجاً محدوداً للتمييز بينها ، وتبين ادخالها تحت هذه اللهجة أو تلك ، إذ انهم ذكروا المفردات مجردة عن النصوص المقوولة التي أخذت عنها ٠ كما أهمل بعضهم ، ذكر مفردات اللهجته التي يتكلم بها ، مثل ابن دريد ، وكان يتكلم اللهجة « أزد » ٠ وأهمل آخرونأخذ مفردات اللهجات عن القبائل التي كانت تتكلّمها من معاصرهم ، كما فعل شراح « ديوان هذيل » ، حين أهملوا الرجوع لأبناء قبيلة الشاعر ، التي كانت تسكن بمقربة من مكة ٠ والمرجع الوحيد الذي حوى مادة منتظمة عن أحدى اللهجات ، هو كتاب « الاكليل » للهمذاني ؟ وهو خاص باللهجة حمير ٠ ولكن هذا المرجع مع الاسف قد فقد ٠

٤ - ظهرت طائفة من كتاب القواميس التي اهتمت بجمع الالفاظ التي تؤدي معندين متضادين ٠ وقد خلط هؤلاء بين الالفاظ اللهجات المختلفة ، اذ ليس من المقبول أن يستعمل لفظ بمعنىين متضادين في جماعة لغوية واحدة ٠ والحقيقة أن اللفظ قد استعمل بمعنى ما في قبيلة ما ، وأنه نفسه قد استعمل بمعنى آخر في قبيلة أخرى ، ولم يعين هؤلاء المؤلفون القبائل التي نقلوا عنها هذه الالفاظ بتلك المعاني المتضادة ٠

هذه بعض الصعوبات التي تواجه الباحث في اللهجات القديمة^(٣) ٠
والى جانب هذه الصعوبات لم يذكر اللغويون العرب معلومات كافية عن

(٣) (Rabins) وفي الفصل الذي خصصه لهذا الموضوع طائفة كبيرة من هذه الصعوبات ٠



شكل - ١ - نسبة ما نعرفه عن اللهجات القديمة

جميع اللهجات القديمة ، بل لقد أهملت بعض اللهجات اهتمالاً تاماً • وما ورد عن بعضها الآخر كان قليلاً أو مضطرباً • (انظر شكل ١)

ثانياً - العربية الفصحى

حظيت العربية الفصحى باهتمام العلماء العرب في أوائل العصر الإسلامي • واستمر هذا الاهتمام حتى اليوم • وقد حُضرت مفرداتها في قواميس نظمت هجائياً أو دلائلاً ، وألقت الكتب العديدة في قواعدها • وفي العصر الحديث ، حظيت العربية الفصحى باهتمام المستشرقين ، فأعادوا كتابة قواعدها وتجميل قواميسها • وذلك لأن اللغة العربية الفصحى أكثر تمثيلاً للغات السامية القديمة من أية لغة سامية أخرى •

أصل العربية الفصحى : -

المصادر الأولى للعربية الفصحى أربعة ، الشعر الجاهلي والقرآن ، والحديث الشريف وبعض الوثائق المختلفة الباقية من صدر الإسلام ، كرسائل النبي التي دعا فيها بعض الملوك للإسلام ، ومعاهداته التي عقدها مع غير المسلمين • والشعر الجاهلي أقدم هذه الآثار • حيث أنه قد سبق انزول القرآن بنحو قرنين من الزمان •

والذى يلاحظ أن الشعر العربي لا يمكن أن يمثل طفولة اللغة الفصحى ، وذلك لأنه شعر ناضج الأسلوب ، ملء بالصور والخيالات والاستعارات ، وهذه مهما قيل عن فضل الشاعر في ابتكارها ، لابد أن تتقرر تقليداً ثابتاً في اللغة ، قبل أن يتاح للشاعر ابتكارها • واللغة في مرحلة شسانتها لا تتجاوز التعبير عن حاجات المجتمع المباشرة ، كطلب الطعام أو الشراب ، أو التغنى بأسلوب بسيط ، كما نرى نحن في لهجاتنا العامية ، وهو خاصة في بيئات الريف وبين غير المتعلمين • وهذه اللهجات تكفي ولاشك في التعبير عن ضرورات الحياة العملية ، ولكنها لا تنهض وسيلة للتعبير الفني

الراقي ٠ ولتصور مثلاً أنني طلبت إليك القاء محاضرة في مادة «علم اللغة»، أو «الفلسفة» باللهجة الدارجة، دون الاستعانة بمفردات العربية الفصحى. هل ترى ستعفوك هذه اللهجة الدارجة، أم ستجد نفسك مضطراً إلى الاستعانة بالعربية الفصحى على نطاق واسع؟! لابد لك من الاستعانة بالفصحي، لأن اللهجة الدارجة لم تمرس بعد بهذا النوع من التعبير ٠ ولا بد لها من مرور فترة من الزمن تزاول فيها انتاج الاعمال الفنية والثقافية، حتى يستقيم لها هذا المستوى التعبيري ٠

ويعنى هذا أن وجود الشعر العربي الجاهلي في مستوى قصيدة، المأهول التي قالها في حرب البسوس، أو في مستوى شعر أمرىء القيس، أو عترة دليل على أن اللغة العربية كانت قد بلغت مرحلة نضوج في العصر الذي قيلت فيه هذه القصائد ٠ معنى هذا أن الشعر الجاهلي لا يلقي ضوءاً على طفولة اللغة الفصحى، أين نشأت ومتى نشأت ٠ وقد كثرت الآراء حول هذين الأمرين وسنلخصها فيما يلي :

١ - آراء اللغوين العرب

انقسم علماء العرب في آرائهم عن أصل العربية الفصحى إلى طائفتين، طائفة تقول بأن الفصحى خليط متجمع من اللهجات العربية المختلفة ٠ ومن هؤلاء ابن جني في كتابه «الخصائص»، وابن الأباري في «رسالة الأصداد» ٠ أما الطائفة الثانية فترى أن العربية الفصحى قد تولدت عن لهجة بعضها من لهجات العرب ٠ وتعتبر لهجة الحجاز (وقد يُشير من الحجاز) عند عدد كبير منهم أصل العربية الفصحى ٠ وهم يعللون لذلك بأن القرآن قد نزل باللغة الفصحى، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يتكلم في حياته العادمة اللغة الفصحى لأنها أشرف اللهجات ٠ ولما كان النبي من

قرיש ، أي من الحجاز ، فان هذا يعني أن تكون الفصحى هي أساسا
الهجة الحجاز .

ويقول الصاحب مثلاً «أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواية لأشعارهم
والعلماء بلغاتهم وأيامهم أن قريشاً أفسح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة
وذلك لأن الله جل ثناؤه ، اختارهم من جميع العرب ، واصطفاهم ، واختار
من بينهم نبي الرحمة » ^(٤) .

أما المعاصرون فهم أيضاً على قسمين ، يمثل أحدهما الاستاذ الدكتور
ابراهيم أنس ، في كتابه «في لهجات العربية» حيث يقول في
ص ٣٢ ^(٥) :

«نحن اذن امام لهجات مستقلة ، ذات صفات خاصة ، تميزت بها
القبائل العربية قبل ظهور تلك العوامل السياسية ، التي أدت آخر الأمر إلى
ظهور الاسلام . فلما دعت الحاجة إلى اتصال القبائل في مواسم الحج قبل
الاسلام ، والى عقد تلك المؤتمرات الثقافية التي سميت بالأسواق ، بدأت
ال الحاجة إلى وسيلة للتفاهم تجمع بين تلك القبائل » ثم هو يقول في ص ٣٦
«وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء ، وشعر بها الشعراء ، ونزل بها
القرآن الكريم ، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة » . وهو في هذين
النصين يقرر وجود لهجة خاصة بكل قبيلة ، هي لغة التخاطب في حياتها
العامة ، إلى جانب اللغة الأدبية التي تستعمل في المجالات الثقافية .

أما المعاصر الآخر الذي عرض للموضوع نفسه في كثير من التوسع ،
 فهو الدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه «فقه اللغة» ^(٦) . وهو يقرر في

(٤) الصاحب ص ٢٣ القاهرة سنة ١٩١١ .

(٥) الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٥٢ - الناشر لجنة البيان العربي

(٦) الطبعة الرابعة - القاهرة - ١٩٥٦ - الناشر لجنة البيان العربي

صفحة (١٠٣) أن العربية (ويعني بها الفصحي) قد «نشأت بلاد نجد والهجاز ، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلاها من قبل أخواتها السامية والحمامية » ثم يقرر في نفس الصفحة أننا « لا نعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة ، اذ لم يعثر العلماء في مواطنها الأولى بنجد والهجاز ، على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقي ضوءاً على حالتها الأولى » .

هاتان العبارتان متناقضتان ، لأننا اذا كنا لا نعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة ، فان هذا يعني ولا شك ، أننا لا نعرف إن كانت مأخوذة عن لهجة نجد والهجاز ، أو عن غير هذه اللهجة ، لأننا لن نعرف هذا على وجه القطع الا اذا كنا نعرف الكثير عن طفولة الفصحي ، والكثير ايضاً عن لهجة قريش ، قبل نشأة الفصحي أو تطورها عن اللهجة القرشية . والدكتور يقرر في هذا الصدد (ص ١٢) أننا « نجهل ما كانت عليه لهجة قريش ، واللهجات العربية الاخرى في أدوارها الاولى ، جهلاً يكاد يكون تاماً » . الواقع أننا نجهل كل شيء عن اللهجات العربية كلها ، بما فيها لهجة قريش ، وعن العربية الفصحي ، لا في أدوارها الاولى فحسب ، بل حتى عصر الشعر الجاهلي . وذلك لأن كل ما وردلينا عن العربية ولهجاتها المختلفة ، لا يتجاوز ما نقلهلينا المفسرون والقراء ورواة الشعر الجاهلي . ولا تلقي هذه المادة بصيغها من الضوء على الفترة التي تطورت فيها اللغة الفصحي عن لهجة أو اكتر من اللهجات العربية القديمة .

وفي ص ١٠٥ يعدد الدكتور الاسباب التي دعت لتفوق لهجة قريش

فيما يأتي :

- ١ - رعاية قريش للحرم مما اكتسبها مكانة دينية .
- ٢ - سيطرة قريش على اقتصاد شبه الجزيرة ، بتحكمها في الطرق التجارية .
- ٣ - التفوق الحضاري لقريش الناتج عن العاملين السابقين .

٤ - غزارة المادة اللغوية في لهجة قريش .

ونود ان نستبعد السبب الاخير ، لأن ما ورد اليانا عن لهجة قريش - أو بالاحرى لهجة الحجازيين - قد يكون في ذاته كافيا لاثبات الصلة بين العربية الفصحى وهذه اللهجة ، ولكن القول بأنها أصل للفصحى يتطلب دراسة مقارنة واسعة بين الفصحى وكل اللهجات القديمة ، ومنها لهجة الحجاز حتى تبين اذا ما كانت اللهجة الحجازية فعلا أقرب الى الفصحى التي نعرفها من اللهجات الاخرى . ومثل هذا البحث لابد أن يشمل النظم الصوتية ونظم بناء الكلمات ، وقواعد تركيب الجمل . وهو بحث لا نعتقد أن أحدا قد قام به . أما الاسباب الثلاثة الاخرى فانها تصلح اسبيابا لنشأة الاسلام بين قريش ، أكثر مما تكون اسبيابا لتولد اللغة الفصحى عن لهجة قريش ، لأنها قد حدثت جميعا في فترة القرنين السابقين للإسلام . وهي فترة ظلام تاريخي كامل . ولذ لا يمكن أن نقول بأنها كانت موجودة قبل وجود اللغة الفصحى ، حتى تكون سببا في وجودها .

الحق أن الدكتور وافي قد رد ما قاله بعض اللغويين العرب ، وذكر نفس ما جاءوا به من أسباب لتبرير وجة النظر التي قالوا بها .

٢ - آراء المستشرقين .

يرفض المستشرقون بصفة عامة ، الرأي القائل بأن اللغة الفصحى كانت لغة الحياة العامة في الحجاز . ويقولون برأى شبيه بالذى نقلناه من قبل عن الدكتور ابراهيم أيس من وجود اللغة الفصحى الى جانب اللهجات المحلية ، تماما كما نجد اليوم في مجتمعنا العربي ، الذي يستعمل الفصحى في نشاطه الثقافي والعلمي ، ويستعمل اللهجة العامة المحلية في مجالات الحياة الاخرى .

وهم يستدللون على ذلك بأمور :-

١ - ان الشعر العربي الجاهلي لم يكن قاصرا على قبيلة بعينها ، أو

على مكان بعينه من جزيرة العرب وهذا دليل على وجود اللغة الفصحى في جميع أنحاء الجزيرة^(١١) . والى جانب هذا نقل الينا الرواية الكثير من اختلاف لهجات القبائل عن اللغة الفصحى .

٢ - يحضر الحديث الشريف على تحرى الدقة في اعراب الفاظ القرآن ، أي في وضع العلامات الاعرائية الصحيحة على أواخر الكلمات . وهذا يعني أن ابناء القبائل كانوا يخطئون في نطق العربية الفصحى . وهذا لا يتأتى الا اذا كانت اللغة الفصحى لغة ثانية ، الى جانب اللهجة التي يستعملونها في حياتهم اليومية .

٣ - تدل قراءات القرآن المختلفة ، وما ورد في سياق تفسير الآيات القرآنية ، على اختلاف شاسع بين اللهجات العربية ، وبين الفصحى . وفي الحديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » وقد فسر هذا بأنه قد نزل على سبع لهجات عربية مختلفة ، أي متضمنا بعض وجوه الاختلاف بين هذه اللهجات وبين الفصحى .

رأي متحامل : -

يقول لك - فولرز^(١٢) بأن في تحريض الحديث الناس على اعراب

(١١) يقول الدكتور طه حسين بانتحال الشعر الجاهلي غيرالحجازي بحجة ان اللغة الفصحى لغة الحجاز وليس لغة القبائل الأخرى التي تسكن وسط الجزيرة وشرقها .

K. Vollers في كتابه :

Volksprache und schriftsprache in alten arabien 1906.

وما نذكره عنه ، نقل عن مقال :
The Beginnings of classical Arabic. by C. RABIN Studia Islamica
IV. Larose - Paris

وقد نشر في Melmv

وانظر أيضا التعليق الذى كتبه المرحوم الدكتور عبدالحليم النجار ردا على هذا الرأي في ص ٤ - هامش ١ في كتاب « العربية » الذى ترجمة عن يوهان فلك - القاهرة ١٩٥١ .

أواخر الكلمات في القرآن ، دليلاً على أن القرآن لم ينزل بلغة معربة ، لأنه لو كان معرباً فعلاً ما كان هناك أي داع لامرهم باعرابه . وهذا يعني أن القرآن قد نزل أصلاً بلهجة قريش العامية ، وأنه قد روج فيما بعد وأعرب . أما الرد على هذا الرأي المتهافت فتليه خص فيما يلي :

١ - كان في الجزيرة العربية كما أشرنا لهجات محلية ، يتكلم بها سواد العامة من الناس ، ولغة فصحى لا يتقنها إلا الخاصة منهم . ولما نزل القرآن كان الحفاظ والمتقنون يحسنون تلاوته لمعرفتهم بالفصحي . أما عامة الناس ، فقد كانوا حين يتلونه يقعون في أخطاء اعرائية ، قد تسبب اختلاف مدلول الآيات . والحديث الشريف الذى يحض على اعراب القرآن موجه لهذا الصنف الاخير من الناس ، الذى كان يقع في لحن يذهب بجمال التلاوة ، وقد يشوه المعنى القرآنى .

٢ - لو كان القرآن قد نزل بلهجة عامية ثم روجع وأعرب ، لبقيت آثار هذه اللهجة العامية فيه بشكل واضح . والثابت أن الفرق بين أي اللهجة ، وبين الفصحى التي نزل بها القرآن فرق شاسع ، فمثلاً تسقط قريش همزة القطع ، والقرآن يحتفظ بها دائماً . أما ما في القرآن من بعض الصفات اللغوية الحجازية ، فإن الذي يبرر وجودها ، أن القرآن قد استعمل بعض الصفات اللغوية لمختلف اللهجات الحجازية والتميمية وغيرها . ولو صرح أن تكون الصفات الحجازية فيه ، مبرراً للقول بأنه قد نزل بلهجة الحجاز ، لقلنا أيضاً بأنه قد نزل بلهجة تميم وغير تميم ، لوجود صفات خاصة بهذه اللهجات فيه .

٣ - يتصور هذا الكاتب أن الخلاف بين اللهجة الدارجة واللغة الفصحى ، سطحى لا يتجاوز وضع العلامة الاعرائية على أواخر الكلمات الواقع أن هذا الخلاف أكثر من هذا بكثير . ولنحاول مثلا تحويل الجملة التالية من اللهجة العراقية إلى العربية الفصحى :-

« آني جنت هسّا واڭفِ ويَا رَجَالِ كَلْشِ زَيْنِ »
« أَيِّ « أَنَا كَنْتُ الْآنَ وَاقْفَاً مَعَ رَجَلٍ فَاضِلٍ جَدًا »

ـ هل يكفي لتحويلها الى الفصحي ان نقول :

ـ آني جنت هسّا واڭفَا ويَا رَجَالِ كَلْشِ شَيْءِ زَيْنِ »

ـ هذا لا يكفي ـ بل يتحتم أن نغير الامور الآتية :

١ - « آني » تصير « أَنَا »

٢ - « جنت » تصير « كُنْتُ »

٣ - « هسّا » تصير « الْآنَ »

٤ - « واڭفَ » تصير « وَاقْفَاً »

٥ - « ويَا » تصير « مَعَ »

٦ - « رَجَالٍ » تصير « رَجَلٌ »

٧ - « كَلْشِ » تصير « جَدًا »

٨ - تتأخر « جَدًا » وتأتي بعد الصفة لا قبلها

٩ - « زَيْنِ » تصير « فَاضِلٌ »

ـ أي اننا سنغير الأصوات والمفردات والتركيبيات ، الى جانب التغيرات
ـ التي يتحتم أن تحدث في النغم والنبر وسواءها من الاعتبارات الصوتية ـ

ـ أو بعبارة اخرى لابد من تبديل العبارة كلها ـ

ـ واذا كان هذا المستشرق يريد القول بأن القرآن الذي في أيدينا ،
ـ نسخة اخرى غير القرآن الاصلي ، فأين دليله ـ أما اذا كان يريد مجرد
ـ تعديل النص بوضع الاعراب ، فلامر كما ترى أعمق من هذا بكثير ـ
ـ المنصرف صفعا عن هذا التحامل ، ولنرجع مرة اخرى الى موضوع البحث .
ـ سنسسلم اذن بوجود اللغة الفصحي بجوار اللهجات العربية الاخرى ـ ولكن
ـ متى نشأت الفصحي ؟ هذا سؤال لا سيل لنا الى الاجابة عليه ، فليس لدينا

من النصوص أو الأدلة ما يساعدنا على تحديد الوقت الذي نشأت فيه .
أما مكان نشأة هذه اللغة فهناك احتمالات أربعة : -

- ١ - غرب الجزيرة - أى منطقة الحجاز
- ٢ - شرق الجزيرة - أى منطقة غربي الفرات
- ٣ - أواسط الجزيرة - أى منطقة نجد واليمامة
- ٤ - جنوب الجزيرة - أى منطقة اليمن والجنوب العربي .

أما جنوب الجزيرة ، فليس من المحتمل أن تكون العربية الفصحى قد نشأت هناك ، لأن هذه المنطقة كانت تتكلم الحميرية أو سواها من اللهجات الجنوبية ، التي هي أكثر ارتباطا باللغة الجبشية منها بالعربية .

أما المنطقة الشرقية ، فهناك من يقول نشأة الفصحى هناك ، ويررون ذلك بأنها أقدم حضارة من سواها من المناطق فيها نشأت مملكة الحيرة ، ولها مركزها الحضاري المعروف ، كما أن فيها وجدت أول آثار الشعر الجاهلي التي قيلت في حرب البسوس .

وأما المنطقة الوسطى ، فيحتاج البعض على أن العربية الفصحى قد نشأت فيها ، بما هو معروف من أن جامعي اللغة ، كانوا يخرجون إلى بادية نجد واليمامة ليجمعوا متن اللغة وليحتجوا على آرائهم التحوية بما يقوله أهلها . وإذا كان الأمر كذلك فان هذا دليل على تركز الفصحى ونقاوتها في هذه المنطقة .

من كل هذا يمكن أن نقول بأن العربية الفصحى ، قد وجدت في هذه الأماكن كلها . ونحن نعرف أنه قد كان لكل قبيلة من قبائل العرب المتشرة في جميع أنحاء الجزيرة ، شاعرها ، الذي كان يقول شعره بالفصحي ، دون أن تقل لغته عن لغة سواه من شعراء القبائل الأخرى ، فيما عدا

ما يفضل به شاعر آخر بمستواه التعبيري الفردي • ولما نزل القرآن ، جاء
للعرب أجمعين ، في قريش وغير قريش ، وكانوا جميعاً يفهمونه حق
الله ، وإن اختلفوا في مستوى اجادتهم لتلاؤته •

بعد كل هذا ، بقى المكان والزمان الذي نشأت فيه الفصحي سراً
مستغلقاً ، قد يكشف عنه ما قد نشر عليه في المستقبل من آثار لغوية ،
ثبتت رأياً أو آخر على وجه القطع • ولكن إذا كان نعجز عن إثبات مكان
نشأتها وزمانها ، فانتنا نستطيع على الأقل ، أن نحدد بعض المراحل التي
مرت بها الفصحي ، حتى استوت لغة عالمية تخدم المجتمع في جميع ألوان
نشاطه العقلية والنفسية والمادية •

١ - مرحلة الشعر الجاهلي :

بالرغم من أن الشعر الجاهلي يمثل مرحلة ناضجة من مراحل وجود
العرب في الفصحي ، فإن الدور الاجتماعي الذي كانت تستعمل فيه الفصحي
في هذا العصر كان ، على ما يبدو من الموضوعات التي كان يطرقها هذا
الشعر ، دوراً محدوداً لا يتجاوز وصف مجالس اللهو أو مطاردة العذاري
أو التفاخر بما تأثر الشاعر الشخصية أو مأثر قومه • وإذا لاحظنا
أنه لم يوجد إلى جانب هذا الشعر نثر يختلف في أغراضه اختلافاً جوهرياً
لتأكد لنا ضيق المجال الاجتماعي الذي كانت تستعمل فيه اللغة الفصحي في
هذه الفترة من حياتها •

والى جانب هذا الاعتبار الاجتماعي ، يلاحظ أن الشعر ، من وجهة
النظر اللغوية البحتة ، كان يتوجب بعض الأوزان المعينة كوزن « فعل
يو » « فعلت » ، نظراً لأنها تمثل توالي مقاطع ثلاثة مفتوحة ، وقليلاً
ما توالي في تفاصيل الشعر أو أربعة أو خمسة من المقاطع المفتوحة وهي
لا توجد في تفاصيل الشعر على الأطلاق • كما كان الشعر الجاهلي يستعمل

« اذا » داخلة على الجملة الاسمية ، وهذا تركيب يرجع بالفصحي الى صفة سامية قديمة هي استعمال هذه الاداة في الاشارة المؤكدة .^(١٣)

هذا الى جانب ما يسمى بالضرورات الشعرية التي هي في الواقع عدم التزام بقواعد اللغة التي تقررت في النثر . وقد عدد الاستاذ الانجليزي A. Wright هذه الضرورات ، بلغت ما يزيد على الثلاثين .
حالة منها :

١ - عدم التفريق بين المنوع من الصرف والمنصرف ، من الاسماء المعرفة . والاعراب صفة قديمة في اللغات السامية ، وقد فقدت جميعا عدا "الاكادية والعربية " فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية ، في النصوص القديمة ، ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى حركتين ، هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر . ولم تلبث هذه المرحلة طويلا حتى تطورت الى مرحلة الحركة الواحدة ، وهي الكسرة الممالة » . والذي يظهر ان التدرج في انقراض ثلاثة الحركة الاعرابية ، قد سجل في اللغة . العربية الفصحي ، ففيها أسماء وأفعال تعرب بالحركات الثلاثة ، الضمة . والفتحة والكسرة في الاسماء والضمة والفتحة والسكون في الافعال . كما أن فيها كلمات تعرب بحركاتين ولا غير ، وهي الاسماء المنوعة من الصرف وتعرب بالضمة والفتحة فقط ، شأنها في ذلك شأن اللغة النبطية . القديمة ، التي كانت أسماؤها ترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحة^(١٤) . كما أن في العربية الفصحي كلمات تلزم حالة واحدة وهي ما تسمى بالكلمات المبنية .

(١٣) انظر ص ٣٠ ، ٣١ من مقال (Rebins) المذكور من قبل

(١٤) دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي ص ١٠ - ١١ بغداد ١٩٦١ .

وإذا صح هذا الفرض كان منع الصرف مرحلة تطورية طرأت على المفردات في اللغة الفصحى . وكان خلط الشعراء بين المنع من الصرف والصرف ، دليلاً على أن هذه القاعدة لم تكن قد استقرت تماماً ، ولهذا رأيناها لا تتبع في كل الأحوال . ومثال ذلك :

« قالوا يزورك أَحْمَدٌ وَتَزوره »

وأَحْمَدٌ منوع من الصرف للعلمية وزن الفعل . ولكنه صرف في هذا البيت .

و « تقول سل المعروف يحيى بن أَكْثَمٍ »

« وأَكْثَمٍ » مثل أَحْمَدٌ في المنع من الصرف ولكنه صرف هنا ويقول السيوطي في كتابه جامع الجواجم بأن البعض يرى أن صرف الأسماء غير المنصرفة في التشر لهجة من لهجات بعض العرب . وقد كان أول من قال بهذا الرأي هو الأخفش الذي قال بأنها كانت لهجة الشعراء التي كانوا يتبعونها ضرورة من ضرورات الشعر ثم شاع ذلك بعدهم في التشر .

وليس هناك شيء اسمه لهجة الشعراء لأن اللهجة حالة لغوية خاصة بطائفة ثقافية معينة ولا يمثل الشعراء كلهم اللهجة واحدة بل هم يتمسون للهجات متعددة . ومع هذا فقول السيوطي هذا يؤيد هذا الرأي الذي نشير إليه .

٢ - تنوين الاسم الذي لا يقبل التنوين من غير الأسماء الممنوعة من الصرف مثل:

« سلام الله يا مطر ”عليها“
ومطر ”مفرد علم منادي يبني على الضم ولا ينون .
و ”ألا رجلا جزاه الله خيرا ،
و ”رجلا ”اسم ”لا ”واسم ”لا ”يبني على الفتح ولا ينون

و « حذار حذار من فوارس دارم »

وحذار مبنية على الكسر ولا تقبل التسويق ولكنها نونت هنا

٣ - الوقوف على الكلمة بغير السكون مثل :

« أغشى الوغى واعف عند المغم »

ولو كان هذا في التر للزم السكون آخر كلمة « المغم » الذي كسر

في هذا البيت (١٥) .

٤ - الوقوف على الاسم المتنهي بالباء المربوطة بباء متحركة مثل :

« وأهلك باللوى فالحللة »

وفي التر يتحتم أن يوقف على هذه الكلمة بالباء .

٥ - عدم اظهار الفتحة على آخر الفعل المضارع المنصوب ، اذا كان

معتلًا بالواو أو الياء مثل : -

« اذا غرَّ ان يُسمى الفتى فيه او يُضحي »

وكان من اللازم فتح الياء في كل من « يسمى » و « يضحي »

« أبى الله ان أسمو بأم ولا أبِّ »

وكان من اللازم فتح الواو في « أسمو »

★ ★ *

هذه بعض الحالات التي لا يلتزم فيها الشاعر بالقواعد العربية .

ويفضل البعض تسمية هذه بضرورات الشعر ، ولكن الذي لا شك فيه ،

أن في مقدور الشاعر أن يتخلص من هذه الضرورات ، ولو بالاستغناء عن

الكلمات التي توقعه فيها . وعلى أية حال ، فإن البعض يعتبر هذه الظاهرة

دليلًا على عدم رسوخ هذه القواعد التحوية في هذه المرحلة ، إلى درجة

(١٥) لا تقف قبيلة ازدشنوئه على الكلمة بالسكون بل تحفظ بالحركة فنقول « هذه أزْيد » كما يحدث في الشعر .

تجعل الشاعر يلتزمها التزاماً كاملاً

٢ - مرحلة القرآن والحديث :

والقرآن الكريم أول كتاب ثُرٍّ عَرَبِيًّا كاملاً . وهو بهذا الاعتبار الدعامة الكبرى لتطوير التَّشْرِيف في العربية . ويقول يوهان فلک في كتابه « العربية » بأن « لغة القرآن تختلف اختلافاً غير يسير عن لغة الشعر »، فهي تعُرَض ، من حيث هي أثر لغوي ، صورة فذة ، لا يدانيها أى أثر لغوي على الاطلاق ، ففي القرآن ، لأول مرة في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لا تُعد لغة الكهنة والعرفان الفنية المسجونة ، الا نموذجاً واهياً له ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب ، ومسالك المجاز في اللَّفْظ والدلالة »^(١٦) .

على أن القرآن إذا كان قد عالج موضوع العقيدة ، مستعملاً أسلوباً أعجز ذوي البيان من الكهنة والعرفان ، فإنه إلى جانب هذا ، قد دخل بالعربية الفصحى إلى ميادين تعبيرية جديدة ، لم تستعمل فيها من قبل . ومن ذلك استعمالها في تقيين الأحكام التي تضبط علاقة الأفراد داخل الدولة ، وعلاقة الدولة بسواها من الدول في الحرب والسلم . خذ مثلاً آية الميراث « ولهم نصف ما ترك أزواجاكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلهم الرابع مما تركن » هذا أسلوب تشريع ، لا نقص فيه ولا زيادة ، ولا سجع ولا جناس ، ولا استعارة ولا كناية ، ولكنه تعبير أشبه بصياغة المواد القانونية في العصر الحديث . ولنقارن هذا النوع من التَّشْرِيف بسورة النجم « والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى » . إلى آخر السورة . أو بسورة الرحمن « الرحمن عَلَمَ القرآن . خلق الإنسان » إلى آخر السورة . والفرق واضح بين النوعين من الأسلوب

(١٦) العربية لـ يوهان فلک ترجمة الدكتور عبد العليم النجاشي - القاهرة - ١٩٥١ ص ٥٤ .

النثرى ٠ ولنقارن هذين بأسلوب القصة في سورة يوسف ، أو سواها من آيات القصص ، وسنجد نوعا جديدا من الصياغة النثرية ٠

وهكذا نجد القرآن من وجهة النظر اللغوية ، الداعمة الحقيقة للنثر في اللغة العربية ، من ناحية الصياغة الاسلوبية ، وتعدد المجالات التي استعمل فيها ، فلم تعد الفصحى لغة الشاعر والخطيب فحسب ، بل لقد دخلت صييم الحياة ، الروحية ، والادارية ، للناس والدولة ٠

أما الحديث ، فإنه يختلف عن القرآن في ناحية هامة ، هي أنه ليس نصوصا مقدسة تتلى للتعبد ٠ ولهذا فإنه لم يعتمد اعتمادا كبيرا على الموسيقى الاسلوبية ، التي نجدها في الآيات القرآنية المتصلة بالعقيدة ٠ والحديث من وجهة النظر هذه نشر مرسل موضوعي يستعمل اللغة استعمالا عمليا ، كما نستعملها نحن في نشرنا الحديث ليبيان الأحكام في أوضح صورة وأبسطها ٠

وبفضل القرآن الكريم والحديث الشريف استقر في العربية جانبها النثرى استقرار جانبها الشعري ٠

٣ - مرحلة الادارة والعلم :

في هذه المرحلة ، دخلت العربية الفصحى دورا ثالثا من أدوار وظائفها الاجتماعية ٠ وعلى أثر استقرار الدعوة الإسلامية وتركز الدولة ، كان من الضروري أن تستعمل الفصحى في ميدان جديد هو الميدان الادارى ٠ وقد كتب النبي عليه السلام رسائل للملوك وقادة الشعوب وعقد المعاهدات ، كما استعمل خلفاؤه من بعده ، ثم الخلفاء الامويون ، والعباسيون ، اللغة استعمالا اداريا صرفا ، في رسائلهم للولاة ، وتعليقاتهم على مظالم الناس ، وغير ذلك ٠ ثم استعملت العربية بعد ذلك ، لغة علمية ، على أثر نشاط حركة التأليف في علوم الدين واللغة أولا ، ثم في مختلف العلوم العقلية والطبيعية ، أبان عصر الترجمة وبعده ٠ وقد ألف بالعربية

في النحو والصرف والعرض والتشريع ، كما الف بها في المنطق .
والفلسفة والطب والفلك والجبر والهندسة والموسيقى وغيرها من مختلف .
العلوم .

وهنا بلغت العربية الفصحى ، من الناحية الاجتماعية ، أرقى مستوى .
تصل اليه لغة ، حيث لم تقف عند المرحلة الغائية والحماسية التي رأيناها .
في الشعر والخطابة في مصر الماجاهي . بل لقد لعبت دورها الكامل في .
خدمة المجتمع العربي أولا ، ثم خدمة الثقافة الإنسانية فيما بعد .

ثالثا - اللهجات العربية الحديثة : -

رأينا من قبل كيف انتقلت اللغات السامية الحديثة مع القبائل التي .
هاجرت من قلب شبه الجزيرة الى مواطن جديدة ، في شرق بلاد العرب .
و شمالها . وقد ذكرنا كذلك أن العرب قد انتقلوا بالعربيه الى مواطن .
جديدة . ولكن هناك فرقا جوهريا بين الهجرات السامية وبين هجرة .
العرب ، تجعل الاخيره من الجانب اللغوي ذات اثر مختلف عن هجرات .
الساميين . وقد هاجر الساميون في شكل قبائل اغارت على مواطن قبائل .
اخري ، وقتلتهم من قتل ، وطردت من ديارهم من طرد ، ولم تبق .
سوى ما أراد الفاتحون من الاماء والعيدي . ونتيجة لذلك انقرضت لغة .
القبائل المهزومة وخلفت من الآثار اللغوية في لغة المتصرفين آثارا انتقلت .
اليها عن طريق من بقى في البلاد من سكانها الاصليين ، في خدمة السادة .
الجدد .

أما العرب بعد الاسلام فانهم لم ينتقلوا الى المواطن الجديدة في أول .
الامر في شكل قبائل مغيرة بل كانوا جنودا يدعون للدين الجديد . كما .
أن الاسلام ، قد نهى جنوده المحاربين ، عن أن يقتلوا طفلا ، أو امرأة ،
أو شيخا ، أو يحرقوا زرعا . كما أباح لذوى الاديان الأخرى الاحتفاظ .
بدينهيم ، وسمح لهم بمزاولة شعائرهم في بيوتهم وكنائسهم . يضاف الى .

ذلك «السياسة الواسعة الافق التي امتاز بها الخليفة الثاني ، عمر العقرى» مؤسس الدولة العالمية الاسلامية (حكم ١٣ - ٦٤٤ هـ ، ٦٣٥ م) ٠٠٠٠ فقد حرم (على الجنود) أن يمتلكوا الضياع في الأقاليم الجديدة ، أو أن يتذدوها لهم وطنًا ومقاما ، كما جعلهم بمعرض عن المدن الكبيرة في البلدان المقتوحة ، ما عدا سوريا ، التي كانت قد استعربت إلى حد كبير قبل الاسلام ، بواسطة القبائل التي هاجرت إليها ، فأسكنهم في مسquerات من الخيام ، كانت نواة للمدن العظمى في العالم الاسلامي ، التي نشأت في بضع عشرات من السنين ، كالبصرة ، والكوفة ، والفسطاط وغيرها ^(١٧) .

وبناءً على ذلك ، بقيت للشعوب المغلوبة ثقافاتها ولغاتها . ولم يطرأ على الظروف اللغوية في هذه البلاد من جديد سوى وفود لغة جديدة هي العربية ، بين الجنود ورجال الحكم .

وبعد استقرار الامر للعرب ، أخذت القبائل العربية تنتقل إلى البلاد الجديدة ، لتعيش فيها جنباً إلى جنب مع سكانها الأصليين ، ولتقوى مركز العربية ازاء لغات السكان الأصليين ، الذين أخذوا بدورهم في تعلم العربية والدخول إلى الاسلام . وكانت النتيجة ، أن لعبت هذه اللغات دوراً هاماً في تطوير العربية ، التي عاشت معها جنباً إلى جنب ، لفترة قرون عديدة . وعن هذا التفاعل اللغوي الضخم ، الذي طال أمره ، نشأت اللهجات الحديثة .

وقد كان للظروف الجغرافية بطبيعة الحال ، أثر في اختلاف الأجناس التي سكنت هذه المواطن الجديدة . أما العراق في شرق الجزيرة ، فيجاوره من الشرق والشمال ، أقوام تتكلم الفارسية والكردية والتركية . وقد دخلت جميعاً في الاسلام وسكنت طائفة من أبنائها جنباً إلى جنب مع العرب ، الذين وفدوه لهذه البلاد بعد الاسلام ، كما كان الفلاحون ،

(١٧) عن «العربية» فك ترجمة النجار ص ٨

ويسميهم الكتاب العرب بالباط ، يتكلمون الآرامية ٠ « و حتى في المدن الناشئة في مواضع المعسكرات العربية ، كالبصرة والكوفة ، كان سيل العناصر الإيرانية من القوة ، بحيث كانت اللغة الفارسية تتحل مكان التصدر في القرن الأول ، ففي البصرة كانت أسماء الأماكن المنسوبة إلى الأشخاص تحتم عادة بقطع : — آن ٠ وهكذا كانت تسمى القطائع الكثيرة بأسماء أصحابها ، مثل مهلبان ، أميتان (نسبة إلى أبي أمية) ، جعفران (نسبة إلى أم جعفر) ، عبدالرحمان ، عيد اللان ، ويوجد بين القنوات الهامة بالبصرة صيغ مثل ، خالدان ، طلحتان ٠ وأشهر الأمثلة من هذا النوع اسم رباط عبادان^(١٨) ٠ وفي الفرق العسكرية السياسية ، التي انضمت إلى العرب ، بقيت الفارسية لغة الخدمة في الجيش ، على حين كان بعضهم ، ولا سيما النزط ، والسيابحة ، والاندغار ، يحملون أسماء قبائلهم الهندية ، التي انتظموها منها في الجندية ٠^(١٩) ولم يختلف عن ذلك كثيراً أمر العلاقات اللغوية بالكوفة ، فقد قامت هذه المدينة ، في منطقة تتلاقى فيها اللغات الآرامية ، والفارسية ، والערבية من قديم ٠ كما أن الحيرة ، الواقعة على مقربة منها ، والتي كان بها — في نظر العرب — سدة أمارة البحرين ، كانت قبل الاسلام مصدر انتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة السياسيين ، بين قبائل البدو في السهول السورية العربية المجاورة ٠ وقد أخذت الكوفة ، المؤسسة حديثاً ، سنة الحيرة فسارت على منهاها القديم ، وازدهرت وشيكما ، على حين تراجعت الحيرة إلى الوراء ٠٠ وكمما حصل في البصرة ، كان يرد

(١٨) أخذت هذه الأمثلة من الباب الخامس لتقسيم البصرة في كتاب البلاذري ص ٣٤٦ ، ٣٧٢ وفيه كثير من ذلك ٠ ومن هنا أيضاً أخذ ياقوت القائمة التي ذكرها في معجم البلدان ج ١ ص ٦٤٥ ٠ ولا يمنع هذا من وجود تسميات عربية محضه مثل « المسماريه » [بلاذري ص ٣٦٤] ٠

(١٩) الاصل والهامش السابق عن كتاب « العربية » فك ص ١٤ ٠

على الكوفة ، سيل من التجار والصناع وغيرهم ، سرعان ما كونوا مع اساري الحرب ، الكثيري العدد ، ذوي الاصل الفارسي ، أغلبية السكان ، فصارت لغة التفاهيم السائدة هي الفارسية . وقد كشف الباحث (٢٠) النقاب عن مدى تأثير هذه اللغة في الجيوش العربية ، بما أورده من الفاظ معربة في لهجة الكوفة (٢١) .

ولم يلبث هؤلاء الموالي أن تملکوا زمام العربية الفصحى ، وصار منهم الكتاب والشعراء والتحاة ، في البصرة والكوفة وغيرها .

أما بلاد الشام ، فقد تعرّبت قبل الاسلام الى حد كبير ، ولهذا لم تشهد ما شهدناه في العراق من قوة نفوذ العناصر غير العربية . ومن أجل هذا لم تصادف اللغة في الشام ما صادفته في العراق . ولم يدخل عليها من العناصر الاجنبية سوى ما يفرضه الاحتلال بين العربية والسوريانية ، التي كانت تسود هذه البلاد قبل دخول العربية .

وفي مصر ، كانت العربية لغة رجال الجيش . ولكنها اقتصرت على مدينة الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص لرجال الجيش ، وعلى بعض المناطق التي اختارها العرب للسكنى أو للرعي . وكان أغلب العرب الذين نزحوا الى مصر من اليونانيين . أما المصريون فقد احتفظوا باللغة القبطية يتعاملون بها في حياتهم اليومية . كما بقيت اللغة اليونانية لغة الدولة الرسمية كذلك حتى سنة ٨٧هـ ، حين دخلت العربية الى دوائر العمل الرسمي .

ويلاحظ أن تأثير القبطية واليونانية على العربية في مصر ، كان أقل

(٢٠) « البيان والتبيين » ج ١ ص ١٠ . وانظر أيضا ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٨ .

(٢١) « العربية » فك ص ١٧ - ١٨ وعنه أخذ النص والهامش « السابق » .

يكثير من تأثير الفارسية عليها بالعراق ، ويعمل هذا ، بأن مصر قد تعرّبت بصورة أعمق من العراق ، ففي خلال القرن الثاني من الهجرة ، هاجرت قبائل من عرب الشمال كثيرة ، وكثير دخول الأقباط في الإسلام ، بحيث لم يكِد القرن الثالث الهجري يتتصف ، حتى أصبحت العربية لغة المدن ، وتراجعت القبطية إلى سهول الريف ، حتى تلاشت أو كادت في القرن السادس للهجرة^(٢٢) .

وما حدث في العراق ومصر حدث في بقية البلاد التي دخلتها العربية بنسبة تقل أو تكثُر ، حسب ظروف كل بلد وطبيعة الهجرات العربية التي استقرت فيه .

ولكن المهم أن نذكر في هذا الصدد أمرين هامين هما :

١ - اتساع نطاق اللغة العربية الفصحى بفضل استعمالها في مجالات

جديدة .

٢ - نشأة لهجات عربية حديثة في كل هذه المواطن ، اختلفت إلى حد كبير عن اللهجات القديمة .

بقي سؤال آخر يتعلق بنشأة اللهجات الحديثة . وهو « هل نشأت هذه اللهجات نتيجة لاختلاط الفصحى بلغات هذه البلاد ، أم أنها نشأت نتيجة لاختلاط اللهجات خاصة تتكلّمها العناصر التي هاجرت إليها ؟ »

هنا رأيان .

أولهما ، يقرر أن العربية الفصحى ، هي الأصل الذي صار بتأثير اللغات القومية في هذه البلاد - لهجات محلية . والواضح أن « فك » في كتابه « العربية » يميل للقول بهذا الرأي .

(٢٢) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢ .

و ثانيةهما ، رأى يقول به الاستاذ الامريكي تشارلز فيرجسون ونشره في مقال له بمجلة « اللغة » الامريكية (٢٢) سنة ١٩٥٩ . وهو يقرر أن اللهجات الحديثة لم تولد بصفة مباشرة عن العربية الفصحى ، بل قد تولدت عن لهجة الجنود الخاصة التي حملوها معهم إلى مختلف البلاد التي فتحوها .

وهو يلاحظ ، أن العرب لم يدخلوا هذه البلاد على صورة هجرات قبلية ، كما فعل الساميون ، بل على صورة جيوش تكونت من مختلف القبائل . وفي مثل هذه الظروف ، تكون لرجال الجيش لهجة خاصة ، كما نلاحظ في كل الجيوش الحديثة . وتعتبر هذه اللهجة الخاصة تحريراً لغة الفصحى ، قد حدث بتأثير لهجات أفراد الجيوش ، وما يتكررنه من ألفاظ وتعبيرات .

ويدلل فيرجسون على هذا الرأى ، بأن جميع اللهجات العربية ، فيما عدا لهجات شبه الجزيرة ، ولهجات شمالي أفريقيا ، التي تأثرت بهجرة قبائل بني هلال ، تجمع على مخالفة العربية الفصحى في بعض الامور الجوهرية . ولا يمكن أن يكون هذا الاختلاف تطوراً طبيعياً ، لأنه لو كان كذلك ، لاختفى التطور في مكان ما عنه في مكان آخر . أما الاجماع على كيفية الخلاف مع الفصحى فلا يمكن أن يحدث الا عن طريق لهجة وسيط ، يحدث فيها هذا الاختلاف ، ثم يتنتقل عن طريقها لجميع البلاد مع الجنود التي فتحتها .

وللوضيح هذا ، نفترض أنني قد علمت اللغة العربية ، لانجليزى ، وفرنسى ، وتركي . وستكون النتيجة أن تكون عربية الانجليزى مشوبة .

(٢٢) انظر :

'The Arabic Koine, by Charles Furgson, Language 35, 616,30

بلکنة انجليزية ، وعربة الفرنسي مشوبة بلکنة فرنسيه ، وعربة التركى مشوبة بلکنة تركية .

ولو فرض أني وجدت انجليزيا يتكلم العربة مشوبة بلکنة انجليزية وألمانية وفرنسية يتكلمها بلکنة فرنسيه والمانية ، وتركيا يتكلمها بلکنة تركية والمانية ، لو فرض ذلك لكان دليلا على أنهم جميعا لم يتعلموا العربي مباشرة عن عربي بل تعلموها عن المانوي تعلموا عن عربي . وبهذا فقط يمكن تفسير المکنة الالمانية لديهم جميعا .

وهذا هو نفس الموقف بالنسبة للهجرات الحديثة ، فان فيها جميعا أمورا تخالف العربية الفصحى ، ولا يمكن تعليلها الا بأن العربية، قد وصلت اليهم محورة . وسنذكر بعض هذه الامور التي أجمعـت فيها اللهجـات على مخالفة العربية .

أ - الشـيـة فيـ الـعـربـةـ الفـصـحـىـ تكونـ فيـ الـأـسـمـاءـ الـجـامـدـةـ ،ـ والـصـفـاتـ،ـ والـأـفـعـالـ ،ـ والـضـمـائـرـ وـاـسـمـ الـمـوـصـولـ ،ـ وـاـسـمـ الـاـشـارـةـ .ـ أـمـاـ فيـ الـلـهـجـاتـ الـحـدـيـثـةـ جـمـيـعـاـ فـلـاـ تـكـوـنـ الـاـ فيـ الـأـسـمـاءـ الـجـامـدـةـ .ـ قـارـنـ هـذـهـ الـاـمـلـةـ فيـ الـفـصـحـىـ وـالـعـرـاقـيـةـ وـالـأـرـدـنـيـةـ وـالـمـصـرـيـةـ :ـ

عربـةـ فـصـحـىـ	١ - هـذـانـ الـوـلـدـانـ الـلـذـانـ يـسـافـرـانـ مـعـكـماـ
،ـ مـصـرـيـةـ	٢ - دـوـلـ الـوـلـدـيـنـ الـلـيـ يـسـافـرـوـ مـعـاـكـمـ
،ـ عـرـاقـيـةـ	٣ - هـاـذـوـلـ الـوـلـدـيـنـ الـلـيـ يـسـافـرـوـنـ وـيـاـكـمـ
،ـ أـرـدـنـيـةـ	٤ - هـاـدـوـلـ الـوـلـدـيـنـ الـلـيـ يـسـافـرـوـ مـعـكـمـ

وـسـنـجـدـ مـاـ يـأـتـيـ :ـ

أولا : اسم الاشارة ، واسم الموصول ، والفعل ، والضمير المتصل ، وضـعـتـ جـمـيـعـاـ فيـ صـيـغـةـ الـجـمـعـ معـ انـهاـ تـرـتـبـطـ باـسـمـ مـتـنـيـ .ـ وـذـلـكـ فيـ الـلـهـجـاتـ الـعـامـيـةـ .ـ أـمـاـ فيـ الـفـصـحـىـ فـتـكـوـنـ جـمـيـعـاـ بـصـيـغـةـ الـمـتـنـيـ .ـ

ثـانـيـاـ :ـ لـاـ يـتـىـ فيـ الـلـهـجـاتـ الـحـدـيـثـةـ سـوـىـ الـأـسـمـ الـجـامـدـ ،ـ أـمـاـ فيـ

الفصحى فالجامد وغير الجامد يمكن أن يشنى .

ثالثاً : اسم الموصول في جميع اللهجات يستعمل في صيغة المفرد ،
مع أنه يشير لثنى . أما في الفصحى فيكون في صيغة المثنى .

ما سر هذا الاجماع بين هذه اللهجات على الاحتفاظ بالمعنى في الاسم الجامد فقط ، وعلى التخلص منه بنفس الطريقة ، في جميع اللهجات ، في غير الاسم الجامد ! السر في ذلك أن هذا التطور ، قد حدث في لهجة الجنود أو اللهجة المهدبة ، كما يسميها فيرجسون ، وأنه قد نقل منها إلى جميع اللهجات .

ب - الفعل « جاب » بمعنى « أحضر » ، لا يوجد في قاموس العربية الفصحى ، بينما هو موجود في جميع اللهجات الحديثة . وهذا الفعل مكون أصلاً من الفعل « جاء + بـ الجر » في الجملة « جاء بالكتاب » . وقد سقطت همزة « جاء » ، وجعلت باء الجر جزءاً من الفعل « جاب » الذي صار يتصرف إلى « يحب » « جايب » ٠٠٠ الخ

هذا الفعل يوجد في جميع اللهجات الحديثة . وسر ذلك أنه قد نقل إليها جميعاً من لغة الجنود - أي اللهجة المذهبة .

ح - الفعل « شاف » ، لا يوجد في العربية الفصحى ولكنه يوجد في جميع اللهجات ، لأنه قد انتقل إليها كذلك بواسطة لهجة الجنود .
ويعد الاستاذ فيرجسون ، امورا كثيرة من هذا النوع نكتفي منها بما سبق . ونحن نقدر ميلنا الى رأى فيرجسون هذا للأسباب التي ذكرها .

وبهذا يمكن القول بأن اللهجات الحديثة على ثلاثة أقسام :-

١- لهجات شبه الجزيرة ، وهذه امتداد للهيجات القديمة *

٢ - لهجات شمال أفريقيا، وهذه متأثرة بلهجات بني هلال .

٣- اللهجات الراقة ، وهذه متولدة من اللهجات المهدية المشار إليها .

ماده اللغة

عالجنا فيما مضى قضايا تتصل باللغة وسنعالج فيما يلي ماده اللغة

أولاً

الاصوات

أعضاء النطق

قلنا فيما مضى بأن النشاط الذى يقوم به المتكلم على نوعين عقلى وعضوى . وقد سبق الحديث عن النشاط العقلى وتعرض الآن للنشاط العضوى وهو يتمثل في عمليات تقوم بها بعض أعضاء الجسم التى نسميها بأعضاء النطق . وقبل أن نتعرض لوصف هذا النشاط نود أن نقول عابرين بأن الكلام عملية ثانوية تقوم بها هذه الأعضاء إلى جانب عملياتها الرئيسية التي تعتبر وظائفها البيولوجية ؟ فعمل الرئتين الأساسى هو التنفس ، ولكن الهواء الذى تدفعه قد يستعمل في انتاج الكلام . والغرض من حركات اللسان هو القيام بعملية البلع وتحريك الطعام أثناء المضغ ، ولكن هذه الحركات تستغل كذلك في انتاج الاصوات المختلفة وهكذا . وتحصر أعضاء النطق فيما يأتي :

أولا - الرئتان : هما عبارة عن مجموعة من الأكياس المتلاصقة التى يرتبط بعضها بعض بأنابيب تنتهي بأنابيب رئيسيتين تعرفان بالشعبتين . وليس الرئتان نسيجا عضليا قادرها على الحركة بنفسه ، ولكنهما نسيج غشائى ، لا يتحرك الا بواسطة الضغط عليه فينكش ، أو ازالة الضغط عنه فيتمدد ، كما تضغط يدك على قطعة من الاسفنج ، ثم تزيل الضغط عنها . وكما تضغط على الاسفنج فتطرد ما بها من ماء ، ثم تزيل الضغط فتمتص ما تلاقيه من الماء ، فان الضغط على الرئتين يطرد ما بهما من هواء ، وازالة الضغط عنهما يسبب دخول الهواء اليهما . ووظيفة الرئتين من الناحية البيولوجية امتصاص الاوكسجين من الهواء الخارجى ، وتجذبه الى الأكياس الصغيرة التي تتكون منها والتي يحيط بها الدم غير النقي . وهنا تم عملية كيمائية يتخلص بها الدم من كميات الكربون المتخلفة فيه ، فيصبح

الأوكسجين ثانٍ أو كسيد الكربون ، ثم يحدث ضغط على الرئتين ، تخلص به من ثاني أو كسيد الكربون وتنقي بذلك الدم . والعضو الذي يقوم بالضغط على الرئتين لطرد ثاني أو كسيد الكربون ، ثم يخفف الضغط لامتصاص أوكسجين الهواء هو الحجاب الحاجز . وهو غشاء رقيق يفصل بين المعدة والأمعاء ، وبين القلب والكبد والرئتين . ويساعد الحجاب الحاجز في هذه العملية ، حركة القفص الصدري . وهي حركة بسيطة تشاهدها عند عملية التنفس . ووظيفة الرئتين من وجهة نظر اللغة تتلخص في ثلاثة أمور هي :

١ - دفع الهواء إلى الخارج مارا بالأعضاء الصوتية العليا . وبفضل احتكاك هذا الهواء بها يحدث الصوت الذي نسميه الكلام على النحو الذي سنبيه فيما بعد .

٢ - توالي ضغط الهواء على شكل ضغطات مستقلة يتسبب كل منها في إنتاج جزء من الكلام نسميه المقطع على ما سترى بالتفصيل فيما بعد وتشبه هذه الضغطات التي يمكن أن تحدثها على الجزء الكروي المصنوع من المطاط من نفير الدرجة والتي تسبب أجزاء متميزة من الصوت الذي يرسله النفير .

٣ - اختلاف ضغط الرئتين قوة وضعفها . ويكون المقطع الناتج من الضغط القوي ، مقطعاً قوياً للإداء أو قوي النبر ويكون ذلك الذي ينتج عن الضغط الضعيف مقطعاً ضعيفاً للإداء ، أو ضعيف النبر .

ويجب أن نذكر بهذه المناسبة أن قوة النبر أو ضعفه تنتج عن قوة ضغط الرئتين ، وبالتالي عن كمية الهواء الخارج منها ، كما ينتج كذلك عن سعة المخرج أو ضيقه ، كما تلاحظ اذا ما فتحت صنبور الماء ثم ضيقته باصبعك ، وستجد أن ذلك يتسبب عن قوة اندفاع الماء . وكذلك

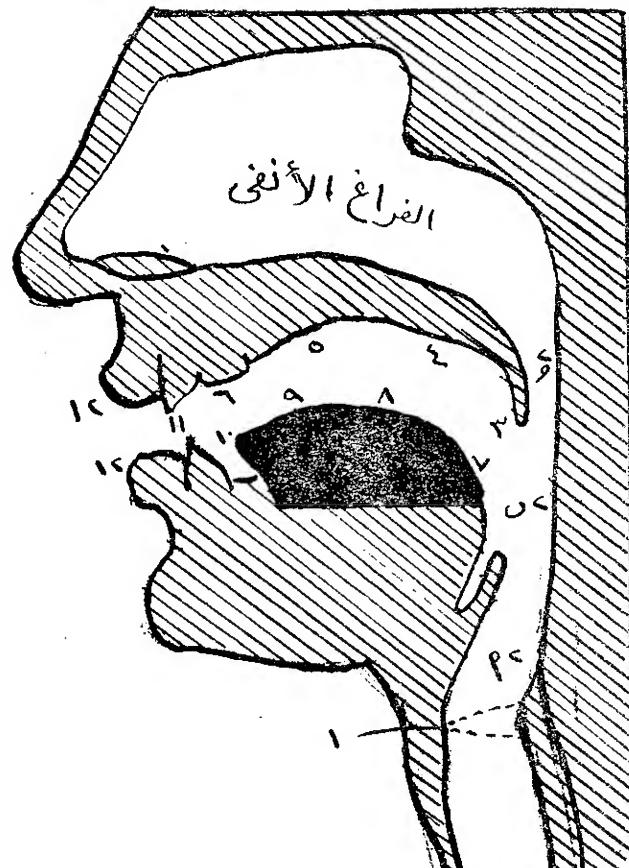
المقطع يكون قوى النبر اذا زاد قدر الهواء المندفع من الرئتين وضيق مخرجه .

ثانيا - القصبة الهوائية : القصبة الهوائية عبارة عن أنبوبة تلتقي فيها الشعوبان الخارجتان من الرئتين . وهي مكونة من حلقات غضروفية غير كاملة من الخلف بعضها فوق بعض . وهذه الحلقات الغضروفية مكسورة بنسج غشائي مخاطي . والحلقة الغضروفية العليا من القصبة الهوائية كاملة الاستدارة وتعرف بالغضروف الحلقي .

ثالثا - الحنجرة : هي جهاز موسيقي قاعدته الغضروف الحلقي . ويوجد فوق هذا الغضروف غضروفان آخران كل منهما على شكل هرم ويعرفان بالغضروفين الهرمين وأمام الجميع غضروف عمودي ذو صفحتين يعرف بالغضروف الدرقي ويعرف الجزء الامامي البارز منه باسم تفاحة آدم . ومن الغضروفين الهرمين يمتد نسيج غشائي الى وسط الغضروف الدرقي يعرف بالأوتار الصوتية وهذا النسيج الغشائي شبيه بالشفتين يمكن أن ينطبق فيسد الفوهة العليا للقصبة الهوائية أو ينفتح فيبقى مجرى الهواء مفتوحا أو أن ينطبق جانبيا تماماً الانطلاق . ومن مجموع هذه الأجزاء تتكون الحنجرة . وينتتج من حركة الغضروفين الهرمين والأوتار الصوتية ما يأتى :

١ - عندما ينفرج الغضروفان انفراجا تماماً ، يخرج الهواء من الرئتين أو يدخل اليهما دون عائق ويتم في هذه الحالة عملية التنفس .

٢ - عندما ينطبقان تماماً تسد الفوهة العليا للقصبة الهوائية فسمع صوتاً ناتجاً عن هذا السد ثم ينفرجان فيخرج الهواء المحبوس في القصبة الهوائية ونسمع صوتاً ناتجاً عن هذا الانفجار . والصوت الناتج عن السد



شكل ٢

- ١ - الحنجرة
- ٢ - البلعوم الحنجري
- ٢ ب - البلعوم الفموي
- ٢ ح - البلعوم الأنفي
- ٣ - اللهاة
- ٤ - الجزء الرخو من سقف الحنك
- ٥ - الجزء الصلب من سقف الحنك
- ٦ - اللثة
- ٧ - مؤخرة اللسان
- ٨ - وسط اللسان
- ٩ - مقدمة اللسان
- ١٠ - طرف اللسان
- ١١ - الأسنان
- ١٢ - الشفتان

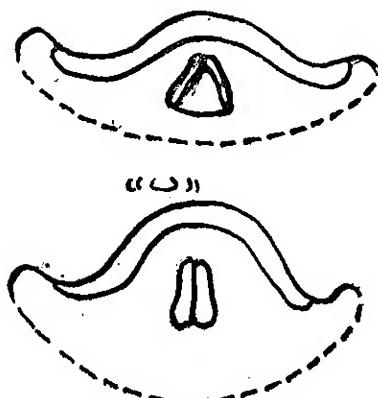
فقط ، أو عن الانفجار فقط ، أو عنهما معاً ، يعرف بالهمزة ٠ والهمزة أحد أصوات اللغة العربية ٠ وتوجد في كثير من اللغات باعتبارها صوتاً مستقلاً ، أو صفة لصوت ما ٠

٣ - عندما يضيقان دون أن تتوتر الاوتار الصوتية فلا تهتز ، وفي هذه الحالة يخرج الهواء محتكماً بجانبي الحنجرة ، ويحدث نتيجة لذلك صوت يسمى الهمس ، نستعمله عندما نسر الحديث ٠

٤ - عندما يضيقان مع توتر الاوتار الصوتية واهتزازها ٠ في هذه الحالة يسبب اهتزاز الاوتار نغمة مسموعة نسميها بالجهر ٠

ومثال الصوت المهموس «س» و «ق» ومثال المجهور «ز» و «ع» ٠ ويمكن للمرء أن يدرك اهتزاز الاوتار الصوتية عند الجهر ، بوضع أيديه وسبابته على الجزء الامامي من الرقبة ، فوق التنوء المعروف باسم تقاحمة آدم ، وينطق بصوت «ز» ، وسيحس باهتزاز الاوتار الصوتية ، فإذا نطق بصوت «س» وهو النظير المهموس للصوت «ز» ، لما أحسن بهذا الاهتزاز . واهتزاز الاوتار الصوتية يتفاوت بطبيعة الحال ، بين أن يكون كثير الذبذبات أو قليلها . وعندما تكون الذبذبات كثيرة ، نسمع صوتاً دقيقاً . أما إذا كانت قليلة ، فأننا نسمع صوتاً غليظاً . وهذه الظاهرة نفسها هي التي تسبب الفرق بين نغمات الكمان ؟ فالنغمة الغليظة «دو» قليلة الذبذبات ، والنغمة الدقيقة «سي» كثيرة الذبذبات . ودقة الصوت ، أو غليظه ، صفة صوتية تستعملها بعض اللغات في تمييز صوت عن صوت آخر ، وستعملها لغات أخرى كالعراقية في تمييز جملة عن جملة أخرى ؟ حيث يمكن أن تنطق الجملة [إجا الولد] بنغمة أخيرة دقيقة فتكون الجملة استفهاماً ، أو بنغمة غليظة فتكون إخباراً ٠

« ٣ »



شكل ٣

أ - الحنجرة أثناء فتح الاوتار الصوتية

ب - الحنجرة أثناء قفل الاوتار الصوتية

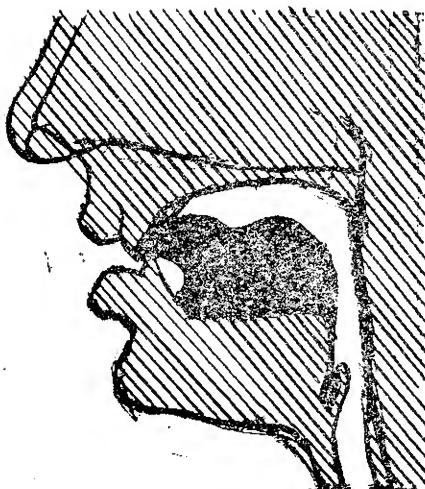
رابعا - لسان المزمار : وهو غضروف على شكل اصبع تصل قاعدته بمؤخرة اللسان ، وتجه قمته بزاوية الى أعلى . وهو مثبت فوق الحنجرة ، بحيث يستطيع اغلاق مجرى الهواء عند عملية البلع ، فيندفع الطعام أو الشراب الى القناة التي تقع خلف القصبة الهوائية ، وهي تسمى بالمرىء ، حيث يتنهي الى المعدة . ولسان المزمار من الناحية اللغوية قليل الأهمية ، فهو يتحرك مع مؤخرة اللسان الى الامام والى الخلف ، مما يؤثر في اتساع الفراغ الذي يوجد في أسفله لسان المزمار والسمى بالبلعوم .

خامسا - البلعوم : هو الفراغ الواقع خلف اللسان ، والمحصور بين نهاية القصبة الهوائية والتجويف الانفي خلف اللهاة . وهذا الفراغ ثلاثة أقسام :

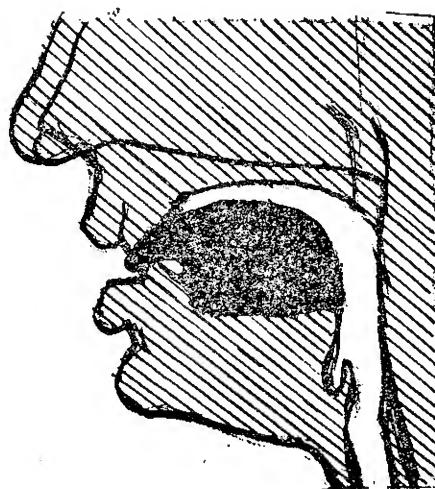
(آ) البلعوم الحنجري - وهو الجزء الواقع خلف لسان المزمار . ولهذا الجزء أهمية لغوية حيث أن شدة ضيقه تسبب احتكاك الهواء الخارج من القصبة الهوائية ، فنسمع صوتا قد يكون مجھورا وهو العين

العربية ، أو مهموسا وهو الحاء العربية .

(ب) البلعوم الفموي : وهو الجزء الواقع خلف اللسان وتحت اللهاة . وأهميته الصوتية تتحصر في أنه قد يضيق نتيجة لتراجع مؤخرة اللسان فيكسب الصوت الخارج الصفة التي نسميها بالتفخيم وقد يتسع نتيجة لتقدم مؤخرة اللسان فيكون الصوت الخارج رقيقا . وعلى هذا فالفرق بين «س» و «ص» في العربية ، هو أن البلعوم الفموي في الاولى متسع وفي الثانية ضيق . وهذا هو نفس الفرق بين «ت» و «ط» وبين الالف في الكلمة (تاب) و (طاب) الخ .



شكل ٤ ب



شكل ٤ أ

شكل ٤ أ - وضع اللسان عند النطق بالذال لاحظ تقدم المؤخرة واتساع البلعوم الفموي

شكل ٤ ب - وضع اللسان عند النطق بالظاء لاحظ تراجع المؤخرة وضيق البلعوم الفموي .

(ج) البلعوم الانفي : وهو الجزء الواقع خلف اللهاة ، أسفل الفراغ الانفي . وأهميته الصوتية تتحضر في أنه يكون غرفة رنين عند النطق بعض الاصوات الفموية المجهورة كالحركة «فتحة» أو الساكن «ز» فيبدو هذا الصوت أنيقا بعض الشيء .

سادسا - اللهاة : وهي عضلة صغيرة ، متصلة بنهاية سقف الحنك . ويمكنك رؤيتها اذا فتحت فمك ونظرت في المرأة وستجد لها مدخلة في نهاية فمك . ووظيفة اللهاة الصوتية ، هي قفل طريق الهواء الى الانف ، فيندفع عن طريق الفم الى الخارج ويكون الصوت الناتج فمويا ، أو فتح طريق الهواء الى الانف واغلاق طريقه الى الفم ، فيكون الصوت الناتج أنيقا . ويتم ذلك بحركة اللهاة الى الخلف ، حتى تتصل بجدار البلعوم أو بحركتها الى الامام حتى تتصل بقاعدة اللسان .

سابعا - التجويف الانفي . وهو فراغ معدن التركيب ، يخرج منه الهواء عندما تطلق اللهاة ممر الهواء في الفم عند النطق بالاصوات الانفية مثل «م» و «ن» .

ثامنا - اللسان . هو أهم أعضاء النطق . وهو جسم عضلي عظيم المرونة ، يستطيع الحركة في اتجاهات متعددة . وينقسم الى أربعة أقسام .

(آ) طرف اللسان : ويمكن تشكيله بحيث يكون مدبا . كما يمكنه جعله عريضا أو ملتويا الى أعلى ، أو مده ، حتى يمس الشفتين أو الأسنان . وفي وضع الراحة ، يكون طرف اللسان خلف الاسنان السفلية . وهنالك عدد كبير من الاصوات يساهم طرف اللسان في النطق بها كالتاء والئون والذال والباء الخ .

(ب) مقدمة اللسان : وهو الجزء الذي يلي طرف اللسان . وتشترك مقدمة اللسان في انتاج عدد من الاصوات . وذلك بأن تلمس أو تقارب

الجزء المقابل لها من سقف الحنك • وذلك مثل الصوت العراقي الذي يوجد في أول كلمة (جگارة) •

(ج) وسط اللسان : وهو الجزء الذي يلي مقدمة اللسان • وهو يساهم في انتاج عدد من الاصوات بقربه أو ملامسته الجزء المقابل له من سقف الحنك وذلك مثل صوت الشين العربية •

(د) مؤخرة اللسان : وهي الجزء الخلفي من اللسان • وهو يساهم في انتاج عدد من الاصوات بقربه أو ملامسته الجزء الرخو من سقف الحنك أو اللهاة • وذلك مثل «الخاء» و «الكاف» في العربية •

تاسعا - سقف الحنك : هو جزء الفم الذي يقابل اللسان وهو أربعة أقسام •

١ - اللثة : وهي الجزء الذي يقع خلف الاسنان العليا مباشرة • ويمكن أن تلمسه بطرف لسانك • وستلاحظ أنه بارز يرتفع إلى أعلى من الخلف • وتشترك اللثة مع طرف اللسان ، أو مقدمته ، في انتاج عدد من الاصوات مثل التاء والسين والنون الخ •

٢ - السقف الصلب : وهو الجزء الذي يقع خلف اللثة • وهو عبارة من قطعة من العظم ، مكسوة بطبقة من اللحم • والسقف الصلب ، مثل اللثة ، في أنه لا يستطيع الحركة • وهو يشترك مع طرف اللسان ومقدمته ووسطه في انتاج عدد من الاصوات ، مثل (الشين) ، وبعض أنواع التاء واللام والسين •

٣ - السقف الرخو • وهو الجزء الذي يلي السقف الصلب • وهو قطعة من اللحم ليس تحتها عظام ومن ثم فهي قابلة للحركة • وتشترك مع مؤخرة اللسان في انتاج عدد من الاصوات مثل الخاء والكاف •

٤ - اللهاة : وهي في الواقع جزء من سقف الحنك وقد سبق الحديث

عاشرًا - الاسنان : وتشترك مع طرف اللسان في انتاج عدد من الاصوات ، مثل الثناء والذال والظاء ، كما تشارك الاسنان العليا مع الشفة السفلية في انتاج بعض الاصوات الاخرى كالفاء ٠

حادي عشر - الشفتان : تشارك الشفة السفلية مع الاسنان العليا ، انتاج بعض الاصوات كالفاء كما ذكرنا كما تنتج الشفتان معا عددا آخر من الاصوات مثل الميم والباء الخ ٠ هذا وتشترك الشفتان في انتاج الحركات فتسهيلان عند النطق بالضمة وتنفجان عند النطق بالكسرة في العربية ٠ وتساعد حركة الفك السفلي على مقدار انفراج الشفتين عند النطق ببعض الحركات ٠

﴿كيف تنتج الاصوات﴾

يعتمد انتاج أي صوت من الاصوات على ثلاثة امور : اولها الاعضاء التي تتدخل معرضة الهواء الخارج من الرئتين وثانيها الطريقة التي تتدخل بها هذه الاعضاء ، وثالثها الجهر أو الهمس ٠

وقد تحدثنا فيما مضى عن الاعضاء الصوتية وبقي الآن أن نتحدث عن طرق تدخلها ، وهي كما يلي :-

١ - عدم التدخل على الاطلاق ٠ ويتم ذلك في حالتين ، حالة التنفس ، وحالة النطق بالفتحة ، اذ أن كل ما يحدث ، هو أن يتبعه الفكان ، وينطلق الهواء ، دون تدخل أي عضو من الاعضاء ، فيما عدا الاوتار الصوتية التي تتذبذب عند النطق بالحركات ٠

٢ - التدخل بغلق طريق الهواء نهايًّا ٠ وتسمى هذه العملية (انحباس الهواء) والصوت الناتج عنها يسمى (صوتا انحباسيا) ومثاله : الباء الأخيرة الساكنة في الكلمة « كُتُبٌ » ٠ وقد يحدث انفجار بعد

الانحباس ويسمى الصوت في هذه الحالة « انحباسيا انفجاريما » ٠ ومثاله :
باء المسبقة بحركة والمتبوعة بحركة في الكلمة « لَبِسٌ » ٠ ويتمثل
الانحباس في انطريق الشفتين وحبس الهواء ، والانفجار في افراقهما
وانطلاقه ٠ وقد يحدث انفجار دون انحباس ٠ وذلك اذا ما كانت الشفتان
مثلا منطبقتين أثناء السكوت ثم تنطق بباء المتحركة ، فكل ما يحدث هو
افراق الشفتين عند النطق بالصوت مثل باء « باع » ٠ وعلى سبيل التجاوز
تسمى هذه الاصوات بالاصوات الانفجارية بصرف النظر عما اذا كانت
انفجارية فقط ، أو انفجارية انحباسية ، أو انحباسية فقط ٠

٣ - التدخل بقفل طريق الهواء قولا غير تام ، بحيث يحدث الهواء
أثناء خروجه احتكاكا مسموعا ٠ وتسمى الاصوات الناتجة عن هذا النحو
بالاصوات الاحتكاكية ٠ ومثالها الفاء والباء والظاء والسين ٠٠ الخ ٠

٤ - التدخل بقفل طريق الهواء في الفم ، وفتحه في الانف
بواسطة الملاحة ؟ فيخرج منه الهواء منطلاقا ٠ وتسمى الاصوات الناتجة عن
هذا بـ « الاصوات الانفية » ٠ ومثالها الميم والنون ٠

٥ - التدخل بقفل أو سط الفم باللسان ، مع السماح للهواء بالخروج
من جانبيه ٠ وتسمى الاصوات الناتجة عن هذا التدخل بـ « الاصوات
الجانبية » ومثالها اللام ٠

٦ - التدخل بقفل طريق الهواء في الفم ، ثم اغلاقه ، ثم فتحه
واغلاقه مرات متواتلة وسريعة ٠ ويسمى الصوت الناتج بهذه الطريقة ،
باسم الصوت المتردد ٠ ومثاله الراء العربية المشدة ، أو الساكنة في مثل
« الرأى » و « أرض » ٠

٧ - التدخل بقفل طريق الهواء لفترة قصيرة جدا بواسطة لسان
اللسان سقف الحنك ، أو الملاحة مؤخرة اللسان ٠ ويسمى الصوت الناتج

عن هذه الطريقة باسم الصوت اللمسى ٠ ومثاله الراء العربية المتجركة فى مثل « فَرَسَانٌ » ٠

٨ - التدخل باعتراض طريق الهواء داخل الفم ، دون أن يتسبب ذلك فى احتكاك الهواء احتكاكا مسموعا أثناء خروجه ٠ والاصوات الناتجة تكون عادة مجحورة ، أى أن الاوتار الصوتية تذبذب عند مرور الهواء بها، وهي تسمى بالحركات ٠ وعند النطق بالكسرة مثلا نلاحظ أن مقدمة اللسان ترتفع إلى أعلى دون أن تقرب اقرابا شديدا من سقف الحنك الصلب ٠ وعند النطق بالضمة ، نلاحظ أن مؤخرة اللسان ترتفع إلى أعلى ، دون أن تقرب اقرابا شديدا من سقف الحنك الرخو ٠

٩ - التدخل بالطريقة المذكورة في رقم (٨) السابق ، ثم تغير وضع اللسان ، مع عدم حدوث انحباس أو احتكاك ، أو بعبارة أخرى نطق حركتين متاليتين دون وجود همزة أو صوت آخر بينهما وتسمع في هذه الحالة الصوت الذى نسميه « ياء » أو الصوت الذى نسميه « واواً » ٠ ومثل هذا الصوت يسمى « نصف حركة » ٠ وقد وضيحا كل هذه الحالات في الجداول الموجودة في ص - ٩٧

ويمكن وصف الاصوات بذكر العضو أو الاعضاء التي تتدخل لاعتراض طريق الهواء والطريقة التي يتم بها التدخل ٠ وسنعرض الآن لأكثر الاصوات شيوعا في اللغات الانسانية بالوصف بناء على ما تقدم ٠
اولاً - منطقة الحنجرة : يحدث فيها إلى جانب الجهر والهمس^(١) الاصوات الآتية :-

١ - الصوت الحنجري الانفجاري المهموس وهو الهمزة ٠

(١) انظر ص ٨٩ ٠

١ ()
مود المواه

في الألف
(ساكن افتحي)

في اللام

بدون تونف
مع تونف

٢ ()
مود المواه في اللام مع تونف

بالمليس والفتح
(ساكن افتحاري)

٣ ()
مود المواه في اللام بدون تونف

١ - مودة واحدة (ساكن لمحى)
ب - أكثـر من مودة (ساكن متعدد)

١ - مودة متعددة اللام
ب - بدون اشتراك (ساكن اشتراك)

١ - مودة بدون جانبي اللام
ب - بدون اشتراك (ساكن جانبي محلك)

١ - مودة مع اشتراك (ساكن جانبي محلك)
ب - بدون اشتراك (ساكن جانبي غير محلك)

٢ - الصوت الحنجري الاحتاكي المجهور ومثاله الهاء المتحركة في العربية في مثل الكلمة « هذا » ٠

٣ - الصوت الحنجري الاحتاكي المهموس ومثاله الهاء الساكنة في آخر الكلام في العربية مثل « له ٠ »

ثانيا - منطقة البلعوم : يحدث في البلعوم الحنجري ^(٢) الصوتان الآتيان : -

١ - الصوت البلعومي الاحتاكي المجهور ٠ ومثاله العين العربية في مثل « عالم ٠ » ^(٣)

٢ - الصوت البلعومي الاحتاكي المهموس ٠ ومثاله الحاء العربية في مثل « حليم ٠ »

ثالثا - منطقة اللهاة ٠ قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتفتح ممره في الفم أو بالعكس ، فتغلق ممره في الفم وتفتح ممره في الانف ٠ وفي كلتا الحالتين قد تلتقي اللهاة بمؤخرة اللسان وتحدث الاصوات الآتية : -

١ - الصوت اللهوي الانفجاري المجهور ، مثل الصوت الاول في الكلمة العراقية « گلُب » بمعنى « قلب » ٠

٢ - الصوت اللهوي الانفجاري المهموس ، مثل الصوت الاول في الكلمة الفصحي « قلب » ٠

٣ - الصوت اللهوي الاحتاكي المجهور ، مثل الصوت الاول في الكلمة العراقية « غالى » وفي الكلمة الفصحي « غَيْر ٠ »

(٢) انظر ص ٩٠ - ٩١ ٠

(٣) نعني ببنطق الصوت في العربية نقطة في الفصحي كما نعرفها اليوم لا كما وضعها علماء اللغة العرب ٠ وستنعرض للاصوات كما وصفوها في مكان لاحق ٠

٤ - الصوت اللهوي الاختلاكي المهموس ، مثل الصوت الاول في الكلمة العراقية « خاله » وفي الكلمة الفصحى « خسر ». •

٥ - الصوت اللهوي اللمسى المجهور ولا يوجد في العربية ولكنه سببه بالصوت الاول في الكلمة العراقية « گلُبْ » بمعنى « قلب » .

٦- الصوت اللهوي المتعدد المجهور وهو صوت نسمعه عند الغرغرة وليس من الاصوات العربية .

وفي هذه الحالات يكون ممر الهواء في الفم مفتوحاً ومروره في الأنف مقلقاً.

٧ - الصوت الملهوي الانفي المجهور ، ويوجد في العربية الفصحي عند التقاء النون الساكنة بالقاف في مثل « اقلب » .

وفي هذه الحالة يكون مرّ الهواء في الأنف مفتوحاً وممرّاً في الفم متعلقاً

رابعاً - المنطقة الرخوة من سقف الحنك . قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتنفتح ممره في الفم ، أو بالعكس قد تغلق ممره في الفم وتنفتح ممره في الانف وفي كلتا الحالتين قد تلتقي مؤخرة اللسان بالمنطقة الرخوة من سقف الحنك فتستجع الاصوات الآتية : -

١ - الصوت الرخو الانفجاري المجهور . ومثاله الصوت الاول في الكلمة العراقية « گلت ٌ » بمعنى « قلت » وفي الكلمة المصرية « حمل ٠ » .

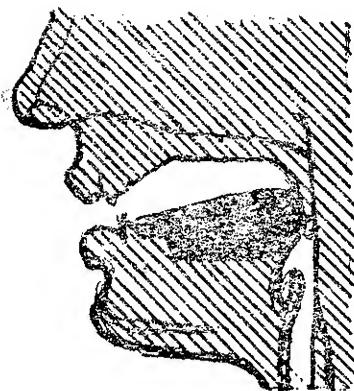
٢ - الصوت الرخو الانفجاري المهموس . ومثاله الصوت الاول في الكلمة العربية «كتاب» .

٣ - الصوت الرخو الاحتكمي المجهور ، ومثاله الصوت الاول في الكلمة العراقية والمصرية « غير »

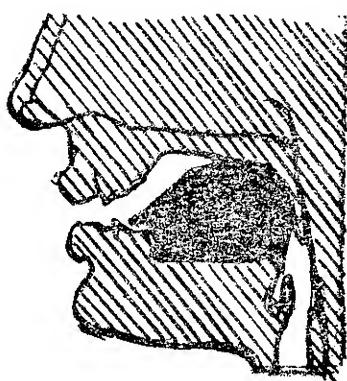
٤- الصوت الرخو الاحتكاكي المهموس ، ومثاله

الصوت الأول في الكلمة العراقية والمصرية « خير » .
وفي كل هذه الحالات يكون مرر الهواء في الانف مقفلًا ومرر في
الانف مفتوحًا .

٥ - الصوت الرخو الانفي المجهور . ويوجد في العربية الفصحى
عند القاء النون الساكنة بالكاف في مثل « إن كتب » .



(ب)



(أ)

شكل رقم « ٥ »

أ - اتصال مؤخرة اللسان ب - اتصال مؤخرة اللسان بالهاءة

بالجزء الرخو من سقف الحنك

خامسا - النقطة الصلبة من سقف الحنك . قد تغلق الهاءة مرر
الهواء في الانف وتفتح مرر في الفم أو بالعكس ، فقد تغلق مرر في الفم
وتفتح مرر في الانف وإذا فتحت مرر في الفم ، فقد يخرج الهواء من
جانبي اللسان أو من مقدمته .

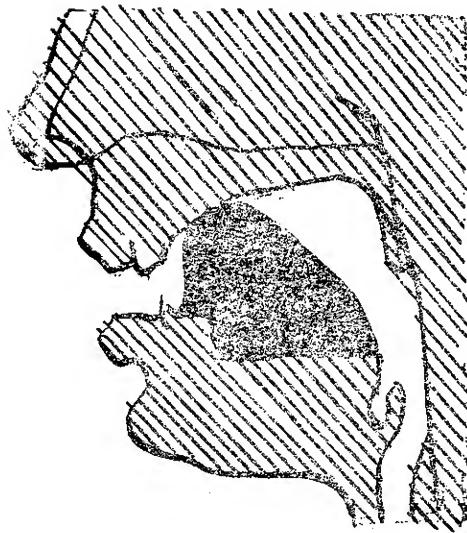
وإذا التقى وسط اللسان أو مقدمته بالنقطة الصلبة من سقف الحنك
تتحت الأصوات الآتية : -

١ - الصوت الصلب الانفجاري المجهور . ويوجد في أول الكلمة
العراقية « جيگاره » وأول الكلمة الفصحى « جمل » .

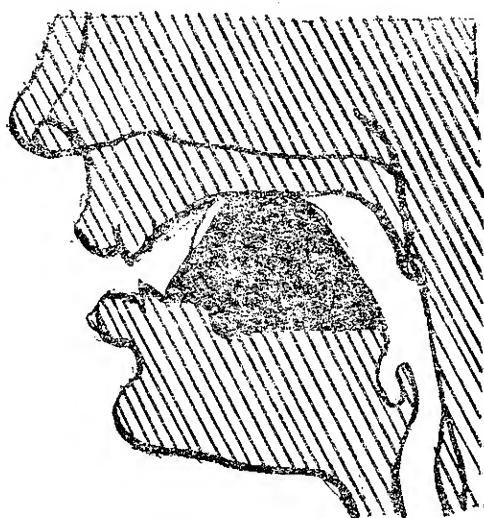
٢ - الصوت الصلب الانفجاري المهموس ٠ ويوجد في أول الكلمة «العراقية» «چاي» ومعناها «شاي بالمصرية» وأول الكلمة الانجليزية «Chair».

٣ - الصوت الصلب الاحتاكي المجهور ويوجد في أول الكلمة «جمل» بالنطق السوري ٠ وفيها تتصل مقدمة اللسان بالسقف الصلب ٠

٤ - الصوت الصلب الاحتاكي المهموس ٠ ويوجد في أول الكلمة العربية «شمس» ٠ وفي كل هذه الحالات يخرج الهواء من الفم فوق مقدمة اللسان ٠



(ب)



(آ)

شكل (٦)

أ - اتصال وسط اللسان بالسقف ب - اتصال مقدمة اللسان بالسقف الصلب عند النطق بالشين الصلب عند النطق بالجيم بالعربية والسورية

٥ - الصوت الصلب الجانبي ٠ وهو نوع من اللام تستعمله بعض المغنيات المصريات في النطق باللام في كلمة «لأ»

٦ - الصوت الصلب الانفي المجهور ٠ ويوجد في اللغة العربية عند النطق بالتون الساكنة اذا أتت بعدها ياء ، في مثل «أن يكون»

سادساً - منطقة مقدمة الجزء الصلب ومؤخرة اللثة . وفيها يتبع الصوتان الآتيان :

١ - الصوت الصلب اللثوي الاحتكاكى المجهور . وعند النطق به يتصل وسط اللسان بالجزء الامامي من السقف الصلب والجزء الخلفي من اللثة . وهذا الصوت نوع من الجيم السورية ولكنه قريب من صوت الزاي .

٢ - الصوت الصلب اللثوي الاحتكاكى المهموس . وعند النطق به يتصل وسط اللسان بالجزء الامامي من السقف الصلب والجزء الخلفي من اللثة . وهو نوع من الشين ولكنه قريب من السين .

سابعاً - منطقة مؤخرة اللثة والجزء الامامي من السقف الصلب . وفيها يتبع الصوتان الآتيان : -

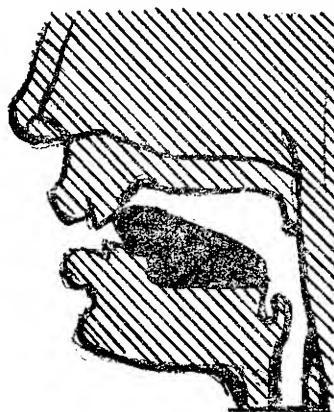
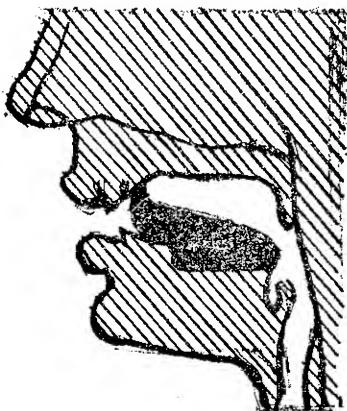
١ - الصوت اللثوي الصلب الاحتكاكى المجهور . وعند النطق به تتصل مقدمة اللسان باللثة والجزء الامامي من السقف الصلب . وهذا الصوت نوع من الزاي تقرب الجيم السورية .

٢ - الصوت اللثوي الصلب الاحتكاكى المهموس . وعند النطق به تتصل مقدمة اللسان باللثة والجزء الامامي من السقف الصلب . وهذا الصوت نوع من السين تقرب من الشين .

ثامناً - منطقة اللثة . قد تغلق اللهاة ممر الهواء في الانف وتفتح ممره في الفم أو بالعكس فقد تغلق ممره في الفم ويخرج الهواء من جانبي اللسان أو من فوق مقدمته .

وفي هذه الحالات يلتقي طرف اللسان باللثة بحادي طرفيتين . الأولى يكون فيها ملتوياً إلى أعلى ويلمس اللثة من الخلف وتسمى الأصوات . في هذه الحالة بالا صوات الالتوائية الخلفية . وهي الأصوات الآتية : -

- ١ - الصوت اللتوائي الانفجاري المجهور - وهو الدال في نطق الهنود
- ٢ - الصوت اللتوائي الانفجاري المهموس - وهو التاء في نطق الهنود
- ٣ - الصوت اللتوائي الاحتاكي المجهور - وهو الزاي في نطق الهنود
- ٤ - الصوت اللتوائي الاحتاكي المهموس - وهو السين في نطق الهنود
- ٥ - الصوت اللتوائي الملمسى المجهور - وهو الراء في نطق الهنود
وفي كل هذه الحالات يخرج الهواء من الفم فوق مقدمة اللسان
- ٦ - الصوت اللتوائي الجانبي المجهور - وهو اللام في نطق الهنود
- ٧ - الصوت اللتوائي الانفي المجهور - وهو النون في نطق الهنود
وفي هذه الحالة يخرج الهواء من الممر الانفي لا من الفم *



شكل رقم (٧)

ب - وضع اللسان ملامسا
للثة دون التوا خلفي

أما الطريقة الثانية فيكون فيها طرف اللسان غير ملتو ويلامس اللثة
عند منبت الأسنان . وتسمى الأصوات في هذه الحالة لثوية . وهي ما يأتي :-

- ١ - الصوت اللثوي الانفجاري المجهور - وهو الدال العربية
- ٢ - الصوت اللثوي الانفجاري المهموس - وهو التاء العربية

٣ - الصوت اللثوي الاحتاكي المجهور - وهو الراي العربية

٤ - الصوت اللثوي الاحتاكي المهموس - وهو السين العربية

٥ - الصوت اللثوي الاحتاكي الجانبي المجهور - وهو الراء في الانجليزية
البريطانية *

٦ - الصوت اللثوي اللمسى المجهور - وهو الراء المتحركة غير المشددة
في العربية في مثل الكلمة (ربع) وفيها يلمس اللسان اللثة لمسة
سريعة *

٧ - الصوت اللثوي التردد المجهور - وهو الراء الساكنة والمشددة في
العربية * وفيها يلمس اللسان اللثة لستين أو ثلاث لسات متواالية *
وفي كل هذه الحالات يخرج الهواء من الفم فوق مقدمة اللسان *

٨ - الصوت اللثوي الجانبي المجهور - وهو اللام العربية ، وفيها يخرج
الهواء من الفم من جانبي اللسان *

٩ - الصوت اللثوي الجانبي المحتك المجهور - وهو صوت ينطوي به من
يلشع في النطق بالزاي * وليس من الاصوات العربية(*) *

١٠ - الصوت اللثوي الجانبي المحتك المهموس - وهو صوت ينطوي به من
يلشع في النطق بالسين * وليس من الاصوات العربية *

١١ - الصوت اللثوي الانفي المجهور - وهو النون العربية ، وفيها يخرج
الهواء من الأنف نظرا لغلق ممره في الفم *

سابعا - منطقة الاسنان : يوضع طرف اللسان بين الاسنان السفلية
والعلية * ويتيح عن ذلك الصوتان الآتيان :-

١ - الصوت الاسناني الاحتاكي المجهور - وهو الذال في العربية
الفصحي *

٢ - الصوت الاسناني الاحتاكي المهموس - وهو الثاء في العربية الفصحي
وقد تلقى الشففة السفلية بالاسنان العلية ، فيتيح الصوتان الآتيان :-

(*) الظاهر من وصف العرب لصوت الضاد القديمة انها النظير
المفخم لهذا الصوت *

١ - الصوت الشفوي الاستاني الاحتاكي المجهور - وهو « V » في الانجليزية في مثل الكلمة "Very".

٢ - الصوت الشفوي الاستاني الاحتاكي المهموس - وهو الفاء العربية .
ثاماً - منطقة الشفتين : وتحدث الاصوات فيها بلمس الشفتين احدهما
للاخرى مسيبة الاصوات الآتية :-

- ١ - الصوت الشفوي الثنائي الانفجاري المجهور - وهو الباء العربية .
- ٢ - الصوت الشفوي الثنائي الانفجاري المهموس " P " في الانجليزية
ويوجد كذلك في أول الكلمة العراقية « ياجه » اسم طعام شعبي معروف .
- ٣ - الصوت الشفوي الثنائي الاحتاكي المجهور - وينطق به بعض
الفرس باعتباره واوا .
- ٤ - الصوت الشفوي الثنائي الاحتاكي المهموس - وهو يشبه الصوت
الذى نسمعه عندما نطفىء الشمعة أو المصباح النفطي .
وفي هذه الحالات يخرج الهواء من الفم لسد ممره في الانف .
- ٥ - الصوت الشفوي الثنائي الانفي المجهور - وهو الميم في العربية .

السوائل المفخمة :

لم نذكر فيما من سوى الاصوات التي يألفها القارئ العربي . ولكن
قد أغفلنا ذكر الاصوات المفخمة ، وهي من الاصوات الهامة في اللغة العربية
ولهجانها . والصوت المفخم لا يفترق عن نظيره غير المفخم من الناحية
الأدائية الا في تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي .
والاصوات المفخمة في العربية^(٤) هي :-

أ - الصوت اللثوي الانفجاري المهموس - وهو الطاء في مثل « طاب »
ونظيره المفخم وهو الصوت اللثوي الانفجاري المهموس - وهو
الناء في مثل « تاب » .

(٤) تعنى بها الفصحى والمصرية والعراقية .

ب - الصوت اللثوي الانفجاري المجهور المفخم - وهو الصاء في النطق المصري في مثل « ضل » . ونظيره غير المفخم هو الصوت اللثوي الانفجاري المجهور وهو الدال في مثل « دل » .

ج - الصوت اللثوي الاحتكمي المجهور المفخم - وهو الظاء في النطق المصري في مثل « ظن » . ونظيره غير المفخم هو الصوت اللثوي الاحتكمي المجهور وهو الزاي في مثل « زان » .

د - الصوت اللثوي الاحتكمي المهموس المفخم وهو الصاد في مثل « صاد » ونظيره غير المفخم الصوت اللثوي الاحتكمي المهموس وهو السين في مثل « ساد » .

ه - الصوت الاسناني الاحتكمي المجهور المفخم - وهو الظاء في النطق الفصيح والنطق العراقي في « ظل » . ونظيره غير المفخم الصوت الاسناني الاحتكمي المجهور - وهو الدال في النطق الفصيح والعراقي في مثل « ذل » .

وقد فرقت الكتابة العربية بين السواكن الفصحى المفخمة وغير المفخمة. فوضعت رموزا « حروفاً » خاصة للظاء والظاء والصاد والصاد تختلف عن رموز الزاي والباء والسين والدال .

﴿ الحركات ﴾

ذكرنا فيما مضى أن الأعضاء الصوتية قد لا تتدخل في طريق الهواء الخارج من الفم تدخلًا يسبب احتكاكاً مسموعاً . وفي هذه الحالة يحدث أحد أمرين .

أ - ألا تهتز الاوتار الصوتية وهذا في حالة التنفس .

ب - أن تهتز الاوتار الصوتية ، فيكون الصوت المسموع حركة . ويمكن وصف الحركات بذكر ثلاثة أمور هي : -

أ - مقدار بعد الفك الأسفل عن الفك الأعلى .

ب - جزء اللسان الذي يكون مرتفعا داخل الفم ^(٤) .

ح - مقدار استدارة الشفتين أو انفراجهما .

وستذكر هنا بعض الحالات القياسية لهذه الاوضاع العضوية .

أولا - الاتساع التام . تكون المسافة بين الفك الاسفل والاعلى أوسع

ما يمكن . وتسع عادة لوضع ثلاثة أصابع بين الاسنان العليا والسفلى .

ويمكن في هذه الحالة أن ننطق بالحركات الآتية : -

١ - اذا كان اللسان في أسفل الفم تماما ومقدمته أعلى نقطة فيه وكانت

الشفتان منفرجتين تجت الحرارة الآتية : -

الحركة الواسعة الامامية : وتسمى واسعة لاتساع الفكين ، وأمامية

لان أعلى نقطة في اللسان هي مقدمته . ومثالها الفتحة الطويلة في

الكلمة العراقية « بانكه » و « پاچه » .

٢ - اذا كان اللسان في أسفل الفم تماما ، ولكن مؤخرته ترتفع قليلا في

اتجاه السقف الرخو ، مما يسبب تراجعها للخلف وضيق البلعوم

الفموي ، تجت الحرارة الآتية : -

الحركة الواسعة الخلفية ، لاتساع الفكين وكون مؤخرة اللسان أعلى

نقطة فيه . ومثالها الحركة الطويلة في الكلمة العراقية « خاله » والكلمة

الفصحي « طالب » والفتحة التصيرية في « گلب » العراقية (بمعنى قلب)

و « طلب » الفصحي .

ثانيا - نصف الاتساع . تكون المسافة بين الفكين بحيث تسع لوضع

اصبعين فقط بين الاسنان السفلية والعلية . ويمكن في هذه الحالة النطق

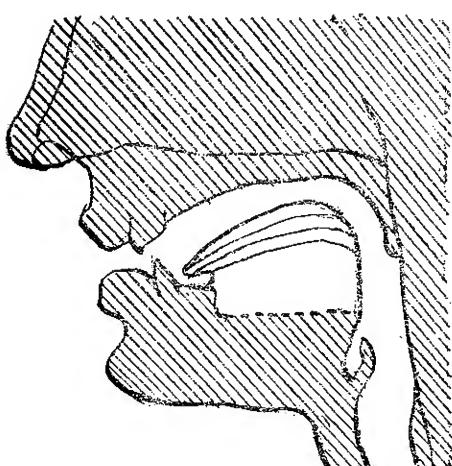
بالحركات الآتية : -

(٥) يرتفع الجزء الامامي من اللسان في اتجاه الجزء الصلب من

سقف الحنك ويرتفع الجزء الخلفي في اتجاه الجزء الرخو منه .

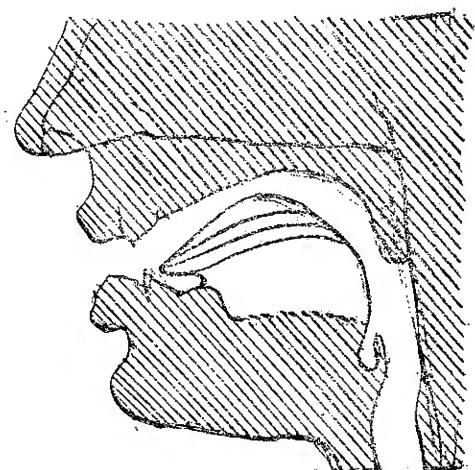
١ - الحركة نصف الواسعة الامامية • ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمقدمته في اتجاه الجزء الصلب من سقف الحنك الى الثالث الاسفل من البعد الكلي • أما الشفتان ف تكونان منفرجتين • وتشبه هذه الحركة الفتحة التي توجد بعد الحاء والسين في الكلمة المصرية
« حسن » •

٢ - الحركة نصف الواسعة الخلفية ، ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعا بمؤخرته في اتجاه الجزء الرخو من سقف الحنك الى الثالث الاسفل من البعد الكلي • أما الشفتان ف تكونان مستديرين بحيث تسع استدارتهما لوضع أصعبين بينهما •
ومثالها الحركة الموجودة في الكلمة " got " بالنطق الامريكي والحركة الطويلة التي بعد الخاء في الكلمة « خالد » كما ينطقها أهل عانة بالعراق •



شكل رقم (٨) أ ، ب

شكل ٨ ب



شكل ٨ أ

أوضاع اللسان في الحركات الامامية أوضاع اللسان في الحركات الخلفية

ثالثاً - نصف الضيق ٠ تكون المسافة بين الفكين بحيث يتسع لوضع اصبع واحد بين الاسنان السفلية والعلوية ٠ ويمكن في هذه الحالة النطق بالحركات الآتية :-

١ - الحركة نصف الضيق الامامية ٠ ويكون اللسان عند النطق بهما مرتفعاً بقدمته في اتجاه الجزء الصلب من سقف الحنك إلى الثنائي من المسافة الكلية ٠ أما الشفتان ف تكونان متفرجتين ٠ وتشبه هذه الحركة ، القحة الممالة التي بعد الفاء في الكلمة المصرية «فين»^(٦) ٠

٢ - الحركة نصف الضيق الخلفية ٠ ويكون اللسان عند النطق بهما مرتفعاً بمؤخرته في اتجاه الجزء الرخو من سقف الحنك إلى الثنائي من المسافة الكلية ٠ وتكون الشفتان مستديرتين بحيث يتسع الفراغ بينهما لوضع اصبع واحد بينهما ٠ ومتالها الضمة الطويلة في الكلمة المصرية والعراقية «لُوم» ٠

رابعاً - الضيق التام ٠ وتكون المسافة بين الفكين منعدمة بحيث يكاد الاسنان السفلية تلمس الاسنان العلية ٠ ويمكن في هذه الحالة النطق بالحركات الآتية :-

١ - الحركة الضيق الامامية ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعاً بقدمته بحيث يكاد يلامس الجزء الصلب من سقف الحنك ، دون أن يسمع أى احتكاك عند خروج الهواء ٠ وتكون الشفتان متفرجتين تماماً ٠ ومتالها الكسرة بعد الباء في «بنت» في النطق المصري والعربي ٠

٢ - الحركة الضيق الخلفية ٠ ويكون اللسان عند النطق بها مرتفعاً بمؤخرته بحيث يكاد يلامس الجزء الرخو من سقف الحنك ، على

(٦) لا تنطق هذه الكلمة بنفس الطريقة التي ينطق بها العراقيون .
كلمة « وين » كما سترى ٠

ألا يسبب ذلك احتكاكاً مسموعاً • وتكون الشفتان مستديرين بحيث تسعان لوضع طرف الاصبع الصغير • ومثالها الضمة الطويلة في فعل الامر « فوت » في المصرية والعرقية •

خامساً - الوضع المتوسط • وتكون المسافة بين الفكين نصف المسافة الكلية ويكون اللسان كذلك مرتقعاً في منتصفه إلى نصف المسافة الكلية داخل الفم ، وتكون الشفتان في حالة متوسطة بين الاستدارة التامة والانفراج التام • وتسمى الحركة الناتجة في هذه الحالة بالحركة المركزية أو المتوسطة • ومثالها الحركة الأخيرة التي تدل على التأنيث في الأسماء العرقية مثل « نايمه » « صايحة » « ساجده » الخ •

ملاحظات :

- ١ - من الممكن في الحالات السابقة أن تستدير الشفتان مع الحركات التي لم نقل باستدارة الشفتين فيها أو بالعكس ، فلا تستديران في الحركات التي ذكرنا أنهما مستديرين تابعًا عند النطق بها • ولم نذكر هذه الحالات لعدم وجود أمثلة لها في العربية •
- ٢ - الحركات التي وصفناها تسمى بالحركات المعيارية وتقاس عليها الحركات في اللغات المختلفة • وقد مثلنا لها بحركات عربية مألوفة • وذلك بالرغم من أن الحركات العربية لا تماثلها تمام المماثلة ولكنها قريبة منها • ولابد من ي يريد معرفة القيم الصوتية لهذه الحركات من مراجعة كتاب خاص في علم الأصوات والقيام بتدريبات سمعية كافية (٧) •
- ٣ - السواكن والحركات التي سبق وصفها هي تلك التي توجد في القائمة التي أقرتها الجمعية الدولية للدراسات الصوتية • وقد

(٧) انظر كتابنا « اصوات اللغة » وقد فصلنا فيه كل ذلك •

مثلنا لها بأقرب شيء لها في العربية *

الحركات المزدوجة وانصاف الحركات

عند النطق بحركة ما يتخذ اللسان وضعًا معيناً داخل الفم ثم يغيره عند الوقف أو عند النطق بساكنٍ بعد الحركة * وقد يحدث أن يغير اللسان وضعه عند النطق بالحركة ، فينتقل إلى وضعٍ جديدٍ يتبعُ فيه حركةٍ ثانية * ويمكن للقارئ أن يدرك هذه الحالة الأخيرة بأن ينطق بضمٍّ طويلاً مثلاً ثم ينطق بعده بفتحة دون توسط ساكنٍ أو سكوتٍ بينهما * ويسلاخُ أنَّه يسمع صوت الضمِّ وصوت الانتقال منها إلى الحركة التي تليها ثم صوت الفتحة *

وفي اللغة العربية الفصحى من انصاف الحركات الواو والياء المتركتان في مثل « وَعَدَ » و « يَعِدُ » * والواو المفتوحة في « وَعَدَ » عبارة عما يأتي :-

- ١ - حركة ضيقَة خلفية مستديرة (ضمَّة) *
- ٢ - صوت انتقالٍ (واو) *
- ٣ - حركة واسعة أمامية (فتحة) *

ومجموع هذه الأمور الثلاثة تسمى حركة مزدوجة أما الصوت الانتقالِي فنصف الحركة الذي نسميه بالواو *

والباء المفتوحة في « يَعِدُ » تكون من الآتي :-

- ١ - حركة ضيقَة أمامية (كسرة) *
- ٢ - صوت انتقالٍ (باء) *
- ٣ - حركة واسعة أمامية (فتحة) *

ومجموع هذه الأمور الثلاثة تسمى حركة مزدوجة * أما الصوت الانتقالِي الذي بين الحركتين فنصف الحركة الذي نسميه بباء *

ويمكن تعريف الحركة المزدوجة بأنها حركةتان متوايلتان تكونن أحدهما في العادة قصيرة جداً . أما نصف الحركة فيعرف بأنه الصوت الذي يسمع عند الانتقال من النطق بحركة إلى النطق بحركة أخرى . والحركات المزدوجة على أنواع هي : -

أولاً - الحركات المزدوجة المتقدمة . وهي الحركات المكونة من جزئين أولهما حركةخلفية وثانيهما حركة أمامية . وقد تكون هذه الحركات مستوية أو صاعدة أو هابطة .

أ - الحركات المزدوجة المتقدمة المستوية . وهي التي يكون جزؤها الاول حركةخلفية وجزؤها الثاني حركة أمامية وهمما يتساويان في الاتساع أو الضيق وهي الحركات المزدوجة الآتية : -

١ - التي جزؤها الاول حركةخلفية واسعة والثاني أمامية واسعة

٢ - التي جزؤها الاول حركةخلفية نصف واسعة والثاني أمامية نصف واسعة .

٣ - التي جزؤها الاول حركةخلفية نصف ضيقة والثاني أمامية نصف ضيقة .

٤ - التي جزؤها الاول حركةخلفية ضيقة والثاني أمامية ضيقة

ب - الحركات المزدوجة المتقدمة الصاعدة . وهي التي يكون جزؤها الاول حركةخلفية ، والثاني حركة أمامية أضيق من الجزء الاول وهي الحركات المزدوجة التالية : -

١ - التي جزؤها الاول حركة واسعة خلفية والثاني نصف واسعة ضيقة أو ضيقة .

٢ - التي جزؤها الاول حركة نصف واسعة والثاني نصف ضيقة أو ضيقة .

٣ - التي جزؤها الاول حركة نصف ضيقة والثاني ضيقة .

ثانياً - الحركات المزدوجة المترابطة . وهي التي تتكون من جزئين أولهما حركة أمامية وثانيهما حركةخلفية . وهذه الحركات قد تكون متساوية أو صاعدة أو هابطة .

أ - الحركات المزدوجة المترابطة المتساوية : وهي التي يكون جزؤها الاول حركة أمامية والثاني حركةخلفية على أن يتساوليا في الاتساع أو الضيق . وهي الحركات المزدوجة الآتية :

١ - التي جزؤها الاول حركة أمامية واسعة والثاني حركةخلفية واسعة .

٢ - التي جزؤها الاول حركة أمامية نصف واسعة والثاني حركةخلفية نصف واسعة .

٣ - التي جزؤها الاول حركة أمامية نصف ضيقه والثاني حركةخلفية نصف ضيقه .

٤ - التي جزؤها الاول حركة أمامية ضيقه والثاني حركةخلفية ضيقه .

ب - الحركات المزدوجة المترابطة الصاعدة : وهي التي يكون جزؤها الاول حركة أمامية والثاني حركةخلفية أضيق من الجزء الاول ، وهي الحركات المزدوجة الآتية :-

١ - التي جزؤها الاول حركة أمامية واسعة والثاني حركةخلفية نصف ضيقه أو نصف واسعة .

٢ - التي جزؤها الاول حركة أمامية نصف واسعة والثاني حركةخلفية نصف ضيقه أو ضيقه .

٣ - التي جزؤها الاول حركة أمامية نصف ضيقه والثاني حركةخلفية ضيقه .

ج - الحركات المزدوجة المترابطة : وهي التي يكون جزؤها الاول حركة امامية والثاني حركة خلفية أوسع من الجزء الاول . وهي الحركات المزدوجة التالية :-

- ١ - التي جزوتها الاول حركة امامية ضيقة والثاني حركة خلفية نصف ضيقة او نصف واسعة او واسعة .
- ٢ - التي جزوتها الاول حركة امامية نصف ضيقة والثاني حركة خلفية نصف واسعة او واسعة .
- ٣ - التي جزوتها الاول حركة امامية نصف واسعة والثاني حركة خلفية واسعة .

الرموز الصوتية

اولا - الرموز الاساسية :-

وصفتنا فيما سبق أكثر السواكن والحركات شيئاً في اللغات المعروفة ، وبقي علينا أن نقدم الرموز التي تكتب بها هذه الأصوات . وقد ابتكرت الجمعية الدولية للدراسات الصوتية (Association Phonétique Internationale) ، التي أُسست في فرنسا سنة ١٨٨٦م والتي لا تزال موجودة حتى اليوم ، قائمة بالرموز التي خصصت كلها لصوت من الأصوات التي أسلفنا وصفها . وبطبيعة الحال اختارت الجمعية هذه الرموز من بين الحروف اللاتينية التي تكتب بها اللغات الأوربية المختلفة .

والغرض من هذه الرموز توحيد الرموز الكتابية التي يستعملها علماء الأصوات في دراساتهم للهجات واللغات المختلفة ، مما يوفر عليهم مشقة وصف الأصوات كل على حدة . وقد كانت العادة المتبعه من قبل أن يقدم مؤلفو الكتب اللغوية لكتابهم ، وخاصة إذا كانت اللغة التي يكتبون عنها لغة غير مشهورة ، بوصف لأصواتها يستعينون فيه بمقارنتها بأصوات قريبة منها في لغة مشهورة ، فيقولون مثلاً إن «الجيم» في لهجة صعيد مصر مثل الصوت الأول في الكلمة (Jug) الانكليزية ، وأن الجيم ال-cahriyah مثل الصوت الأخير منها . وبالرغم من أن هذا الوصف قد يفيد التعلم العادي فإنه عديم الدقة لا يكفي بحاجة الباحث الصوتي . والرموز الصوتية التي نوردها هنا وسيلة دقيقة وهينية لتسجيل ما يصادف الباحث الصوتي من أصوات أو صفات صوتية .

ولما كان القارئ العربي يصادف صعوبة في قراءة هذه الرموز ، فقد اخترنا نظائر للرموز التي ابتكرتها الجمعية من بين الحروف العربية سنتقدمها للقارئ مع رموز الجمعية في الجدول التالي .

Back	Centr	Front	Rounded	Vowells
آمی	مرکزی	خلفی	ستیر	المرکزات
u	u	i	(u)	Close
و	و	ی	و	ضییہ
ø	ø	ø	(ø)	Half-close
وو	وو	وو	و	فیصلہ
œ	œ	œ	(œ)	Half-open
وو	وو	وو	و	فیصلہ
œœ	œœ	œœ	œœ	Half-open
وو	وو	وو	و	فیصلہ و ایج
ø	ø	ø	ø	ø
ا	ا	ا	(ø)	Open
ا	ا	ا	ا	ایج

ويلاحظ ما يأتي : -

- ١ - للحركات ثلاثة أعمدة فقط ، العمود الشفوي وستدير الشفتان عند النطق بالحركات الموجودة فيه ، والعمود الصلب والعمود الرخو ويعينان موضع اللسان ٠ ولا يكفي وصف حالة الشفتين لتحديد نوع الحركة ، بل لابد الى جانب هذا من وصف موضع اللسان ايضا ٠ ومن أجل ذلك يجد القارئ الحركات الموجودة في العمود الشفوي موجودة ايضا في العمود الصلب او العمود الرخو ٠
- ٢ - رتبت الحركات في العمودين الصلب والرخو بحيث توجد احيانا حركتان متجلورتان ٠ والحركة التي على اليسار من الحركتين المتجلورتين شفوية ٠ ولذا توجد في نفس الوقت في العمود الشفوي ٠
- ٣ - توجد بعض الحركات التي تتوسط بين العمود الصلب والعمود الرخو وتظهر في الجدول في موضع متوسط وتسمى بالحركات الوسطى ٠ ومن هذه الحركة (٥) وتسمى بالحركة المركزية لانها تقع في مركز منطقة الحركات ٠

ثانيا - الرموز الثانوية :

قد يكون في الصوت الى جانب الصفات التي يعينها جدول الرموز السابق صفات ثانوية اخرى ٠ وعلى سبيل المثال يمكن ان توصف « الطاء » في العراقية بانها « ساكن لتوى انفجار مهموس مفخم » ٠ ولكن هذا الوصف نفسه ينطبق على الطاء في اللهجة المصرية ٠ ومع هذا فمن الممكن للسامع ادراك الفرق بين هاتين الطائفتين ٠ وهذا الفرق عبارة عن وجود احتكاك بلعومي قليل يحدث بعد الانفجار في الطاء العراقية ٠ وهذا الاحتكاك البلعومي يعتبر صفة ثانوية ٠ كذلك يدرك السامع الفرق بين الفتحة الطويلة في الكلمة « بات » والكلمة « مات » وهذا الفرق عبارة عن رنين اثني يحدث

في الفتحة الطويلة في « مات » ولا يحدث في « بات » . وهذا الرنين الانفي يعتبر كذلك صفة ثانوية . وقد حضرت الجمعية الصوتية الدولية هذه الصفات الثانوية ، ووضعت لكل منها علامة تكتب مع الرمز الدال على الصوت . وهذه العلامات أو الرموز الثانوية هي ما يأتي :-

- ١ - الانفية . ويرمز لها بمدة توضع فوق الصوت .
ومثال ذلك (آ) وهي فتحة طويلة انفية .
- ٢ - الهمس . وقد يعرض للصوت المجهور في ظرف خاص ويرمز
لذلك بوضع هذه العلامة (٥) تحت الصوت أو بعده .
- ٣ - الجهر . وقد يعرض للصوت المهموس في ظرف خاص .
ويرمز لذلك بوضع العلامة (٧) تحت الصوت أو بعده .
- ٤ - المركبة . وهي عبارة عن ميل اللسان نحو وسط الفراغ
الفموي . ويرمز لذلك بوضع العلامة (٠٠) فوق الصوت .
- ٥ - ضيق الحركة . اذا كانت الحركة أضيق من احدى الحركات
التي وصفت عند ذكر الحركات (واسعة ، نصف واسعة ، ونصف ضيقة .
الخ) رمز لذلك بوضع (T) تحت رمز الحركة أو بعده .
- ٦ - اتساع الحركة . اذا كانت الحركة أوسع من احدى الحركات التي
ذكرناها (ضيقة ، نصف واسعة) رمز لذلك بوضع (T) تحت رمز
الحركة أو بعده .
- ٧ - تقدم اللسان . اذا كان اللسان أكثر تقدما من الوضع المفروض
لنطق الصوت رمز لذلك بالعلامة (+) توضع تحت رمز الصوت أو بعده .
- ٨ - تراجع اللسان . اذا كان اللسان أكثر خلفيه من الوضع
المفروض لنطق الصوت رمز لذلك بالعلامة (-) توضع تحت رمز الصوت
أو فوقه .

٩ - النطق الاسناني ٠ اذا كان طرف اللسان يلامس اللثة والاسنان
أو الاسنان فقط ، مع ان المفروض في اوصافنا السابقة للاصوات ان الصوت
لثوي رمز لذلك بالعلامة (٣) تحت الصوت أو فوقه ٠

١٠ - الشفوية ٠ اذا استدارت الشفتان عند النطق بصوت لاستدير
فيه طبقا لاصفنا السابقة رمز لذلك بالعلامة (د) توضع تحت الرمز
أو فوقه ٠

١١ - زيادة استدارة الشفتين ٠ اذا كانت الشفتان تستديران عنـد
نطق صوت اكـثر مما هو مذكور في الاوصاف السابقة ، رمز لذلك بالعلامة ()
توضع بعد الرمز أو تحته ٠

١٢ - زيادة افراج الشفتين ٠ اذا كانت الشفتان تنفرجان عندـد
نطق صوت اكـثر مما هو مذكور في الاوصاف السابقة ، رمز لذلك بالعلامة
(٤) بعد رمز الصوت أو تحته ٠

١٣ - نفس خفيف ٠ بعد انفجار السواكن الانفجارية المهموسة ،
قد ينطلق نفس خفيف ٠ ويرمز لذلك بالعلامة (٥) فوق الرمز ٠

١٤ - همزة ثانوية ٠ قد ينـطق الصوت الانفجاري (غير الهمزة)
مع انـفجار حنـجري الى جانب انـفجاره ٠ ويرمز لذلك بوضع همزة صغيرة
فـوق الرمز ٠ مثل كـسـاـكـنـ مـهـمـوـسـ ذو انـفـجـارـ مـزـدـوـجـ أحـدـهـماـ فيـ
الـحـنـجـرـ وـثـانـيـهـماـ فيـ السـقـفـ الرـخـوـ ٠ وـقـدـ يـحـدـثـ انـفـجـارـ حـنـجـرـيـ عندـ
الـنـطـقـ بـحـرـكـةـ مـاـ ٠ وـيرـمـزـ لـذـلـكـ بـنـفـسـ هـذـهـ العـلـامـةـ مـثـلـ :ـ

(أ) حـرـكـةـ أـمـامـيـةـ نـصـفـ وـاسـعـةـ معـ انـفـجـارـ حـنـجـرـيـ ٠

١٥ - الاـزـدـواـجـ الصـوـتـيـ ٠ قد يـنـطـقـ صـوـتـانـ مـعـاـ فيـ نفسـ الـوقـتـ
وـيرـمـزـ لـذـلـكـ بـكـتـابـةـ الصـوـتـيـنـ وـوـضـعـ قـوـسـ فـوـقـهـاـ أوـ تـحـتـهـماـ ٠
اـذـاـ كـانـ اـنـرـ الصـوـتـ الثـانـيـ فـيـ الـحـالـةـ السـاـبـقـةـ قـلـيـلاـ كـتـبـ الصـوـتـ

الثاني بحرف صغير فوق الحرف الذي يرمز للصوت الاول ٠

١٦ - الاعلام ٠ توضع العلامة * في أول الكلمة اذا كانت علما ٠

وذلك اذا اريد تمييزها عند كلمة مماثلة ليست علما ٠

* ح ١١ م ٥ د (حامد) اسم شخص

ح ١١ م ٥ د (حامد) اسم فاعل من حمد ٠

١٧ - الطول ٠ يرمز لطول الصوت بوضع العلامة : بعده اذا كان

شديد الطول والعلامة () بعده اذا كان متوسط الطول ٠ ويشار للجزء

الضعيف (أي القصير) من الحركة المزدوجة بوضع العلامة ٧ فوقه ٠

نمة نقطة أخيرة نود الاشارة اليها ، هي أن الباحث قد يصادف أصواتا أو صفات صوتية لم تزوده الجمعية الدولية برموز لها ٠ وله في هذه الحالة حق ابتكار ما يشاء من رموز على شريطة ان يوضح دلالة كل رمز وما يعنيه من حركات عضوية ٠ وتجري العادة في اجتماعات الجمعية الدولية على ان يتقدم الاعضاء بالرموز الجديدة التي يصادفونها في بحوثهم لاقرارها وإضافتها للاصوات والصفات التي تعرف بها الجمعية والتي قدمناها اليك في الجدول السابق ٠

وتكتب الرموز العربية التي اخترناها من اليمين الى اليسار مع مراعاة الاعتبارات الآتية : -

١ - تكتب الرموز منفصلة بعضها عن بعض ٠

٢ - يراعى وجود فراغ يفصل بين كل كلمتين متباورتين ٠

٣ - تكتب الحركات برموز على نفس السطر الذي تكتب عليه السواكن ٠

٤ - رموز الحركات المذكورة هنا تشير لحركات قصيرة ٠ أما طول

الحركة فيشار اليه بتكرار الرمز أو بوضع علامة الطول التي ذكرت من قبل .

٥ - للباحث الحق في استعمال رمز مكان رمز قريب منه وذلك اذا كانت اللغة التي يدرسها لا تحتاج للرمزين معاً . وعلى سبيل المثال الرمز فى الجدول يستعمل ليم شفوية ثنائية والرمز م يستعمل ليم شفوية أستانية . وللباحث الخيار فى استعمال الاخير بدلاً من الاول اذا لم توجد فى اللغة التي يدرسها ميم شفوية استانية .

٦ - للباحث الحق فى ابتكار رمز يراه أكثر مناسبة أو سهولة شريطة ان يذكر وصف الصوت الذى يشير اليه الرمز .

٧ - قد يكون في الصوت صفات اخرى غير التي ذكرناها . ويشار لهذه الصفات برموز اضافية سبق ذكرها .

ملاحظة - فيما سبق لم نذكر أمثلة للرموز والعلامات الشانوية ، في غير الحالات التي يمكن فيها استعمال حروف المطبعة العربية . ويمكن للقارئ وضع هذه العلامات بخط اليد .

الاصوات العربية

نستطيع الآن أن نعرض للأصوات العربية ، في الفصحى واللهجات القديمة والحديثة ، بالوصف والمقارنة . وقد حظيت اصوات العربية الفصحى بعناية النحاة والقراء .

و سنكتفي هنا في وصف اصوات العربية الفصحى بما ذكره سيوه في كتابه ، فكل ما قاله من بعده في رأينا مجرد اعادة لما قال أو تفسير له ، قد يجذب الصواب احيانا .

ذكر سيوه الاصوات في العربية على هذا الترتيب « الهمزة والالف والهاء والعين والراء والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والصاد والزاي والسين والظاء والذال والباء والضاد والباء واليم والواو » ولاحظ هنا ما يأتي :-

١ - رتب سيوه الاصوات ترتيبا عضويا متوايلا بدأ بالاصوات الحنجرية فالبلعومية فاللهوية (أو الرخوة) فالصلبة فالثانية فالاسنانية الشفوية فالاسنانية فالشفوية الثانية .

٢ - ذكر سيوه ضمنا فيما نقلنا عنه وذكر فيما بعد صراحة أن مخرج الهمزة والهاء والالف واحد وهو ما أثار بعض التعليق بين من بعده من القدماء والmoderns (١) .

٣ - وضع سيوه « الضاد » بين الاصوات التي نطلق عليها « لهوية » ولكنه حين ذكر مخرجها فيما بعد قال بأنها اسنانية ، حيث يتصل طرف

(١) انظر ص ٨٤ - اصوات اللغة - للدكتور ابراهيم آئيس - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦١ .

اللسان وجانبه بالاسنان الامامية والاضراس ، وهذا مشكل كما يبدو لأول .
وهلة ٠

ثم يستطرد سيبويه بذكر مخارج الاصوات بالتفصيل وذكر صفاتها
فيصف بعضها بالجهر وبعضها الآخر بالهمس ، والجهر والهمس في عرفه
لا يختلفان عن مفهومنا لهما ٠ ويستطرد مرة اخرى فيصفها بانها قد تكون
شديدة (أى انفجارية) أو رخوة (أى احتكاكية) كما قد تكون منحرفة
(أى جانبية) أو مكررة (أى متعددة) أو افية ٠

والخلاصة ان وصف سيبويه للاصوات قد استعمل نفس الاعتبارات .
الثلاثة التي يعتمد عليها علم الاصوات الحديث وهي ذكر العضو او الاعضاء
الى تشتراك في التدخل في طريق الهواء وذكر طريقة خروج الهواء وذكر
همس الصوت او جهره ٠

وهو بذلك قدم لنا صورة واضحة للاصوات في العربية الفصحى
على عهده ٠

اما الاصوات في اللهجات العربية القديمة فليس بين أيدينا دراسة
كاملة لأصوات لهجة واحدة منها وكل ما نعرف عن أصوات هذه اللهجات
ليس أكثر من ملاحظات ذكرها النحاة والقراء عن طريقة نطق كلمات
بعينها عند قبيلة أو أخرى من القبائل القديمة ٠ ويدرك سيبويه ان الاصوات
في اللهجات المستحسنة تبلغ خمساً وثلاثين هن فروع للاصوات التسعة
والعشرين التي ذكرها وان الاصوات في اللهجات غير المستحسنة تبلغ اثنين .
واربعين ، وهي كذلك تتفرع عن الاصوات التسعة والعشرين ٠ وهذه
الاصوات « لا تبين الا بالمشافهة » ٠

من أجل هذا نرى من المناسب هنا أن نذكر ملاحظات التنوين العرب
الصوتية عن اللهجات القديمة استطراداً لمناقشتنا للفروق الصوتية بين العربية

الفصحى وما نذكره عن اللهجات الحديثة التي سنأخذ منها على سبيل
المثال اللهجتين العراقية والمصرية ٠

أولاً - السواكن :

أ - الا صوات الحنجرية والبلعومية :-

هذه الا صوات هي الهمزة والهاء والألف (كما ذكر سيوبيه) والحاء
والعين ٠ ولترك الحديث عن الألف مؤقتاً ٠ ونلاحظ ان القدماء قد
وصفووا الهاء بأنها صوت مهومس ٠ والهاء في المصرية والعراقية الحديثة
صوت مجهور الا اذا وقعت في آخر الكلام ٠

ويروي اللغويون العرب ورود هذه الا صوات الثلاثة بعضها مكان
بعض في مختلف اللهجات القديمة ، كما يأتي :-

١ - الهمزة تكون هاء مثل « أهجمي » بدلاً من « أَعجمي »
و « هَنَّ » بدلاً من « أَنَّ » ٠

٢ - الهمزة تكون عيناً وتسمي هذه النزعة بالعنونة وتنسب إلى تميم
فهم يقولون « عَنَّ » بدلاً من « أَنَّ » ٠ وهذه النزعة توجد في بعض
اللهجات الحديثة فنحن نسمع في العراق وفي صعيد مصر « لَعَ » بدلاً
من « لَأَّ » ٠

٣ - العين تصير همزة ٠ وتقسول طبيء « دَأَنِي » بدلاً من دعني
و « تَأَلَّ » بدلاً من « تعالى » ٠

٤ - الحاء تصير عيناً عند هذيل وقد روى عنهم قولهم « اللعم الاعمر
أحسن من اللعم الابيض » أي « اللحم الاحمر أحسن من اللحم الابيض »
ويسمى السيوطي هذه النزعة بفحة هذيل ^(٣) ٠

٢٠١ (Rabins) (٢)

نفس المرجع ص ٨٤ ٠ (٣)

٥ - العين تصير حاء ٠ وقد روى ابن هشام في المغني أن ابن مسعود قد قرأ « نعم » بدلاً من « نعم » وتعزى هذه الظاهرة لقبيلة سعد بن بكر التي كانت تسكن شمال المدينة ٠ وبهذا تكون قراءة ابن مسعود هذه مدنية^(٤) ٠

٦ - الحاء تصير عيناً ٠ ويدرك كوتينيو في هذا الصدد أن « عَطَا » (الصيغة غير المزيدة من أعطى) مأخوذة من « حَطَا » التي كانت تقولها قبيلة شمر وهي من طيء ٠ ومن « حَطَا » هذه أخذ اسم الفعل « هات » ٠ نذكر هذه الحالات على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر ٠

الألف :

ذكر سيبويه الألف مع الهاء والهمزة والباء والعين وقال بأنها جمیعاً من أصوات أقصى الحلق أي من الحنجرة أو البلعوم ٠ ولا يجد الدكتور أئیس « في كلام سيبويه ما يواحد عليه بصدق أصوات الحلق سوى افتحامه ما أسماه « بالألف » ٠ ولكنه يقول تقلاً عن ابن جنی في « سر الصناعة » ٠ إن الألف التي في أول المعجم هي صورة الهمزة ، ثم يستطرد فيقول « ومقتضى هذا أنه ما كان يصح في تعداد أصوات الحلق أن نذكر الهمزة والألف معاً ، بل كان الواجب الاكتفاء بكلمة « الهمزة » التي هي رمز الصوت ، لا سيما ونحن في مجال شرح الأصوات وتحديداتها »^(٥) ٠ ثم يبرر مسلك سيبويه هذا بأنه تعبير عن تسهيل الهمزة لدى قريش ٠ وبهذا تكون الهمزة هي همزة القطع أما الألف فهي الهمزة المسهلة ٠ « ولعل مما يستأنس به لهذا التوجيه أن سيبويه ومن جاءوا بعده كانوا يذكرون نوعاً ثانياً من الألف ويسمونه بـ « ألف المد » ٠

ووجه اعتراض الدكتور أئیس أن وصف الصوت بأنه من أقصى

(٤) نفس المرجع ص ٨٥ ، ١٢٦ ٠

(٥) أصوات اللغة ص ٨٤ ٠

الحلق (أي حنجري أو بعلومي في عرفنا) يعني بالضرورة أن ينسد مخرج الهواء في هذه المنطقة أو أن يضيق بحيث يسبب احتكاكاً مسماً . وهذا لا يحدث إلا عند النطق بالساكن .

أما الحركات ومنها الفتحة الطويلة التي تسمى بالألف فلا يحدث هذا عند النطق بها . وسيوبيه بناء على كلام الدكتور أنيس قد وقع في أحد خطأين أولهما ، عدم ادراك الفرق بين الحركة والساكن وثانيهما ، ذكر ساكن واحد مرتين بين أصوات الحلق ، مرة حين سماع بالهمزة ومرة حين سماع بالألف .

ولا يقبل الدكتور أن يكون سيوبيه وهو على ما هو عليه من معرفة بالاصوات واتجهاها عرضة للوقوع في أحد هذين الخطأين .

وقد ذكر سيوبيه الفرق بين الحركة والساكن وهو عنده يتلخص في اتساع مخرج الحركة أكثر من اتساع مخرج الساكن . ثم ذكر أيضاً أن اللسان يرتفع عند النطق بالياء (أي الكسرة) وان الشفتين تستديران عند النطق بالواو (أي الصمة) أما الألف (أي الفتحة) فانك لا ترتفع فيها لسانك ولا تضم شفتيك . وهذا هو ما يقوله علماء الاصوات المحدثين في التفريق بين الحركة والساكن .

واذن فان سيوبيه لم يذكر الالف بجانب الهمزة والهاء جهلاً منه بالفرق بين الحركة والساكن .

أما ان تتصور أنه كان من السذاجة والبساطة بحيث يذكر الشيء الواحد مرتين مجرد اختلاف اسمه فهذا أمر لا يتفق وما عليه الرجل من قدرة عقلية ومعرفة عميقة .

ما سبب صنيع سيوبيه هذا اذن ؟

يقول الدكتور أنيس ان الهمزة التي ذكرها سيوبيه هي همزة القطع

أما الألف فهي الهمزة المسهلة ٠

ونحن لا نقبل دفاع الدكتور أنيس هذا ٠٠ لأن الهمزة المسهلة حركة ، وبذا يكون سببها قد وقع في نفس الخطأ حيث يكون قد ذكر الحركة (التي هي تسهيل للهمزة) بين السواكن الحلقية (أى الحنجرية والبلعومية) ٠ معنى هذا أن اعتذار الدكتور لسيويه لم يُخرجه من المخطوط ٠

ولابد من البحث عن تفسير آخر يبرر وضع الهمزة بين الأصوات الحنجرية والبلعومية ونحن نقدم هنا أحد احتمالين تفسيراً لذلك ٠

الاول : احتمال وجود احتكاك بلعومي بسيط عند النطق بها ، ومثل هذا الاحتكاك يلاحظ في بعض اللهجات العربية المعاصرة ، وقد سمعته من بعض العراقيين عند النطق بالفتحة ، كما يوجد في اللغة الانجليزية أيضاً مع الفتحة الطويلة في مثل الكلمة (man) ويطلق علماء الأصوات على هذه الصفة اسم (Creak) ولو وجدت هذه الصفة مع الفتحة الطويلة لكان سببها مصياً كل الصواب في تخصيص الحلقية (أى الاحتكاك الحنجري أو البلعومي) بالألف دون الواو والياء ٠

اما الاحتمال الثاني : فقد وجهاً إليه الاستاذ راين حين قال « لا يمثل رسم الهمزة بالضرورة انفجاراً حنجرياً ، ولكنه قد يكون علاماً على كون المقطع ذا قمتين وهو أمر قد ينشأ عن النطق بحركة طويلة في مقطع مفهول ». وقد يكون هنا هو السبب الصوتي في نشأة الألف ٠٠٠٠ والعامل الذي دعا إلى وجود مقطع ذي قمتين هو الرغبة في المحافظة على طول الألف (الفتحة الطويلة) رغم التزعة إلى تقصيرها إذا كانت ضعيفة النبر »^(٦) ٠

ولفهم ما يقصده الكاتب نذكر أن المقطع الطويل المفهول عبارة عن

(٦) (Rabins) ص ٢٠٢ ٠

صوت ساكن يuded حركة طويلة ثم ساكن آخر ٠٠ وإذا حدث ان ضغطت الرئتان ضغطة قوية في متصرف الحركة لسمعنا أثر هذه الضغطة في صورة صوت شبيه بالهاء ٠ ويسمى المقطع في هذه الحالة مقطعاً ذا قمتين ٠

ومن الناحية الصوتية يمكن اعتبار هذه الحركة حركة مزدوجة على أن يكون الصوت المتوسط بين جزئي الحركة الاول والثاني نصف حركة رسمها الخط العربي في صورة ألف ٠ وهكذا يكون في الكتابة العربية ثلاثة أمور مختلفة في الهمزة وهي صوت انفجاري حنجرى والألف التي تمثل نصف حركة وهي صوت حنجرى كذلك لا يختلف في مخرجه عن مخرج الهمزة الانفجارية ، ولكنه يختلف عنها في الأداء ، وهذا هو المبرر لذكر سيبويه الهمزة والألف جنباً إلى جنب مع الاصوات الحنجرية^(٧) أما الصوت الثالث فالالف التي هي حركة خالصة وهي ألف المد ٠

على أحد هذين التفسيرين يكون سيبويه دقيقاً في ذكر الألف والهمزة معاً ، ولا يكون ثمة مجال لما أخذه الدكتور أنيس عليه من اقحامه « ما اسماء بالألف » بين أصوات الحلق ٠

هذا ولا تختلف هذه الاصوات الحنجرية والبلعومية في العراقيـةـ والمصرية عنها في العربية الفصحى اختلافاً يذكر ٠

بــ الاصوات اللهوية والرخوة ــ

هذه الاصوات هي القاف والكاف والغين والخاء ٠ ويقول سيبويه بأن مخرج الغين والخاء هو أدنى الحلق من الفم ٠ ونحن نعرف ان هذين الصوتين قد يكونان لهويين أو رخويين ٠ ولما كانت منطقة اللهاة هي المنطقة التي تلي مباشرة منطقة البلعوم (وهي التي يسميها سيبويه منطقة الحلق)

(٧) يمكن أن يفسر كلام سيبويه أيضاً بأن يكون في الألف (الفتحة الطويلة) انحصار حنجرى يحدث في نهاية النطق بها ٠ ويكون هذا الانحصار صفة ثانوية لتلك التي توجد في كلمة (fat) الانجليزية ٠

فإن الواضح أن الخلاف بيننا وبينه خلاف في تقسيم الأعضاء ، فهو يعتبر هذه المنطقة استمراً لما يسميه منطقة الحلق (أى أعلى البلعوم) ونحن نسميتها منطقة اللهاة .

أما القاف فقد ذكر أن مخرجها « من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى » وهذه هي المنطقة التي نسميتها بالمنطقة الرخوة من سقف الحنك . والظاهر أن القاف والكاف بناء على وصف سيوبيه كانت أكثر تقدماً من العين والخاء . وقد كانت الكاف أكتر تقدماً في المنطقة الرخوة من القاف .

والشيء الذي يلفت النظر في وصف سيوبيه لهذه الأصوات هي وصفه للقاف بأنها صوت مجهور ، وذلك على العكس مما نسميه نحن اليوم بالقاف الفصحي التي نستعملها الآن في العربية الحديثة كما نطقها اليوم وهي قاف مهموسة . وتشبه القاف الفصحي التي وصفها سيوبيه الصوت الأول (أ) في نطق العراقيين لكلمة (قلب) وهي صوت لهوي (أو بالادق في نهاية المنطقة الرخوة وبعد اللهاة) انفجاري مجهور ، بينما القاف في استعمالنا اليوم صوت لهوي انفجاري مهموس .

ويلاحظ أن القاف الحديثة التي ينطقها العراقيون في الكلمة « دقيقة » أو « قلم » صوت مهموس ولكن به بعض الاحتكاك البلعومي الذي يظهر في الحركة التالية له .

أما نطق القاهريين للقاف فليس به هذا الاحتكاك البلعومي .

وفي لهجة « أزد شنوة » (كما روى التبريزي في تعلقه على ديوان الجماسة^(٨)) كانت القاف في العلم (مقشوش) جيماً ممحشة كالجيم العراقي أو بعبارة أخرى كان هذا الصوت لديهم صلباً انفجاري مجهوراً بدلاً من كونه رخواً انفجاري مهموساً كما نطق به اليوم في الفصحي أو مجهوراً

(٨) (Rabin) ص ٤٤ .

طبقاً لوصف سيبويه لصوت القاف . وهذه الظاهرة نفسها توجد في العراق في مثل «باب شرجي» بدلاً من «باب شرقي» بجعل القاف جيماً معطشة . ومن المعروف أن أزد شنوة كانت تسكن على ساحل البحر الأحمر جنوب الحجاز . وإذا صح أن «أزد عمان» التي كانت تسكن منطقة الخليج العربي فرع من «أزد شنوة» لأتمكن القول بأن هذه الظاهرة الحديثة في العراق مأخوذة عن لهجة «أزد عمان» الذين كانوا يسكنون بالمنطقة التي تقع جنوب الكويت .

أما في لهجة تميم (كما في الجمهرة والصاحب) فقد كانت القاف مهوسسة ولكنها لم تكن لهوية بل رخوة ، أي قربة من الكاف في نطقنا الفصيح اليوم ولكن مع تفخيم .

كذلك كانت قبيلة تميم تنطق الكاف «تش» أي صوتاً صلباً ثوياً مهوساً مثل كاف التأنيث في اللهجة العراقية في مثل «كتابك» وكانت هذه الظاهرة تسمى كشكشة تميم .

ج - الأصوات الصلبة :-

ذكر سيبويه أن في الفصحى من هذه الأصوات الجيم والشين والياء . وهو في هذا يتفق مع وصفنا لخارج هذه الأصوات . والفرق الوحيد بين النطق بهذه الأصوات في اللهجات الحديثة وبين النطق بها في العربية القديمة ينحصر في صوت الجيم وقد حدث فيه ما يأتي :-

وصف سيبويه ومن بعده الجيم بأنها صوت شديد مجهود يخرج من وسط الحنك الأعلى ووسط اللسان . وبلغتنا نحن يمكن أن نعبر عن هذا بـان الجيم العربية كما وصفوها «ساكن انفجاري مجهود ينطلق بالتقاء مقدمة اللسان مع الجزء الصلب من سقف الحنك» أو بعبارة مختصرة توصف الجيم الفصحى بأنها «ساكن صلب انفجاري مجهوز» .

والجيم العراقية كما ينطق بها سكان بغداد ، لا تختلف عن الجيم الفصحي التي وصفها سيبويه ٠ وينطق سكان مدينة البصرة الجيم كما ينطق بالياء اي انهم يجعلونها « نصف حركة صلبة » وتفسير الاختلاف بين نطق الجيم في البصرة والجيم الفصحي وال العراقية البغدادية يتلخص ان وسط اللسان في الجيم البصرية الحديثة لا يتلقي بالجزء الصلب من سقف الحنك بل يقرب منه ، وفي نفس الوقت يلمس جانبا اللسان الاضراس العليا من اليمين واليسار ثم يتحرك اللسان من هذا الموضع الى موضع الصوت التالي فيحدث هذا اثرا مسموعا هو الذي نسميه بالياء ، التي يستعملها سكان البصرة بدلا من الجيم في مثل « رجال » ٠ والجيم في اللهجة السورية « ساكن صلب احتكاكى مجهور » والفرق بينهما وبين الجيم القديمة والجيم العراقية يتلخص في أنها في السورية صوت احتكاكى ، أما في العراقية والفصحي فانها صوت انفجاري ٠

اما الجيم في لهجة القاهرة فهي « ساكن رخو انفجاري مجهور » ويتمثل الفرق بينها وبين الجيم الفصحي وال العراقية في تغير موضع التقاء اللسان بسقف الحنك ٠ وفي المصرية تلتقي مؤخرة اللسان بالجزء الرخو منه ، بعكس العربية الفصحي وال العراقية التي تلتقي فيها مقدمة اللسان بالجزء الصلب من سقف الحنك للنطق بالجيم ٠

والخلاصة أن اختلاف هذه الانواع من الجيم عن الفصحي يتمثل فيما يأتي :-

أ - بالنسبة للجيم البصرية الاختلاف ناتج عن اختلاف طريقة خروج الهواء من الفم فبعد أن كان يسبب انفجارا أصبح يخرج دون انفجار او احتكاك مسموع ٠ وبذلك صارت الجيم البصرية كحركة الكسرة ولكنها تكون مع الحركة التي بعدها او قبلها حركة مزدوجة ٠ ونقطة الانتقال بين جزئي هذه الحركة المزدوجة هي ما نسميه بالياء ، اي الصوت الذي صارت اليه الجيم في لهجة البصرة ٠

- ب - بالنسبة للجيم السورية ، تتجزأ الاختلاف عن اختلاف طريقة خروج الهواء من الفم فيعد أن كان يسبب انفجاراً أصبح يسبب احتكاكاً .
- ج - بالنسبة للجيم القاهرة ، تتجزأ الاختلاف عن اختلاف القطة التي يلتقي فيها اللسان بسقف الحنك فصارت الجزء الرخو منه بعد أن كانت . الجزء الصلب منه .

★ ★ ★

اهم ما يستحق الذكر من اصوات اللهجات القديمة الصلبة هو ما يسمى بالمججحة وهي تنسب لتميم . وهي النطق بالياء المشددة الاخيرة . فيما معطشة ، اي جعل نصف الحركة الصلبة ساكناً صلباً افجارياً مجهوراً . والمثال المنقول عنهم قولهم « هذا راعيٌ خرج معجٌ » اي « هذا راعيٌ خرج معِي » . وهذه الظاهرة عكس الظاهرة الحديثة التي وصفناها عند الحديث عن نطق سكان البصرة المعاصرین لصوت « الجيم » حيث ينطقون بها ياء ، اي انهم يفعلون عكس ما كانت تفعل قبليه تميم من قبل .

د - الاصوات الاستثنائية :-

يمكن تقسيم اللهجات العربية الحديثة إلى قسمين ، القسم الشرقي .
ويشمل العراق والكويت وجنوب الجزيرة العربية والمملكة السعودية .
وهذا القسم يحفظ بنطق الأصوات الأسنانية . أما القسم الآخر ويشمل .
سوريا ولبنان والأردن ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر .
ومراكش ، فقد تخلص من النطق بالأصوات الأسنانية .

والا صوات الاسنانية في العربية القديمة واللهجات الشرقية ، هي
الثاء والذال والظاء وتنطق جميماً بوضع طرف اللسان بين الاسنان . أمّا
في اللهجات الغربية - ممثلة في المصرية - فقد تخلصت من هذه الا صوات
بالطريقة الآتية :-

١ - الثناء ، تقابل الثناء الفصحي ثناء او سيناء في المصرية . كما في

الكلمات المصرية « توم » « ثلاثة » « اثنين » الخ . وهي تقابل « ثوم » . « ثلاثة » « اثنين » في العربية الفصحى والعرقية . وكما في الكلمات المصرية « مسلس » و « سواب » و « سفر » بدلًا من « مثلث » . و « ثواب » و « ثغر » .

٢ - الذال . تقابل الذال الفصحى دالاً أو زاياً في المصرية كما في الكلمات « ديل » « دهب » « دباهه » بدلًا من « ذيل » و « ذهب » و « ذبابه » . وكما في الكلمات « زيل » و « زمه » و « زنب » بدلًا من « ذيل » و « ذمة » و « ذنب » .

ويجب أن نذكر أن نطق الثاء تاء والذال دالاً يحدث في اللهجة المصرية بالنسبة للكلمات التي لم تؤخذ حديثاً من الفصحى . أما نطق الثاء سيناً والذال زاياً ففي الكلمات التي أخذت من الفصحى حديثاً .

وقد ينبع وجود احتمالين لغير كل من الثاء والذال في المصرية أن وجدت بعض الكلمات التي تتحد في الأصل التاريخي ولكنها تختلف في أصولها التصريفية . ومثال ذلك الكلمة ثيل (أي ثقيل) والكلمة سيل (بمعنى ثقيل الطفل) في المصرية وكلاهما من الكلمة العربية « ثقيل» وهي تستعمل بمعنى « ثقيل الوزن » أو « ثقيل الظل » . وقد خصصت المصرية الصورة الأولى للكلمة للمعنى الأول والصورة الثانية للمعنى الثاني .

ومع الاتحاد التاريخي في أصل الكلمتين فقد اختلف الصوت الأول من مادة الكلمتين فهو في أحدهما « تاء » وفي الثانية « سين » .

وقد حدث هذا كذلك بالنسبة للكلمة « دهب » المصرية (بمعنى ذهب) فالصوت الأول فيها « دال » تقابل في الفصحى الذال . أما صفة النسب لهذه الكلمة ، فإن الصوت الأول فيها زاي (مقابل الذال الفصحى) كما في مثل (مطع العشن الذهبي) « أي الذهبي » . وكان القياس أن

تكون صفة النسب من (ذهب) بالدال «ذهب» بالدال أيضاً .

٣ - الظاء . تغير نطق الظاء في المصرية فأصبحت لغوية احتكاكية مجهرة مفخمة بعد أن كانت في العربية الفصحى إسانية احتكاكية مجهرة مفخمة . وبذلك أصبحت الظاء النظير المفخم للزاي بعد أن كانت في العربية الفصحى النظير الفخم للذال .

هـ - الأصوات الشفوية :-

أ - الباء المهموسة والفاء الممجهرة :-

زاد في اللهجات العربية الحديثة هذان الصوتان بتأثير اقتصاصهما مفردات من لغات اتصلت بها .

والباء المهموسة شائعة في العراقية في مثل ياجه ، وبانكه وبلاشا الخ؛ أما في المصرية فقد يستعملها من يجيد اللغات الأجنبية في الكلمات الاوربية التي يتداولها المصريون مثل «باريس» حيث ينطقها المثقفون بالباء المهموسة . ولكن الغالبية العظمى من المصريين تخلص من هذه الباء المهموسة وتنطقها باء مجهرة غربية . والامر كذلك بالنسبة للفاء الممجهرة «ا» . وينيل . العراقيون لاستعمالها في بعض المفردات المقتضية ، مثل «فانتا» اسم شراب معروف . ومثل «فم» اسم المادة المستعملة لتنظيف الاواني المعدنية .

ثانياً - الحركات

أ - في العربية الفصحى ثلاث حركات الفتحة والكسرة والضمة . وهذه قد تكون قصيرة كفتحة الكاف في «كتب» وكسرة العين . في «عند» وضمة الباء في «بكره» ؟ وقد تكون طويلة ، كالفتحة الممدودة بعد الكاف في «كتاب» والكسرة الممدودة بعد العين في «عيد» والضمة الممدودة بعد الباء في «ابوك» وتوصف هذه الحركات بأنها :-

١ - الفتحة ، حركة أمامية نصف واسعة مع انفراج الشفتين .

- ٢ - الكسرة حركة امامية ضيقة مع انفراج الشفتين •
- ٣ - الضمة حركة خلفية ضيقة مع استدارة الشفتين •

ولكن موضع اللسان عند النطق بهذه الحركات يتأثر بالساكن الذي يجاور الحركة ؟ فان كان هذا الساكن مفخما اكتسبت الحركة الفخيم • والتفخيم كما سبق أن ذكرنا نتيجة لتضيق فراغ البلعوم الفموي بواسطة تراجع اللسان الى الخلف بحيث تسبب مؤخرته هذا الضيق •

وعلى هذا ففي حالة الفتحة والكسرة وهما حركتان اماميتان يتحتم عند تفخيمها أن يتراجع اللسان الى الخلف وبهذا لا تظلان حركتين اماميتين بل تصل الكسرة الى منتصف الطريق بين الامامية والخلفية ، أما الفتحة فانها تصبح حركة خلفية •

بقيت الضمة وهي كما سبق حركة خلفية عليا (أي ضيقة) • وعند التفخيم تهبط مؤخرة اللسان قليلا حتى تضيق البلعوم الفموي • وتكون النتيجة أن تسع الضمة قليلا نتيجة لتفخيمها • وهذا هو الفرق العضوي بين كل من الحركات في الكلمات الآتية ونظرتها المفخمة التي توصف بأنها لهوية لأن اللهاة اسفل من الجزء الروxo من سقف الحنك •

ومثال ذلك :

- سال • والفتحة التي بعد السين امامية نصف واسعة •
- صال • والفتحة التي بعد الصاد امامية نصف ضيقة •
- نسيب • والكسرة التي بعد السين امامية ضيقة •
- نصيب • والكسرة التي بعد الصاد امامية متراجعة ضيقة •
- كسوف • والضمة التي بعد السين خلفية ضيقة •
- صوف • والضمة التي بعد الصاد خلفية أقل ضيقا واقرب للمركبة من السابقة •

وفي العربية الفصحى يوجد الى جانب هذه الحركات الثلاثة عدد من الحركات المزدوجة منها ما يسمى بالياء الساكنة بعد فتحة والواو الساكنة بعد فتحة ، وقد أصبحتا في بعض اللهجات الحديثة حركتين كما سترى . اما في اللهجات القديمة فاهم ما تردد على السنة القراء والتحاة بخصوص الحركات ما يسمى بالاشمام والامالة . ونود الان أن نسرر هذين الأمرين .

١ - الاشمام ، هو استدارة الشفتين عند النطق بالكسرة . ومن المعروف ان الكسرة حركة تفريج معها الشفتان . وعند اشمامها تصرح حركة امامية مع استدارة الشفتين . وقد نسب الى النحوي أبي علي الشلوبين اشمام الكسرة في الفعل المبني للمجهول المعتل العين في مثل « بع » .

٢ - الامالة ، توصف الامالة بأنها طريقة معينة للنطق بالفتحة الطويلة . وهي مألوفة لنا في تلاوة الآية « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرسيها » بدلأ من « مجراهما » و « مرساها » .

والفرق بين الفتحة غير الممالة التي بعد الراء في « مجرى » والتي بعد السين في « مرسى » وبين الفتحة الممالة هو أن الاختير فيما حركة امامية نصف ضيقاً اما الاولى فنصف واسعة .

وقد سبق أن ذكرنا طريقة لقياس الفرق بين ضيق الحركات وواسعها وذلك يتلخص في أن المسافة بين الفكين عند النطق بالحركة الواسعة بمقدار ثلاثة أصابع . اما في الحركة نصف الواسعة فالمسافة اصبعان . وفي الحركة نصف الضيق تبلغ المسافة اصبعا واحدا . اما الضيق فلا تسع حتى لاصبع واحد .

ومعنى هذا أن تكون الفتحة غير الممالة حركة يتسع بعد بين

الفكين عند نطقها بمقدار اصبعين ، أما عند الامالة فان مقدار الاتساع يصبح اصبعا واحدا .

وبالنسبة للهجرات الحديثة احتفظت اللهجة المصرية بالحركات الفصحى الثلاثة قصيرة وطويلة كما احتفظت بتأثير السواكن المفخمة عليها بالتفخيم^(١) . وكل ما طرأ على اللهجة المصرية من تغير هو زيادة حركتين هما :-

١ - الحركة الطويلة الامامية نصف الضيق مع انفراج الشفتين .
وهذه توجد في مقابل الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في العربية الفصحى ومثال ذلك .

« لَيْلٌ » (لـاـيـلـ) الفصحى تصير في المصرية « لـيلـ » (لـبـيـلـ)
« بـيـنـ » (بـاـيـنـ) الفصحى تصير في المصرية « بـيـنـ » (بـبـيـنـ) .
الخ .

٢ - الحركة الطويلة الخلقية نصف الضيق . وهذه توجد في مقابل الواو الساكنة المسبوقة بفتحة في العربية الفصحى . ومثال ذلك .
« لـوـمـ » (لـاـوـمـ) الفصحى تصير في المصرية « لـومـ » (لـبـوـمـ)
« نـوـعـ » (نـاـوـعـ) الفصحى تصير في المصرية « نوعـ » (نـبـوـعـ)
الخ .

اما اللهجة العراقية فقد احتفظت بالحركات الفصحى الثلاثة كذلك ، كما أصبحت الواو الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحى فيها حركة خلقية نصف ضيقة مثل « لـومـ » (لـبـوـمـ) و « نوعـ » (نـبـوـعـ) بدلاً

(١) الواقع ان التفخيم في اللهجة المصرية يختلف اختلافا جوهرياً
عنه في الفصحى ولن نتعرض لهذا الامر هنا بالتفصيل .

من «**لَوْمٌ**» (ل او م) و **نَوْعٌ** (ن او ع) في الفصحي تماماً كما حدث في المصرية ٠

والفرق الوحيد بين اللهجتين هو معاملة الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحي حيث جعلتها العرائية احدى حركتين :-

١ - في بعض الكلمات تكون الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحي حركة مزدوجة جزؤها الاول حركة ضيقه امامية مع انفراج الشفتين وجزؤها الثاني حركة نصف ضيقه امامية مع انفراج الشفتين ٠ ومثال ذلك الكلمات :-

اثين (عى ثنرى بى ن)

زين (زى بى ن)

وين (وى بى ن)

لويشن (لوى بى ش)

الخ (١)

٢ - في كلمات اخرى تكون الياء الساكنة المسبوقة بفتحة في الفصحي حركة بسيطة توصف بأنها حركة طويلة امامية نصف ضيقه مع انفراج الشفتين ٠ ومثال ذلك الكلمات :-

١ - خير (خ بى بى ر)

٢ - غير (غ بى بى ر)

٣ - عين (ع بى بى ن)

٤ - غيم (غ بى بى م)

هذا ويجب أن تنبه القارئ إلى اختلاط اللهجات في مدينة بغداد

(١) يبدو لي أن هذا يحدث عندما تلي الحركة صوتاً رخواً أو بلعومياً أو حنجرياً ٠

مما قد يجعل بعض المتكلمين من سكانها لا يتبع الطريقة الذي ذكرناها في
نطق هذه الكلمات او بعضها .

وقد سبق أن ذكرنا أن المدن الكبرى تجذب السكان من الأقاليم
المختلفة وكل لهجتها الخاصة . ثم تتصهر هذه اللهجات المختلفة جمِيعاً
في لهجة موحدة . وفي السنوات العشر الأخيرة زادت الهجرة من الريف
إلى بغداد ، ولكن عملية الانسجام اللغوي بين السكان الأصليين والسكان
الوافدين لم تتم بعد . وهذا هو السبب فيما يجده الباحث من خلاف بين
المتكلمين في هذا الصدد .

– المقاطع –

من مجموعات الاصوات سوايتها وحركتها يتكون الكلام في أي تلفة من اللغات . ولكن الكلام ليس المرحلة التي تلي الاصوات ، بل هناك مراحل متعددة تشبه المراحل التركيبية التي تسر بها المادة حتى يوجد مما نسميه بالدار ، فمن التراب والماء وقطع القش تتكون اللبنات ومن مجموعة من اللبنات – توضع بعضها مع بعض على نحو خاص – يتكون ما نسميه بالحائط ، ومن مجموعة من الحيطان – مرتبة ترتيا خاصا – يكون ما نسميه بالغرفة ، ومن مجموعة من الغرفات – مرتبة كذلك ترتيا خاصا – يكون ما نسميه بالدار . ومادة الكلام الانساني الاصوات ، وهي تتكون من الصفات السمعية الناتجة عن حركات الاعضاء الصوتية كالانفجار أو الاحتكاك ، والهمس ، والجهر وغير ذلك من الصفات التي تعرضنا لها من قبل . والاصوات شبيهة بالبنات . ومن الاصوات تتكون المقاطع وهي تشبه الجدران . ومن المقاطع تتكون الكلمات التي تشبهها بالغرف . ومن الكلمات تتكون الجمل التي تشبه الدور في مثالنا .

ولابد لنا حتى نبين المقصود بكلمة مقطع من أن تتحدد عما يسمى بدرجة انتقال الصوت أو بقوة إسماعه . ومن الملاحظ أن بعض الاصوات أقوى انتقالا أو أكثر سماعا ، من بعض الاصوات الأخرى . وأضعف الاصوات انتقالا هي الاصوات الانجذابية وهي التي تنتج عن حبس الهواء دون انفجاره ، مثل (الناء) في الكلمة (بات) والباء في الكلمة (باب) . ثم يليها في القوة ، الاصوات الاحتكاكية مثل (السين) في الكلمة العربية « راس » ، والزاي في الكلمة « هز » . ثم يليها في القوة الاصوات الأنفية والجانية مثل التون في الكلمة (من) ، واليم في الكلمة (دم) واللام في الكلمة (مال) . وأقوى الاصوات انتقالا على الاطلاق هي الحركات .

ويمكن القول بشيء من التساهل ، بأن هناك نوعين من الأصوات ، أصوات ضعيفة الانتقال وهي السواكن ، وأصوات قوية الانتقال وهي الحركات . ولو نظرنا إلى أية عبارة تنطق بها لو جدناها تكون من انتقال ضعيف ، ثم انتقال قوي ثم انتقال ضعيف وهكذا ٠٠٠ اي انه من الممكن تقسيم العبارة الى انتقال منخفض ومرتفع ومنخفض ومرتفع ٠٠٠ الخ . وتسمى الأصوات المنخفضة بالقواعد اما الأصوات المرتفعة فتسمى بالقمم .

والقطع : هو عبارة عن مجموعة من الأصوات تمثل (قاعدة وقمة وقاعدة) . وقد تكون القاعدة السكون السابق على الكلام ، أو السكون اللاحق له . ولنأخذ على سبيل المثال الجملة العربية :-

(ناش أخاك) . وستجدنا تنقسم الى المقاطع التالية : ن + فتحة طويلة . (س ح ح) ، ق + كسرة + ش (س ح س) ، ء + فتحة (س ح) ، خ + فتحة طويلة + ك (س ح ح س) . والسين التي بين القوسين رمز للساكن والحاء رمز للحركة ، أما تكرار السين أو الحاء فرمز للطول .

ويكشف هذا التقسيم عن وجود انواع مختلفة من المقاطع . وذلك حسب ترتيب السواكن والحركات التي تتكون منها وعددتها . وسنكتفي الآن بذكر أنواع المقاطع التي توجد في كل من العربية الفصحى والمصرية . والعراقية :-

١ - المقطع (س ح) ويسمى المقطع القصير المفتوح . أما أنه قصير فلأنه يتكون من ساكن وحركة فقط . واما انه مفتوح فلأنه ينتهي بحركة . وهذا المقطع يوجد في العربية الفصحى وفي المصرية والعراقية على السواء . ومثاله المقطع الاول من الكلمة (ضرب) .

٢ - المقطع (س ح س) ويسمى المقطع المتوسط المفتول . وهو متوسط لأنه يتكون من ثلاثة أصوات . وهو مفتول ، لأنه ينتهي بساكن .

ومثاله المقطع الاول من الكلمة (كلي) (ك + فتحة + ل) في كل من
العربية والمصرية والعراقية .

٣ - المقطع (س ح ح) ويسمى المقطع المتوسط المفتوح . وهو
متوسط ، لأنه من ثلاثة أصوات ، ومفتوح لأنه ينتهي بحركة . ومثاله
المقطع الاول من الكلمة (بابي) (ب + فتحة طويلة) في كل من العربية
والمصرية والعراقية .

٤ - المقطع س ح ح س : ويسمى المقطع الطويل المفتوح وهو
طويل ، لأنه يتكون من أربعة أصوات . وهو مفتوح ، لأنه ينتهي بساكن .
ومثاله المقطع الذي يكون كلمة (باب) في العربية والمصرية والعراقية .
وهذا المقطع لا يوجد إلا في آخر الكلام في العربية والمصرية . أما في
العراقية فيمكن أن يوجد في غير الموضع الأخير ، مثل المقطع « شَائِيْ »
من الكلمة « شَائِيْكُ » في العراقية .

٥ - المقطع (س ح س س) : وهو مقطع طويل مفتوح أيضا . ويوجد
هذا المقطع في آخر الكلام في كل من العربية الفصحى والمصرية مثل الكلمة
(كلب) . وهي تتكون من ك + فتحة + ل + ب ، أي (س ح س س) . ولا
يوجد هذا المقطع في العراقية ، حيث أنها تفصل بين الساكنين الآخرين
بكسره كما في الكلمة (كب) ، أو بضمها كما في (گلب) أي (قلب) ،
أو بفتحة مثل « نخل » بذون مفتوحة وراء مفتوحة .

٦ - المقطع س س ح

٧ - المقطع س س ح ح

٨ - المقطع س س ح س

٩ - والمقطع س س ح ح س

وهي لا توجد في العربية الفصحى أو المصرية ، ولكنها توجد في

العراقية ٠ ومثال الاول المقطع الاول في الكلمة (شكلت) أي (ماذا قلت ؟) وت تكون من ش + ج + ضمة (س س ح) ، ل + كسرة + ت (س ح س) ولا يوجد هذا المقطع في العراقية الا في اول الكلام ، ومثال الثاني ، المقطع الاول في الكلمة (شلونتك) أي (كيف حالك) ٠ وهي تتكون من ش + ل + ضمة طويلة (س س ح ح) ، ن + فتحة + ك (س ح س) ٠ ولا يوجد هذا المقطع في العراقية الا في اول الكلام ٠ ومثال الثالث : المقطع الاول في الكلمة (شمندك) اي (ماذا عندك) وهي تتكون من ش + ع + كسرة + ن (س س ح س) ، د + فتحة + ك (س ح س) وهذا المقطع لا يوجد الا في اول الكلام ٠ ومثال الرابع كلمة (شلون) (كيف ؟) وهي تتكون من مقطع واحد : ش + ل + ضمة طويلة + ن (س س ح ح س) وهذا المقطع يوجد في آخر الكلام في العراقية كذلك ٠ وقد لا يكون اخيراً كما في المثال (شلون حالكم) ٠

والمعروف أن حركة الاعراب التي في العربية الفصحى قد سقطت في اللهجات الحديثة ومن بينها المصرية والعراقية ٠ وبتطبيق هذه الظاهرة على كلمة (باب) مضافة للضمير المتصل (نا) نجد ما يأتي :-

١ - في العربية تكون الباء الثانية متحركة بحركة الاعراب ،
(بابنا) ٠

٢ - في المصرية تسقط حركة الاعراب ويتبين عن ذلك وجسود حركة طويلة (تتمثلها الألف في باب) وبعدها باء ساكنة ٠ وهذا ممكن في آخر الكلام لا في وسطه ولهذا تقتصر هذه الحركة الطويلة في المصرية ، سيراً مع ما ذكرنا من امتناع ورود هذا المقطع (س ح س) في وسط الكلام اى ان « باب » بفتحة طويلة تشير (بابنا) بفتحة قصيرة ٠

٣ - في العراقية تسقط حركة الاعراب ٠ ومع هذا تبقى الحركة

الطويلة كما هي رغم التقاء الساكنين (بابُنا) . يضاف الى ما ذكرنا كذلك انه لا يمكن في المصرية اجتماع اكثر من مقطع واحد ذي حركة طويلة في كلمة واحدة . ولهذا السبب نجد ان الكلمات العربية : فيران ، عidan ، ايمان ، تنطق بحركة قصيرة بعد الساكن الاول في المصرية ٠٠٠ الخ . أما في العراقية فلا مانع من التقاء مقطعين في كل منها حركة طويلة . ولهذا فهي تبقى على النطق الفضيحة للكلمات السابقة وعلى هذا تكون هذه الكلمات مكونة من المقاطع الآتية :-

أ - في العربية وال العراقية : س ح ح + س ح ح س

ب - في المصرية : س ح + س ح ح س

هذه مجرد أمثلة للتركيب المقطعي في الفصحى والمصرية وال伊拉克ية .
نكتفي بها في هذا المجال .

- النبر -

سبق أن ذكرنا أن الرئتين تضفطان على الهواء الذي يوجد بهما وتدفعه عن طريق القصبة الهوائية إلى مخرجه من الفم والأنف . وضغط الرئتين يحدث على شكل تقلصات هوائية لاعلى شكل تقلص واحد . وكل من هذه التقلصات يحدث ضغطا قائما بذاته . ويشبه عمل الرئتين هذا ما يحدث بضغط الطفل ضغطا متوايلا على باللونة من المطاط متflexة ومتflexة بمزمار . ولو تركت البالونة وشأنها لخرج الهواء محدثا في المزمار صوتا متصلأ . ولكن الطفل حين يضغط بيديه ضغطات متواالية يسبب نوعا من اقسام الصوت الذي يحدثه المزمار . وذلك دون أن يتوقف الصوت . وهذا هو الذي يحدث عندما ترسل الرئتان الهواء فينقسم كما ينقسم صوت مزمار البالونة . وكل قسم من هذه الاقسام هو الذي يمثل المقطع بالمعنى العضوي . والضغط الذي تقوم به الرئتان لاتاج هذه الانقسامات ، يتفاوت بين قوي وضعيف . والمقطع الذي يتبع عن ضغط قوي يسمى مقطعا قوي النبر . أما الذي يتبع عن ضغط خفيف فيسمى مقطعا ضعيف النبر .

ولكل لغة طرقها في اختيار المقطوع ذات النبر القوي والمقطوع ذات النبر الضعيف . وستعرض الآن للعربية ولهجاتها من وجهة النظر هذه :-

اولا : في العربية : لم يحظ النبر باهتمام اللغة العرب الأولين ولذلك لم يصفه النحاة ولا علماء القراءات كما وصفوا السواكن والحركات . وليس امامنا لمعرفة النبر في العربية الا الدراسة المقارنة للنبر في اللهجات العربية الحديثة . وقد نشر الاستاذ هاريس بيركلاند بحثا

اللقاء في المؤتمر المستشرقين الذي انعقد في كمبردج بإنجلترا عام ١٩٥٤ موضوعه (النبر في العربية) وهو فيه يقوم بمثل هذه المقارنة . ونصح هنا لا نرى المجال مناسباً لذكر خلاصة بحثه . ولهذا نستكفي بمقارنة النبر في المصرية والعراقية .

ثانياً : في العراقية : تتلخص قواعد النبر في لهجة بغداد فيما يأتي :-

١ - اذا كان في الكلمة حركة طويلة أو أكثر كان النبر في المقطع الذي توجد به الحركة الطويلة الأخيرة مثل « جامات » والنبر على المقطع (مات) أي الأخير في الكلمة . ومثل (اشوفك) والنبر على المقطع (شو) وهو المقطع الطويل الحركة الأخيرة حيث ان المقطع الذي بعده قصير الحركة .

٢ - اذا لم يوجد في الكلمة حركة طويلة ، كان النبر على المقطع المفول الذي قبل الأخير مثل (بتمشى) . والنبر منها على المقطع (تم) وهو المقطع المفول السابق للمقطع الأخير .

٣ - اذا لم يتتوفر أحد هذين الشرطين كان النبر على المقطع الاول في الكلمة مثل (حجر) . والنبر هنا على المقطع (ح) لأنه لا يوجد في هذه الكلمة حركة طويلة ولا مقطع مفول قبل المقطع الأخير .
ويستثنى من هذه القواعد ما يأتي :-

آ - اذا كانت الكلمة منتهية بحرف مشدد . والنبر يكون في هذه الحالة على المقطع الأخير مثل (يحب) . وكان الطبيعي حسب القاعدة رقم (٣) ان يكون النبر على المقطع الاول كما في (حجر) . ولكن الباء الأخيرة في (يحب) مشددة . ولهذا كان النبر على المقطع (حب) الأخير .

ب - صيغة الفعل الماضي للمتكلم والمخاطب المفرد . يكون النبر فيها

على المقطع السابق على الاخير مثل (انا كتبت أو انت كتبت) والنبر هنا على المقطع (ت) الذي قبل الاخير . وكان من الطبيعي حسب القاعدة رقم (٣) أن يكون على المقطع الاول (ك) .

جـ الفعل المتصل بضمير يبدأ بحركة . ويقع النبر فيه على المقطع السابق على الضمير المتصل ، مثل (كتبه) والنبر على المقطع (كت) حيث أنه هو السابق على المقطع الذي فيه الفتحة الأخيرة التي تمثل في العرائية ضمير الغائب . ومثل (يُعْرِفُك) والنبر فيه على المقطع (عر) وهو السابق على المقطع الذي فيه الضمير المتصل المكون من الفتحة والكاف .

ثالثاـ في المصرية : تتخلص قواعد النبر في لهجة القاهرة فيما يلي :-

أـ اذا كان في الكلمة مقطع ذو حركة طويلة أخذ هذا المقطع النبر مثل (أبوه) والنبر على المقطع (بوه) ومثل (واحد) والنبر على المقطع (وا) أي حيث توجد الحركة الطويلة .

بـ اذا لم يكن في الكلمة مقطع ذو حركة طويلة وكان المقطع الاخير (سح) أو (سحس) ، وكان السابق على الاخير (سحس) وقع النبر على المقطع السابق على الاخير مثل كتبتـه والمقطع الاخير (سح) اي (ت^١)^(١) اما السابق على الاخير فهو (سحس) (تبـ) وهو الواقع عليه النبر . ومثل (ضرـبتـكـ) ، والنبر على المقطع (ربـ) وهو (سحـسـ) وبعده (سـحـسـ) .

جـ اذا انتهت الكلمة بالمقطع (سـحـسـ) وقع النبر على هذا المقطع الاخير مثل (عملـتـ) والمقطع الاخير منها (ملـتـ) سـحـسـ هو الذي يأخذ النبر .

(١) هنا على اعتبار أن ضمير الغائب المفرد في هذا المثال الضمة فقط حيث ان الهاء لا تنطق .

د - اذا كانت الكلمة مكونة من أكثر من مقطعين في غير الحالات الثلاثة السابقة وكان المقطع الأول منها (س ح س) كان النبر على المقطع الثاني مثل (مكتبة) وهي تبدأ بالمقطع (ملك) (س ح س) وبعده مقطعان والنبر واقع على المقطع الثاني (ت + فتحة) . (س ح س) وبعده مقطعان من أربع مقاطع أولها (س ح س) والنبر واقع على المقطع الثاني (ت + فتحة) .

ه - في غير ما تقدم يكون النبر على المقطع الأول من الكلمة مثل (كتب) (للمفردة المؤنثة) والنبر المقطع الأول (ك + فتحة) . ومثل (كل) وهي من مقطع واحد .
ويستثنى مما تقدم ما يأتي :-

١ - اذا كان الصوت الأخير حرفًا مشدداً وفي هذه الحالة يقع النبر على المقطع الذي يكون الحرف المشدد قاعدته الثانية مثل (يحب) و (يحبه) والنبر على المقطع الذي ينتهي بالياء (المشددة) وهو (حب) وكان مقتضي القواعد السابقة أن يكون النبر على المقطع الأول (ي + كسرة) .

٢ - في صيغة الفعل الماضي المستند للمؤنثة النائية اذا اتصل بضمير يبدأ بحركة أي بضمير المخاطب المفرد مذكراً أو مؤنثاً وضمير الغائب المفرد المذكر . وفي هذه الحالة يقع النبر على المقطع السابق على الأخير مثل (كتبته) والنبر على المقطع (ب + كسرة) وهو السابق على المقطع الذي يوجد في ضمير الغائب . ومثل (شفتاك) أي (رأتك) والنبر على المقطع (ف + فتحة) وهو السابق على الأخير الذي يوجد فيه ضمير المخاطب المفرد المذكر .

ثانياً

المفردات

« مصادر المفردات »

تستمد اللغة مفرداتها في عصر من عصورها ، مما تختلف لها من العصور الماضية بصفة أساسية ، سواء كان ذلك عن لهجة من لهجاتها أو عن مجموع اللهجات جمِيعاً . ثم هي تضيف إلى هذه الذخيرة ما يتجمَع لها من نتائج التطورات اللغوية التي قد تغير مفردات اللهجات القديمة في صيغها و معانيها ، بحيث قد يتغير على غير اللغويين ربط المفردات المتطورة بصورها الأولى قبل التطور . وإلى جانب هذا تقرض اللغة مفردات من اللغات التي تتصل بها ، وتعمل على تحقيق الانسجام بين هذه المفردات وبين مفرداتها التي ورثتها عن عصورها السابقة . وإلى كل هذا يضيف الابتكار اللغوي نوعاً ثالثاً في المفردات إلى النوعين السابقين . وقد يكون الابتكار اللغوي ناتجاً عن استعمال الألفاظ استعمالاً مجازياً ، يتسبب عنه تغيير في نوع الكلمة التحوي أو مدلولها أو صيغتها . كما قد يكون ابتكاراً كلياً لا يعتمد على مادة سابقة من مواد اللغة .

مصادر المفردات الأساسية

يسنالج هذه المصادر بالنسبة للغة الفصحى وللهجات القديمة والحديثة فيما يلى :-

أ - في اللهجات القديمة :-

اللغة السامية الأولى لغة نموذج ، كما سبق أن أشرنا ، يُعنى أننا لا نعرف لغة الساميين الأوائل عن طريق نصوص مدونة بقى من العصر الصحيح الذي كان الساميون جميعاً يتكلمون فيه لغة واحدة . وكل ما نعرف عن هذه اللغة ، مجرد نماذج مفترضة وصلنا إليها بمقارنة اللغات السامية المعروفة بعضها ببعض . وعندما نكتب نموذجاً

مفترضاً نضع أمامه نجمة ، اشارة الى أننا لا نكتب لفظاً واقعاً مأخوذاً عن لغة معينة ، بل صورة افترضنا وجودها بعد مقارنة صور هذا اللفظ في مختلف اللغات التي تشتراك في الاصل . وقد سبق أن قدمتنا للقارئ مقارنة لثلاثة ألفاظ مشتركة بين الأكادية والعبرية والaramية والاثيوبية والعربية ، وكلها من المثاث السامية⁽¹⁾ ومن الواضح أن هذه الالفاظ لا تتشابه كل التشابه في هذه اللغات جميعاً ولكنها تتشابه إلى حد كبير . وبعد مقارنتها بعضها البعض يمكن افتراض التماذج للثلاثة التي سنتها فيما يهد مع وضع نجمة أمام كل منها اشارة لأنها مجرد نماذج للالفاظ في السامية الأولى :-

- * كَلْبُ . وقد صارت في الأكادية « كَلْبُ » والعربية « كَلْبِ » والأرامية « كَلْبَ » والاثيوبية « كَلْبُ » والعربية « كَلْبُ » .
- * قَلْبُ . وقد صارت في الأكادية « قَلْبُ » والعربية « قَلْبِ » والأرامية « قَلْبَ » والاثيوبية « قَلْبُ » والعربية « قَلْبُ » .
- * رِيشُ . وقد صارت في الأكادية « رِيشُ » والعربية « رِيشُ » والأرامية « رِيشَ » والاثيوبية « رِيشُ » والعربية « رِيشُ » .

هذا كل ما نطمئن في الوصول إليه من اللغة السامية الأولى أو الهنود أوربية الأولى أو سواها من اللغات الأم التي تولدت عنها اللغات واللهجات التي نعرفها .

ب - في اللغة العربية الفصحى :-

المصادر الأساسية لمفردات اللغة العربية الفصحى هي بطبيعة الحال اللهجات العربية القديمة التي تولدت عنها اللغة الفصحى . وقد دونت هذه المفردات بصفة رئيسية في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث

(1) انظر ص ٥١ .

الشريف . وفي عصر تدوين اللغة نشط جامعو المعجمات في تدوين مفردات العربية الفصحى . وقد بدأوا بطبيعة الحال باحصاء المفردات في هذه المصادر الثلاثة المدونة ^(٢) .

ثم أكملوا هذا العمل بجمع مفردات اللغة من أفواه متكلميها . وقد تجنبواأخذ المفردات عن بعض القبائل العربية وعمن تшوب لهجته لكنه من أبناء بعض الطبقات الاجتماعية المعينة . وقد كانوا من أجل هذا يرحلون إلى الباذية ويقيمون بين أهلها زمناً طويلاً يدونون ما يسمعون عنهم .

«والذين نقلت عنهم اللغة العربية بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن مصرى قط ، ولا من لخم وجذام ، ل المجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاة وغسان وأياد المجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون العربية ، ولا من تغلب المجاورتهم للروم ، ولا من بكر المجاورتهم للبنط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان ، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين لأهل فارس والهند ، ولا من أهل اليمن لخالطتهم تجار الحبشة والهند ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وتقيف وأهل الطائف لخالطتهم تجار اليمن المينيين وغيرهم ، وقربهم من الجاليات اليمنية ، ولا من حواضر الحجاز لأن أهلها كانت قد فسست حيئذ الأمتار جهم بأمم كثيرة » .

ويقول ابن خلدون « كانت لغة قريش أفسح اللغات وأصرحها بعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ثم من أكتافهم من تقيف وهذيل وخراءة وبني كنانة وغطفان وأسد وبني تميم . فأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وأياد وقضاة وعرب اليمن المجاورين للفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لخالطة الأعجم . وعلى

• (٢) باعتبار أن الحفظ نوع من التدوين .

نسبة بعدهم من قريش كان الاحتياج بلغاتهم في الصحة والفساد عند
أهل الصناعة العربية^(٣) .

والذى يلاحظ بصفة عامة غنى مفردات العربية الفصحى بالالفاظ المترادفة الى درجة تجاوز الحد العللى المعقول ، فللاسد خمسمائه اسم وللشعبان مائتان . والمفردات العربية المتصلة بالجمل وشئونه تبلغ خمسة آلاف وستمائة وأربعين اسماء ، حسب احصاء الاستاذ دوهامر De Hammer الذى نقله عنه الدكتور وافي . وسبب مثل هذه المبالغة أن جامعي القواميس قد خلطوا بين اللهجات ، فجمعوا أسماء الشئ الواحد فيها جمیعا ، ودونوها في قوامیسهم باعتبارها مترادفات . وكان الواجب عليهم جمع مفردات كل لهجة على حدة دون الخلط بينها وبين مفردات اللهجات الأخرى .

وعلى كل حال فقد تخلص الاستعمال من هذه الكثرة المفرطة في المترادفات فلم يشع في الاستعمال الأدبي من أسماء الأسد الخمسينائة أكثر من خمسة ألفاظ مترادفة ، هي « الأسد » و « السبع » و « الليث » و « الهزير » و « الغضنفر » وبهذا وضع الاستعمال حداً لهذا الافراط المخل ..

جـ - في اللهجات الحديثة

استمدت اللهجات العربية الحديثة مفرداتها بصفة رئيسية من اللهجات العربية القديمة التي تعتبر هذه اللهجات سلسلة تاريخياً لها، ومن مفردات العربية الفصحى التي أصبحت بفضل تدوينها في القواميس واستعمالها في الشعر والشعر لغة قطاع هام من حياتنا الحديثة وهو قطاع الحالة العقلية

(٣) هذان النصان منقولان عن « فقه اللغة » للدكتور وافي ص ١٦٥
وأولهما ملخص من المزهر للسيوطى ص ١٠٤ .
وثانيهما مأخوذ عن مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٥ (طبعة مطبعة التقدم
سنة ١٩٣٩ م) .

والفنية . والى جانب هذا الميراث اضافت اللهجات الحديثة الى مادتها ما افادته من لغات الشعوب لتي اتصات بها في عصور مختلفة وهذا يعني اننا حين نحاول الوصول الى معرفة الاصل التاريخي لللفظ فاننا نلتمس ذلك من المجالات الثلاثة ، ميراثنا عن العربية الفصحى وعن اللهجات القديمة وما اقتربنا من لغات اخرى . يضاف الى كل هذا ماجد على الفاظ هذه اللهجات من تغيرات في اصواتها ودلائلها جعلتها تبعد عن الاصل الذى أخذت عنه .

... ولو تركنا الالفاظ المفترضة جانبا ، لاستطعنا القول بأن اللهجات القديمة واللهجات الحديثة واللغة العربية الفصحى ، زوايا ثلاثة متكاملة يفسر ما في بعضها ما في بعضها الآخر ويكلمه . والى القارئ بعض الامثلة :-

١ - يقرر النهاة أن « ال » تدخل شنودا على الفعل في مثل قول الشاعر « ما انت بالحكم اى حكمته » ولكن شیوع هذا الاستعمال في العراق يشير الى ان هذا لم يكن شنودا ولكن « ال » كانت اسم موصول لدى بعض القبائل التي ورثت العراقيـة الحديثة استعمالاتها اللغوية .

ومثال هذا الاستعمال في العراقيـة :-

« البياع لا يرد » أي الذي يباع لا يرد .

« الدكاكين التؤجر » اي الدكاكين التي تؤجر .

« الكتب التُّقراً » أي الكتب التي تقرأ .

... ٠٠٠ الخ .

٢ - نلاحظ في العربية الفصحى اختلاف ضمائر الفاعل والمخاطب المفرد المتصلة عنها عندما تقع مفعول أو مجرورا متصلة بالاسم والفعل والحرف فهي التاء في الحالة الاولى والياء أو الكاف في الحالة الثانية كما ترى فيما يلى :-

ضربت ، ضربني ، كتابي ، لي
 ضربت ، ضربك ، كتابك ، لك
 ضربت ، ضربك ، كتابك ، لك
 وهذا الاختلاف يدفع الى القول بأحد الفرضين الآتيين :-

أ - كانت التاء مستعملة في الرفع والنصب والجر في مرحلة مبكرة ثم
 اقحمت الكاف عليها واستعملت في جميع الحالات غير حالات الرفع .

ب - كانت الكاف مستعملة في الرفع والنصب والجر في مرحلة
 مبكرة ثم اقحمت التاء واستعملت في حالات الرفع وبقيت الكاف مستعملة
 فيما عداها .

وبالرجوع الى ما أثر عن بعض اللهجات القديمة نجد من بقایاها
 ما يرجع القول بالفرض الثاني ، واليك هذين النصين :-

روي ان ام وهب بن منبه قالت قبل ولادته (سنة ٣٤ هـ) :
 « رأيُكْ بن حلم كولدكُ ابنا من طيب »

اي « رأيت بالحلم أئني ولدت ابنا من ذهب » .
 وفي هذا النص الحميري القديم نجد الكاف مستعملة ضمير رفع
 متصل للمتكلّم . وروي ان جنود يزيد الاول كانوا يغنوون بالآيات الآتية
 عند حصار ابن الزبير في مكة :-

« يا ابن زبير طال ما عصيَّنَا »

« وطال ما عنيَّنَا اليكَا »

« لنضر بن بسيفنا قفيكا »

و فيها « عصيَّنَكْ » بدلا من « عصيَتْ »

و « عنيَّنَا » بدلا من « عنيَّتنا » اي اتعبتنا

و « اتَّيْكْ » بدلا من « اتَّيْتَ »

تستعمل اللهجة العراقية « انتى » بينما تستعمل الفصحي واغلب اللهجات الفعل « اعطي » ويمكن تفسير العلاقة بين هذين الفعلين بالرجوع إلى اللهجات القديمة والحديثة .

ومن المعروف ان القبائل اليمنية التي كانت تسكن شرق الجزيرة مثل « ازد وهذيل وقيس » كانت تستعمل لفظ « انتى » بالتون . أما الحجازيون فكانوا يستعملون « اعطي » بالعين . وقد قال البعض بأن « أعطى » هي الصيغة القديمة وأن العين كانت تنطق الأنفية بجوار الساكن المفخّم . وصفة الأنفية هذه قد تطورت إلى تون .

ويمكن تفسير ذلك صوتياً بأن العين اذا اكتسبت صفة الأنفية تصبح (احتاكا) بلعومياً مجهوراً يخرج الهواء معه عن طريق الأنف بعد سد اللهاة ممره في الفم . وواذا لاحظنا أن صوت الطاء لثوي ، لأمكن أن نتصور وجود اللثوية (الناتجة عن نطق الطاء) في نفس الوقت الذي توجد فيه الأنفية والجهير . والتون صوت يتكون من هذه الصفات الثلاثة « اللثوية والأنفية والجهير » .

ولكن آخرين يرون عكس هذا فيقولون بأن « انتى » اقدم من « اعطي » بدليل ان الفعل الذي يناظرها في العبرية بالتون لا بالعين حيث انه « ناتا » وبدليل أن العربية الفصحي قد احتفظت بهذه المادة بالتون في الفعل « ناط » (مثل ناط به الأمر) . ويرى هؤلاء ان الفعل القديم هو « انتى » وعنه أخذ الفعل « ناط » . والفعل « اعطي » الذي يستعمل في اللهجة الحجازية . ويقول كاتبنا أن اسم فعل الأمر « هات » مأخوذ من مادة « اعطي » بعد أن صارت العين هاء .

والواضح مما نرى في اللهجات الحديثة ، أن الفعل « انتى » قد

انتقل الى العراق مع قبائل هاجرت من الشرق عن طريق فلسطين وسوريا ، حيث كان هذا الفعل يوجد قديما فقد استعملت « اعطي » بالعين ولا تزال عنيدة بصحراء سوريا ثم في بغداد وجنوب العراق . أما بلاد اليمن نفسها حيث كان هذا الفعل يوجد قديما فقد استعملت « اعطي » بالعين ولا تزال تستعملها حتى اليوم .

٤ - ادلعدي المصرية . تستعمل هذه الكلمة للإشارة لشخص ما ، مثل « فلان » ولا يعرف لهذه الكلمة أصل يمكن أن تنسب اليه . وقد سمعت عرضا بعض الانجاني اللبناني تستعمل كلمة يمكن أن تفسر هذه الكلمة المصرية وهذه الكلمة هي « الدلعوني » ومذكرها « الدلعون » . وهذه الكلمة اللبنانية يمكن أن تكون مأخوذة من مادة « دلع » وهي من مفردات المصرية ، وهذا يرجح أن تكون « ادلعدي » في الأصل هي « ادلعوني » للبنانية مأخوذة من هذا الفعل وأن النون فيها قد تغيرت الى « دال » .

هذا المثال يبين لنا كيف يمكن تفسير مسألة لغوية غامضة في لهجة من اللهجات بما قد يوجد في لهجة اخرى ، من اللهجات القرية منها .

٥ - « متروس » المصرية :

في المصرية كلمة « متروس » وهي كما هو ظاهر على وزن اسم المفعول ولا يوجد في المصرية فعل يمكن أن يقال باشتاقاق اسم المفعول هذا منه . ولكن هذا الفعل يوجد في العراقيه تمام التصرف حيث يقال « يترس » و « متروس » و « ترس » الخ .

٦ - كلمة « سينيه » في المصرية :

معنى هذه الكلمة خطاف حديدي ذو ثلاثة فروع تعلق به الذبائح أو ميزان ذو ثلاثة قوائم توزن به اكياس القطن أو الحنطة ويمكن تفسير

الأصل التاريخي لهذا الفعل بالاستعانة بالكلمة العراقية المفترضة من الترکية « سی بایه » أي « حامل ذو ثلاثة أرجل » والتشبه الصوتي والدلالي واضح ين « سبیه » و « سی بایه » فلكل منها ثلاثة فروع . وهكذا احتفظت العراقية بالكلمتين « سی » بمعنى ثلاثة و « بایه » بمعنى قدم منفصلين مما ساعد على تفسير أصل الكلمة المصرية التي ذهبت فيها معالم الكلمتين بعد أن امترجتا في صورة كلمة واحدة .

هذه مجرد أمثلة تبين للقارئ كيف تتكامل الحقائق اللغوية في لهجات اللغة الواحدة بحيث يمكن بعد دراسة هذه التهججات مجتمعة أن نفسر بعض الأمور المستغلة علينا عندما تقتصر دراستنا على اللغة الفصحى وحدها .

٧ - الفعل « اشـل » في المصرية :

وال فعل العراقي المناظر لهذا الفعل المصري في المعنى هو « وشـل » وهو يستعمل على أحدي طرفيتين :-

أ - كما في المثال « وـشـل البـلـم ^(٤) » اي افرغه من الماء .

ب - كما في المثال « وـشـل مـحـمـد » بمعنى أخذ كل ما معه من مال .

والمثال الثاني بصفة خاصة يستعمل فيه الفعل « وشـل » بنفس المعنى الذي للفعل المصري « اشـل » .

وبطبيعة الحال نلاحظ العلاقة الصوتية والدلالة بين الفعلين .

وبالرجوع الى القاموس المحيط نجد فيه ما يأتـي :

« الوـشـلـ مـحرـكـةـ » ، الماء العليل يتحلـبـ من جـبـلـ أو صـيـخـ ، ولا يتصل قـطـرهـ ولا يـكـونـ الاـ مـنـ أـعـلـىـ الجـبـلـ . . . وـشـلـ يـشـلـ وـشـلـ سـالـ او قـطـرـ ، وـالـرـجـلـ ضـعـفـ وـاحـتـاجـ وـافـقـرـ » .

(٤) البـلـم - قـارـبـ صـغـيرـ مـسـتـدـيرـ يـسـتـعـمـلـهـ الـفـلاـحـونـ الـعـراـقـيـوـنـ لـعـبـورـ الـقـنـوـاتـ الـمـتـفـرـعـةـ مـنـ نـهـرـيـ دـجـلـةـ وـالـفـرـاتـ .

وفي هذا النص نجد الأصل الذي تتجزأ عنه الاستعمال العراقي بمعنى (نزح الماء وبمعنى أخذ مال شخص آخر) والاستعمال المصري (بمعنى أخذ مال الشخص أى أفلسه) .

ومن أجل هذا تختتم أن نقول بأن الواو في اللفظ الفصيح قد بقيت وواواً في العراقية في هذه الحالة وانها قد صارت في المصرية همزة .

٨ - لیت ورأیت :

يرى البعض أن الأصل التاريخي لاداة التمني « لیت » هو الفعل رأیت . ويمكن تبرير هذه العلاقة التاريخية بينهما بعدد من الامور .

اولاً - الشبه الصوتي .

ليس بين الكلمتين من الناحية الصوتية خلاف الا في ناحيتين ، او لا هما وجود الراء في احداهما مكان اللام في الاخرى ، ونائهما وجود همزة القطع في احداهما وعدم وجودها في الاخرى . أما وجود اللام مكان الراء فانه يحدث فعلاً في العربية ولهجاتها . ومثاله « يا لیت » الفصحي وتناظرها في المصرية والعراقية « يا ریت » بالراء . و « الآخر » الفصحي الفصحي وتناظرها في المصرية « را خر » بالراء مكان لام التعريف . أمّا سقوط همزة القطع فامر ثابت الحدوث فقد كانت لهجة الحجاز قديماً تسقط همزة القطع ، كما انها تسقط كذلك في اللهجات الحديثة مثل « رأس » الفصحي ويعادلها « راس » في اللهجات الحديثة ولهجة الحجاز القديمة ومثل « امرأة » ويعادلها في هذه اللهجات « مره » بدون همزة .

ثانياً - استعمال لیت .

يلاحظ أن « لیت » تنتهي بناءً مفتوحة تشبه تاء المخاطب المفرد المذكر في رأیت . ويلاحظ أيضاً أن نون الوقاية تدخل على « لیت » عند اتصالها بباء المتكلم ، مع أن نون الوقاية لا تدخل على غير الافعال . وهذا شاهد على

الارتباط التاريخي بين « ليت » والصيغة الفعلية . حيث يقال « لينتي » كما يقال « رأيتي » . كذلك تدخل « يا » على « ليت » فيقال « يا لينته جاء » مع أنتا تعرف أن « يا » تدخل على الأسماء .

ودخول « يا » على « ليت » استمرار لاستعمال غير فعلي عرض للفعل « ترى » كما في الأمثلة التي سنذكرها فيما بعد .

ثالثا - استعمال الفعل « ترى » و « رأيت » .

أ - في العربية :-

نلاحظ أن هذا الفعل يستعمل استعمالات خاصة لا تتفق مع الاستعمالات الفعلية المعروفة واليكم هذه الأمثلة :

أ - ترى جاء ، ترى هل جاء

ب - يا ترى جاء ، يا ترى هل جاء

ح - تراه جاء - ترى محمد جاء

د - هل تراه جاء - هل ترى محمد جاء

ه - هل تراك تحضر غدا .

و - أرأيتك هذا الذي كرمت علي .

وفي هذه الاستعمالات نلاحظ ما يأتي :

١ - استعمال مضارع « رأى » في صيغة المفرد المخاطب بضم التاء لا بفتحها .

٢ - استعمال هذه الصيغة مع « يا » أو بدونها مع أن المعروف أن « يا » لا تدخل على الأفعال . (يلاحظ أن « يا » تدخل أيضا على « ليت ») .

٣ - دخول هذه الصيغة على الاسم الظاهر ورفعه بعدها .

٤ - دخولها على ضمير النصب المتصل ، وكان متضمناً رفع الاسم الظاهر بعدها أن يكون الضمير المتصل ضمير الرفع ، والا فكان اللازم نصب الاسم الظاهر حتى يتتفق مع محل ضمير النصب المتصل .

٥ - أسناد هذه الصيغة وصيغة الماضي في الآية (رقم ١) إلى المخاطب المفرد المذكر واتصال ضمير النصب للمخاطب المفرد المذكر في نفس الوقت بها ، مع أن المأثور في هذه الحالة عدم اتصال ضمير النصب بالفعل بل كون المفعول لفظ «نفس» مضافاً إلى الضمير فيقال «رأيت نفسك» و «ترى نفسك» . في هذه الحالات كلها اختلف استعمال «ترى» و «رأيت» عن الفعل «ترى» و «رأيت» بمعنى «أبصرت» أو «علمت» . وهذه الاختلافات تدل على حدوث تطور في استعمال هذا الفعل جعله يختلف عما نعرف من من استعمالات الأفعال .

أما من ناحية المعنى فإن استعمال «ترى» و «رأيت» هذا لاستعمال غير الفعلي يصبح دلالة غير فعلية فليس في الأمثلة السابقة كلها حدث بمعنى «علم» أو «أبصر» ، ولكن استعمال «رأيت» و «ترى» قد أفاد معنى عاماً يمكن أن يعبر عنه بالتوقع . والتوقع من المعاني النفسية التي تشبه التمني .

ب - في المصرية :

يا ترى . جه

وفي هذا المثال استعملت صيغة «ترى» مسندة إلى المخاطب المفرد بعد ياء النداء . وقياساً على هذا الاستعمال يمكن أن تصور المكان استعمال «رأيت» (أى صيغة الماضي من ترى) بعد ياء النداء أيضاً على هذا النحو : «يا ترى» و «يا رأيت» بعد خضوعها لتأثير قانونين من قوانين التطور الصوتي في اللهجة المصرية على هذا النحو .

١ - قانون سقوط همزة القطع في وسط الكلمة مثل «امرأة» تصير «مره» و رأس تصير «راس» . وتطبيقه على «يا رأيت» تصير «يا رأىت» (يا رأىت) .

٢ - قانون تحول الفتحة وإياء الساكنة التي بعدها إلى فتحة طويلة

ـ مما له (أي حركة امامية نصف ضيقة طويلة مع انفراج الشفتين) ـ
ـ وبمقتضاه تصير « ياريت » (ي ا راي ت) « ياريت » (ي ا رني رني ت) «
ـ أي بصيغتها التي تستعمل للمعنى ـ

ـ كـ محمد سافر ترى (في العراقية) :

ـ وهذا الاستعمال خاص بالعراقية وهو تطور آخر لهذا الفعل ، أفقده
ـ معنى الفعل وخرج به من الاستعمال الفعلي ـ

ـ هذا مثال آخر لتفسير ظاهرة عربية فصحى بالاستعانة بما يوجد فيها
ـ وفي اللهجات الحديثة من استعمالات لغوية ـ

ـ ٩ - « ان » و « بعد » و « اصل » :

ـ « ان » في العربية الفصحى اداة تأكيد تدخل على المبتدأ والخبر ـ وقد
ـ يكون المبتدأ اسماً ظاهراً أو ضميراً متصلاً بها ـ والظاهر من ترجمة الاستاذ
ـ رابين لفظ « ان » باللغة الانجليزى (behold) أنه يعتبر أنها من وجهة
ـ النظر التاريخية كانت فعل أمر تحول عن الفعلية وتخصص في هذا
ـ الاستعمال الذي بمقتضاه يدخل على الجملة الاسمية لافادة التأكيد ـ وقد
ـ حدث مثل هذا التغير التاريخي بالنسبة للكلمة « ليت » التي تقييد التمني ـ

ـ والذى يهمنا هنا هو أن نسجل أن هذه الظاهرة - التي تحول
ـ بمقتضاهما الكلمة الى اداة تدخل على الجملة الاسمية للتعبير عن معنى اضافي
ـ فيها كالمعنى أو التأكيد - لا تزال مستمرة في اللهجات الحديثة ـ ولدينا
ـ مثال في اللهجة العراقية وآخر في اللهجة المصرية يثبتان ما نقول :

ـ ١ - في اللهجة العراقية تستعمل الكلمة « بعد » استعمال « ان »
ـ فتدخل على الجملة الاسمية ويتصل بها الضمير أو يأتي بعدها اسم ظاهر يكون
ـ مسندأً اليه في جملة اسمية ـ وكما نقول في العربية الفصحى « محمد
ـ قائم » ثم ندخل « ان » فنقول « ان محمد قائم » أو « انت قائم » ثم

ندخلها فنقول « انت قائم » ، نقول في العراقيه « محمد واگف » و « انت واگف » ثم تدخل « بعد » فنقول « بعد محمد واگف و « بعذك واگف ». •
وبعد هنا تعني « لا زلت » .

ب - في اللهجة المصرية تستعمل الكلمة « اصل » استعمال « ان » .
فتدخل على الجملة الاسمية لافادة تأكيدها . وكما تقول في العربية الفصحى
« محمد قائم » و « انت قائم » تقول في المصرية « انت نايم » و « محمد
نايم » ثم تدخل « اصل » لافادة التأكيد فتقول « أصلك نايم » و « اصل
محمد نايم » .

وليس هناك من فرق بين « ان » الفصحى و « بعد » العراقيه و « اصل »
المصرية الا عدم تأثيرهما تأثيرا اعرابيا في الكلمات التي بعدهما ، وذلك
لأنقراض الاعراب من اللهجات الحديثة .

* * *

نكتفى بهذه الامثلة لدراسة تاريخ المفردات وهي دراسة تساهم اللهجات
الحديثة والقديمة والعربيه الفصحى واللغات السامية جميا في كشف
مستغلقاتها .

و سنستعرض الان عددا من الوسائل التي تستخدمها اللغة لزيادة
مفرداتها .

١ - الاشتقاء

سبق أن ذكرنا أن من خصائص اللغات السامية « بناء كلماتها من مادة اشتقاء وفق موازين معينة »^(١) وسنستعرض الآن لخاصة الاشتقاء هذه باعتبارها أهم الوسائل التي تتبعها العربية ولهجاتها في زيادة مفرداتها . وقبل أن نعرض لهذا الموضوع بالتفصيل نبادر برفض نظرية النحاة القائلة بأن الأصل الذي تشق منه الكلمات في العربية هو المصدر . وهم في هذا واقعون تحت تأثير الرأى الفلسفى القائل بأن « الجوهر الفرد » هو أصل الموجودات لانه أبسطها وبسيط أسبق وجودا من المركب . ولما كان المصدر يدل على مجرد الحدث ، فإنه أبسط من غيره من الصيغ المشتقة كال فعل واسم الفاعل واسم المفعول الخ لأنها تدل على الحدث وأمر آخر . الواقع أن الاشتقاء عملية تم بها صناعة الكلمات من المادة ، والمادة في العربية لا تمثل كلمة يمكن النطق بها بل هي مجرد مجموعة من الأصوات يلاحظ وجودها بترتيب معين في جميع المفردات التي توصف بأنها مشتقة منها .

وعلى سبيل المثال ، لو استعرضنا الكلمة « لعب » يلعب ، العب ، لاعب ، لعب ، لعنة ، ملاعب ، تلاعب » الخ لوجدنا فيها جميعا السواكن الثلاثة « ل ، ع ، ب » بهذه الترتيب . وهذه السواكن الثلاثة وحدتها لا تمثل كلمة في العربية ، حيث لا يمكن النطق بها الا بوجود حركات تلي هذه السواكن على طريقة من الطرق التي تحددها كتب الصرف .

(١) انظر ص ٤٩ - ٥٠

وكل طريقة من هذه الطرق تسمى « وزنا » . وعلى هذا فالكلمة « لعب » تتكون من « ل ، ع ، ب » ووزن يتمثل في فتحة بعد اللام وكسرة بعد العين وفتحة (أو سكون في حالة الوقف) بعد الباء . والمصدر (مثل لعب) يتكون كذلك من المادة « ل ، ع ، ب » والوزن الذي هو فتحة بعد اللام وكسرة بعد العين ، وسكون الباء في حالة الوقف ، أو وجود فتحة أو كسرة أو ضمة بعدها حسب حالة الكلمة الاعرابية . ومعنى هذا أن المصدر نفسه مشتق من المادة على وزن معين وليس هناك مبرر لافتراض أن الفعل مشتق من المصدر حيث أنه كذلك مكون من المادة ووزن .

خاص .

وفي العربية الفصحى مواد اشتقاقية فعلية يبلغ عددها ثلاثة آلاف . وخمسين مادة ، إلى جانب المواد الاسمية . ومن هذه الذخيرة الضخمة تشق العربية ولهجاتها مفراداتها . أما المواد الفعلية فهي التي تكرر فيها ظاهرة الاشتقاق (وهو صياغة المفظ من المادة على نسق وزن من الاوزان) . وقد تكون المادة مجردة مثل (ق ت ل) وقد تكون مزيدة مثل (ء ك ر م) . و (ق ا ت ل) و (ا ن ق ت ل) الخ .

ومن كل من المواد المجردة والمزيدة يمكن اشتقاق نوعين من الصيغ هي الصيغة الفعلية والصيغة الاسمية .

اما الصيغة الفعلية فهي صيغة الماضي والمضارع مبنيين للمعلوم او للمجهول . وصيغة الامر .

واما الصيغة الاسمية فهي المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة . المشبهة وصيغة المبالغة واسم المرة واسم الهيئة واسم الزمان والمكان والمصدر اليمىي وصيغة التعجب والتفضيل الخ . وعلى هذا فمن الممكن أن نشتق المفردات الآتية من المادة (ق ت ل) :-

آ - المادة المجردة (قتل)

قتل يقتل **قتل** **يقتل** اقتل

وهذه هي الصيغ الفعلية . اما الصيغ الاسمية منها ما يلي :-

قاتل مقتول قتيل قتال قتول قتل مقتل

ما اقتله اقتل به **أقتل** منه ٠٠٠ الخ

ب - المادة المزيدة بالهمزة (أقتل)

قتل يقتل **أقتل** **يقتل** اقتل

وهذه هي الصيغ الفعلية .

ومن الصيغ الاسمية :-

مقتل **مقتَل** اقتل ٠٠٠ الخ

ج - المادة المزيدة بالتضعيف (قتلت)

قتل يقتل **قتل** **يقتل** قتل

ومن الصيغ الاسمية :-

قتيل **مقتَل** **مقتل** ٠٠٠ الخ

د - المادة المزيدة بالالف (قاتل)

قاتل يقاتل **قتول** **يقاتل** قاتل

ومن الصيغ الاسمية :-

مقاتل **مقاتَل** مقاتلة ٠٠٠ الخ

ه - المادة المزيدة بالالف والنون (ان قتلت) ومنها :-

انقتل يقتل منقتل انتقال مقتل ٠٠٠ الخ

ز - المادة المزيدة بالباء (ت قتلت) ومنها :-

تقتل يقتل منقتل ٠٠٠ الخ

ويكفي هذا مثلاً للإمكانيات الواسعة لاشتقاق المفردات من المفردات الفعلية .

اما المادة الاسمية فالاشتقاق فيها باحدى طريقتين هما :-

١ - تحويل المادة الاسمية الى مادة فعلية بزيادة مثل « استنوق » من الاسم (ناقة) ويؤخذ منها الفعل ماضياً ومضارعاً وأمراً (مثل استنوق الجمل ٠٠٠ الخ) واسم الفاعل واسم المفعول وسواهما من الصيغ الاسمية . ومثل المادة :- (تكالب) من الاسم (كلب) مثل (تكالب على الامر) . ومن هذا الاسم اخذ الفعل العراقي (جلب) بمعنى تمسك بالشيء .

٢ - اشتقاق صيغ اسمية معينة كصيغة النسب والتصغير مثل (عراقي) صفة من (العراق) ومثل طفيل تصغير طفل .
ومثل المصدر الصناعي ، وهو صيغة النسب مضافاً اليها تاء التأنيث مثل :-
(وطنية) وهي من (وطن) و (قومية) وهي من الاسم (قوم) وجمهورية من الاسم (جمهور) .

وهكذا نجد ان الوصف يمكن ان يؤخذ من المادة الفعلية على وزن اسم الفاعل او اسم المفعول او من المادة الاسمية باضافة ياء النسب .
هذا الى جانب صيغ الثنوية وجمع المذكر والمؤنث الساللين وجموع التكثير .

الاصوات التي تتكون منها المادة :

قام الاستاذ الامريكي جوزيف ه جرينبرج^(١) بدراسة احصائية

(١) انظر بحثه :

The Patterning of Root Morphemes In Semitic.

وقد نشره في مجلة Word الامريكية .

للاصوات التي تكون منها المادة في اللغات السامية والعربية بصفة خاصة . وقد استعرض في هذه الدراسة ثلاثة آلاف وخمسة مادة فعلية وخرج منها بنتيجة وضعها ملخصة في أول بحثه ونحوه فيما يلي نقلها للقاريء :-

« من الحقائق الواضحة التي لا تلتفت إليها الأذهان أن المادة الثلاثية التي تميز بها اللغات السامية لا يمكن أن يكون الصوت الثاني فيها هو نفس الصوت الأول . ولكن من ناحية أخرى نجد أن الصوت الثالث كثيراً ما يكون نفس الصوت الثاني ، وهذا هو ما يطلق عليه المادة المضعة . وعلى هذا فانه في الوقت الذي لا يمكن فيه أن نجد مادة مثل م ٠ م ٠ د ٠ في اللغات السامية نجد مادة مثل م ٠ د ٠ د (مد) ومثل ف ٠ د ٠ د (فر) كثيرة الشيوع . وقد قمت بدراسة جميع المواد الثلاثية في اللغات السامية وبخاصة العربية . وانا ابدأ المقال بتقديم نتائج هذا البحث العامة حتى أهيء ذهن القاريء للمناقشة التفصيلية التي تلو ذلك وهذه النتائج هي :-

١ - بالنسبة للصوت الأول والثاني يمتنع أن يكونا نفس الصوت ، أو صوتين من نفس المخرج . وعلى سبيل المثال لا توجد مادة فعلية سامية تبدأ بالصوتين ب ٠ م لأنهما صوتان شفويان أو گ ٠ ك حيث انهما صوتان رخوان .

٢ - بالنسبة للصوت الثاني والثالث من المسادة يمتنع أن يكونا من نفس المخرج . ولكن هذه القاعدة قد لا تطبق في حالات نادرة . ومع هذا فان من الجائز أن يكون ثانبي المادة وثالثها نفس الصوت ، اي انه من الممكن أن تجد في العربية مثل المادة ش ٠ ل ٠ ل (شل) ولكن ليس من الممكن ان تجد مثل المادة س ٠ گ ٠ ك أي حيث يكون الثاني والثالث صوتين انفجاريين رخوين أو لهما مهموس والثاني مجهور .

٣ - بالنسبة للصوت الأول والثالث من المادة يقل أن نجدهما نفس الصوت أو صوتين من نفس المخرج . ومعنى هذا أن احتمال كونهما نفس الصوت أو من نفس المخرج أكبر من الحالتين السابقتين . وهكذا نجد عددا قليلا من المواد مثل ق ل ق (قلق) أى مع كون الأول والثالث نفس الصوت أو مثل ل ف ت (لفت) ^(١) أى مع كون الأول والثالث من نفس المخرج وهو اللثة » .

وقد قرر الكاتب أن هذه الملاحظات تتفق مع تقسيم العرب وسيبويه بصفة خاصة لخارج الأصوات ثم استطرد في بحث إحصائي طويل لا محل هنا لمناقشته .

ويهمنا نحن هنا الإشارة إلى هذه الظاهرة الهامة التي تربط المواد الاشتقافية بأصوات اللغة مما يؤيد النظرية التي ندعو إليها وهي أن دراسة اللغة دون دراسة اصواتها دراسة بتراء .

بقيت نقطة نود التعرض إليها . وهي الملاحظة التي وردت من قبل من شيوخ المواد المضافة في اللغة العربية واللغات السامية مثل (ورد) . وقد فسرت هذه الظاهرة أحد تفسيرين :-

أولا - قال بعض العلماء بأن أصل المادة في اللغات السامية ثلاثي ، وأن المواد المضافة كانت في الأصل مواد ثنائية ثم حدث تكرار الصوت الثاني حتى تتمشى مع بقية المواد الثلاثية .

ثانيا - قالت طائفة أخرى بأن المواد المضافة هي في الواقع أقدم المواد . وقد كانت المواد ثنائية في الأصل ثم جعلت ثلاثية في فترة متأخرة . وسواء صح هذا الرأي أو ذاك ، فإن الحقيقة الهامة هي ثلاثة أغلب المواد العربية ، واعتماد اللغة العربية ولهجاتها على الاشتغال باعتباره أعظم وسيلة لزيادة مفرداتها .

(١) أورد الكاتب مادة من اللغة السورية و قد وضعنا مكانها مادة من العربية .

٢ - القلب المكاني

القلب المكاني عملية نفسية فردية تنتج عن نوع من الخطأ السيكولوجي الذي قد يكون سببه عضوياً أو نفسياً • والعوامل العضوية التي تؤثر مثل هذا الأثر هي اضطراب الجهاز السمعي أو الجهاز النطقي عند الفرد ، مما يجعله غير قادر ، على تلقي الأصوات وانتاجها على نحو سليم • ولا تؤثر العوامل العضوية البحتة على تطور لغة الجماعة ، لأن العيوب العضوية اذا عمت حتى شملت النوع الانساني كله لم تصبح عيوباً ولو قدر للجنس البشري مثلاً أن يفقد اللغة السفلية وبالتالي لا يستطيع النطق بالفاء أو الباء ، فانه لا يمكن ان نسمى ذلك عيماً أو اضطراباً في جهاز النطق عند الناس • ومع ذلك فمثل هذا التطور العضوي الشامل لا يحدث الا على اجيال تتجاوز آلافاً من السنين • ومن اجل هذا نسقط من حسابنا العوامل العضوية باعتبارها وحدها من اسباب التطور في الاصوات وبالتالي من اسباب التطور في المفردات • ولكن العوامل النفسية قد تكون فردية وجماعية • وهناك ولا شك حب الفرد لأحد أصدقائه وحب الجماعة لبطل أو قائد شعبي وكلاهما من العوامل النفسية • وإذا صح أن العوامل النفسية تسبب عند الفرد اضطراباً في ترتيب الأصوات فانها تسبب لدى الجماعة مثل هذه الظاهرة ، ولكن لا نسميها اضطراباً بل تطوراً •

وفي العافية المصرية الفاظ كثيرة حدث فيها قلب مكاني واحتللت عن نظائرها الفصيحة أو عن الصيغ التي كان يفترض أن تكون عليها حسب الموازين الصرفية المعروفة • وسنعرض عليك بعضها منها :-

أ - في اللهجة المصرية :

أثواب : جمع أرب وستعمل ايضاً على القياس الطبيعي فتقول أثواب Σ

أما في اللهجة العراقية تطلق كلمة « أرانب » على الجمجمة .

بطرمان : ونقول أيضاً بـ « بـ طـ رـ مـ آـنـ » .

طبعية : ويقال أيضاً بـ « بـ طـ بـ عـ يـةـ » أو (سلطانية) والكلمة مقتضية من الكلمة التركية « تبسى » بـ « بـ يـعـنـىـ آـنـاءـ صـغـيـرـ » .

ملعقة : وهي اسم آلة من « لعقة » ومقتضى القياس أن نقوله « ملعقة » ولكن المصرية قلبت موضع العين واللام .

جضم : وهي نظير الكلمة الفصحى « ضجع » والفعل الفصحى متعد و يؤتى منه بالصيغة اللاحقة على وزن افعال فنقول « اضطجع » أما في المصرية والعراقية كذلك فيؤتى بالصيغة المناهضة لهذه الأخيرة وزن افعال فنقول « انجضم » وستعمل لازمة ، أما صيغة « جضم » فستعمل لازمة ومتعدية .

اهتالي : ومعناها أتخيل أو أظن . وفي المصرية عبارة أخرى تناهيا هي « يتهألي » (في العراقية كذلك) . وهذه الأخيرة مكونة من فعل مضارع « يولـامـ جـرـ يـتـصـلـ بـهـاـ ضـمـيـرـاـ المـتـكـلـمـ المـفـرـدـ » على حد آراء النحاة .

وفي العربية الفصحى يعبر عن معنى العبارتين بالعبارة « يتهألي » .

وقد حدث في الصيغة المصرية « اهتالي » قلب مكاني فقدمت الهاء على الناء الزائدة في الصيغة العربية - والمصرية « يتهألي » . كذلك افترن هذا القلب المكاني بأمر آخر هو بناء الكلمة على وزن المصدر « افعال » فخرجنـاـ بالـصـيـغـةـ «ـ اـهـتـالـيـ »ـ وـفـيـهاـ تـعـتـرـ الـلامـ جـزـءـاـ مـنـ بـيـنـةـ الـكـلـمـةـ لـاـ حـرـفـ جـرـ . وعلى هذا الفرض تكون هذه الصيغة تشتمل على هذه المظاهر التطورية .

١ - قلب مكاني تقدمت بـ « بـ يـهـيـهـ »ـ الـ هـاءـ عـلـىـ النـاءـ .

٢ - اشتقاء اصـبحـتـ الصـيـغـةـ بـوـاسـطـهـ عـلـىـ وزـنـ المـصـدـرـ - افعال .

٣ - تحويل اللام من حرف جر إلى أصل من أصول الصيغة .

٤ - اعتبار الياء مضافا اليه - على حد التعبير النحوي - لا مجرودة بحرف جر كما هي في التعبير الفصيح والتعبير المصري الآخر .

وهناك من الكلمات في العامية المصرية مالا نعرف أصله التاريخي معرفة وثيقة ولكنها تشبه في صيغتها ودلالتها بعض الكلمات الفصيحة أو المقتضية التي يمكن أن تفترض أصلا لها اذا ما قبلنا القول باختلاف الصيغة العامية عن العربية أو عن اللغة المقتضية منها في ترتيب اصواتها .

لخفن : بمعنى خلط الأمور بعضها بعض . واضح أنها كلمة ليست مقتضية كما انه لا يوجد في قواميس العربية من الكلمات ما يمكّن أن يعتبر أصلا لها . ومع ذلك فمن الممكن أن تفترض أنها قد انحدرت من الأصول العربية « خ ل ف » التي بنيت منها الكلمة الفصيحة « اختلف » وعلى هذا الفرض تكون الاصوات في المصرية مختلفة الترتيب عنها في الفصيحة ، حيث تكون اللام متقدمة على الخاء .

لخبط : ويمكن أن تفترض أنها مأخوذة من الأصول العربية « خ ل ط » والصلة المعنوية واضحة بين « لخبط » المصرية . و « خلط » والفصيحة . هذا ونسمع هذه الكلمة المصرية على نحو آخر يختلف فيه ترتيب اصواتها هكذا « خلط » مما يؤيد نظريتنا بوجود قلب مكاني فيها .
أما في اللهجة العراقية : فان الكلمة « خلط » الفصحي تناطسر « خربط » وفيها تقابل الراء العراقية اللام المصرية .

القرش : اسم لنوع من السمك المفترس . ومن الملاحظ الشبه الواضح بين اصوات هذه الكلمة واصوات الكلمة الانجليزية الدالة على نفس المعنى وهي (Shark) ولو صح أنها مقتضية عن هذه الكلمة الانجليزية ، لكان هذا القرش قد اصطحب بتغيير في ترتيب الاصوات ، حيث بدأت الكلمة العربية بالقاف وانتهت بالشين ، بينما تبدأ الكلمة

الإنجليزية بالشين وتنتهي بالكاف وهي الصوت الذي يقرب من القاف
العربية في الانجليزية •

وفي اللهجة العراقية ما يأتي :

دَحْجٌ : بمعنى انظر تقابل الكلمة الفصحى « حَدَقٌ »^(١) وفي الكلمة
العراقية نجد الجيم المقابلة للقاف في الفصحى واقعة فاءً للكلمة بينما هي
في الفصحى لامها •

زَمِيْجٌ : بمعنى التراب الذي يجب ليوضع على أرض حدائق
المنازل قبل زراعتها • وهي تقابل الفظ الفصيح « مزِيْجٌ » • وهذا
 ايضاً نجد الزاي في اللفظ العراقي متقدمة على الميم ، أما في الفصحى وللهجة
 الموصل فان الميم هي التي تقدم على الزاي •

صِيْكِيدٌ • بمعنى صدق • ويلاحظ في اللفظ العراقي أن الدال قد
تأخرت عن الجيم الرخوة (گ) التي تقابل القاف في الفصحى ، بينما
تأخر القاف في الفصحى عن الدال •

« راوى » هذا الفعل في العراقية بمعنى « أَرَى » على وزن أفعى
المتعدي بالهمزة وفيه « راويني » بمعنى « أَرَنِي » ومادة هذا الفعل في
الفصحى هي « الراء والهمزة وحرف العلة الأخير » •

وتحتيل العربية الفصحى لتسهيل هذه الهمزة بجعلها « واوا » كما
حدث في صيغة « تفعّل » من هذه المادة وهي « ترُوّى » حيث صارت
الهمزة هنا واوا •

وفي المصرية ايضاً الفعل « ورَى » (ورَأَه الكتاب) وهو على

(١) في الموصل يقال « دَحْجٌ » بنفس هذا المعنى • وفيها نفس
الظاهرة •

صيغة « فعل » المتعدية من هذه المادة ٠ وقد صارت الهمزة فيه واواً ، وحدث فيه قلب مكاني صارت الواو بمقتضاه في موضع فاء الكلمة والراء في موضع عينها ٠

أما الفعل العراقي « راوى » مثل (راويني الكتاب) فتحن نرى ان الواو فيه بديله عن الهمزة (في رأى الفصحي) كما نلاحظ أن أصول مادته قد احتفظت بنفس ترتيبها في الفصحي ، فاء الكلمة هي الراء وعينها الواو (المناظرة للهمزة في رأى) ولاته حرف الملة ٠

والفعل العراقي هذا صيغة تعدية ، لأنه يتصل بضمير المتكلم المفعول مع وجود مفعول ثان هو الكتاب ٠ وفي العربية صيغتان للتعدية هي صيغة فعل (أي تضييف عين الفعل) وقد استعملت في الفعل المصري (ورّيني الكتاب) وهذه الصيغة كما هو واضح لم تستعمل في الفعل العراقي ٠ وبهذا لم يبق سوى الفرض الآخر وهو استعمال صيغة « أ فعل » للتعدية الفعل لمفعولين ٠ وعلى هذا الفرض يتحتم أن نقول بأن الفعل العراقي قد مر بمرحلة الأولى من القلب المكاني التي تم بمقتضاهما تقديم الراء على همزة التعدية ، وثانيتها تسهيل همزة التعدية ، وهي همزة قطع ، بحيث صارت فتحة طويلة وبهذا تفسر العلاقة بين الصورة الفصحي للفعل وصورته في المراقي في المثال المذكور ٠

القلب المكاني وموازين الكلمات :

تلزم المصرية – شأنها في ذلك شأن بقية اللهجات العربية والسامية عموماً – نحت كلماتها وفق موازين خاصة ٠ ومن هذه الموازين ما يزيد على اصول الكلمات مجرد حركات ، ومنها ما يزيد عليها حركات وحروفاً ٠

(٢) تستعمل لهجة الموصل صيغة « فعل » للتعدية لهذا الفعل وتجعل همزة المادة واواً كالمصرية مثل « روىـنيـهـذا » ٠

والنوع الأخير هو ما يسميه النحاة بالموازين المزيفة ° ومن أمثل الموازين المجردة وزن « فعل » « مثل » « ضرب » التي لم يزد على حروفها الأصلية حرف جديد ° ومثال الموازين المزيفة وزن انفعل مثل انكسر وانفعل مثل اشتهر ° وقد حدث في المصرية بالنسبة للوزن الأخير قلب مكاني فأصبح حرف التاء الزائدة سابقا على الأصل الأول من اصول الكلمة - أي الشين في المثل المذكور - بينما هو في العربية الفصحى غير سابق عليه °

ومثال ما يحدث في المصرية :-

افتَّاع	في العربية	انفع
اشْهَر	في العربية	اشتهر
اضْطَبَع	في العربية	اضطجع
اعْتَدَل	في العربية	اعتدل
امْتَنَعَ	في العربية	امتنع

أما السبب في تقدم التاء الزائدة على الأصل الأول من أصول الكلمة فانتا نوضحة كما يلي :-

هناك تناظر بين وزن « انفعل » ووزن « افتعل » فكلاهما يدل على معنى وزن المبني للمجهول ° وقد أثر هذا التناظر الدلالي في حلول الوزن ذي التاء الزائدة محل الوزن ذي التون الزائدة في بعض الأمثلة المصرية ° ومثال ذلك انكسر وانكسر ، وانعدل وانعدل ° وقد يفسي هذا في النهاية إلى الاكتفاء بأحد الوزنين عن الآخر °

ومن أجل هذا التشابه الدلالي قيس وزن « افتعل » على « انفعل » فتقدمت التاء الزائدة كما تقدم التون على الأصل الأول °

* * *

هذه أمثلة لتأثير القلب المكاني في صيغ اللغة وأوزانها ° وأنني اقرر

ان ما أعرض من فروض لتفسير هذه الأمثلة من التطور اللغوي أمور تقبل
المراجعة وتنسخ المجال لفروض أخرى ، قد تكون أقرب الى الحقيقة من
هذه التي أقدمها . وكل ما يعنيني هو أن يهتم الباحث اللغوي بهذه الظاهرة
التطورية التي قد تساعد على فهم بعض ما يستغلق من دراسة لتاريخ
الفردات .

٣ - التغيرات الصوتية

أولاً التفخيم في المصرية •

اختلف التفخيم في اللهجة المصرية عنه في العربية الفصحى ، وتنج عن هذا الاختلاف في بعض الحالات أن اضطررنا لتغيير وجهة نظرنا بالنسبة لبعض المفردات المشابهة في العامية المصرية وال العربية الفصحى واليك بعض الأمثلة :-

أ - الكلمة الفصيحة « درب » - بمعنى الطريق - كلمة لا تفخيم فيها ، ولكنها في المصرية مفخمة • وقد تنج عن ذلك أن تشابهت في نطقها مع الكلمة الفصيحة والمصرية « ضرب » ولا يشعر متكلم مصرى بأى فرق صوتي بين الكلمة الاولى في كل من عبارتي « ضرب الاولاد » و « درب المهايل » - وهو اسم شارع من شوارع القاهرة القديمة • ومن نتيجة هذا الاختلاف في التفخيم بين المصرية وال العربية أن اصبح لدينا كلمة واحدة متعددة الدلالات بدلًا من أن يكون لدينا كلمتين • والموقف في المصرية على هذا الاعتبار يشبه موقفنا من الكلمة الفصيحة « عين » بمعنى « جاسوس » و بمعنى « الباصرة » وسواء رضينا اعتبار « عين » بالمعنى الاول نفس الكلمة « عين » بالمعنى الثاني أو لم نرض ، فانتا ولاشك سوف تلتزم بنفس الاعتبار بالنسبة لكلمة « درب » بمعنى « طريق » و « ضرب » مصدر الفعل « يضرب » •

هذا مثال لتوحد كلمتين مختلفتين الأصل نتيجة لتطور أحداهما في صفة صوتية هي التفخيم بحيث اتفقت مع الكلمة الأخرى اتفاقا تاما •

ب - وقد يكون الامر على العكس من ذلك فنجد بين ايدينا لفظين مختلفين من اصل تارىخي واحد كما هو ظاهر بالنسبة لكلمة « فرد » المفخمة و « فرد » غير المفخمة •

وفي الكلمة الاولى عوّلت الكلمة حسب ما تقتضيه تقاليد اللهجة
المصرية بالنسبة للفحيم ومن ثم نطقت رقيقة الاصوات في عمومها ٠

وستعمل في مثل العبارة « عندُه فردٌ وبنديقة » - و « فردٌ هنا
بمعنى سلاح ناري صغير ، والعبارة « جوزٌ وفردٌ » و « فردةٌ حمامٌ »
و « فردةٌ جزمةٌ » ٠٠٠ الخ وكلمة « فردٌ » تظهر رقيقة الاصوات فيها
جميعاً ٠ ثم أخذت المصرية في احدث اطوارها تستعمل كلمة « فردٌ » في
عبارات مقتبسة عن العربية الفصيحة الحديثة فاستعملتها مفخمة في مثل
« الفرد خدام الجماعة والجماعة خدامة الفرد » والفرق الصوتي واضح
بين نطق « فردٌ » هنا ونطق « فردٌ » في العبارات السابقة ٠ ويمكن التمييز
بين معنى الكلمة في الحالتين بمقارنتهما بالكلمتين الانجليزيتين (individual)
وهي بمعنى « فردٌ » المفخمة و (one) وهي بمعنى الكلمة المصرية
غير المفخمة ٠

وهكذا يوجد فرق دلالي وفرق دلالي وفرق صوتي بين هذه وتلك
في وقت واحد ووجود هذين الفرقيين مبرر لاعتبار احدهما كلمة مختلفة
عن الأخرى ٠

ج - تجنب اللهجة المصرية الى استعمال نغمة مفخمة خاصة للتهويل ،
وكثيراً ما تستعمل مثل هذه النغمة المفخمة لتخويف الأطفال أو للمبالغة ٠
وقد تبادرت هذه النزعة في بعض الكلمات المصرية التي تستعمل للتعجب ٠
ومن هذه الكلمات ما هي مفخمة ومنها ما هي رقيقة ٠ وبالرغم من اتحاد
الاصل التاريخي فاننا نجد انفسنا مرغمين على اعتبار الصورة المفخمة كلمة
مختلفة عن الصورة الرقيقة لاختلاف معنى كل عن الآخرى مع اختلافهما
صوتياً بترقيق احدهما وتفخيم الاخرى ٠ ويحضرنا من هذه ما يأتي :-

١ - الله	مفخمة	وتغىد الاعتراف	
الله	رقيقة	وتغىد الاستهزاء	
٢ - يابا	مفخمة	وتغىد الاستهجان مع الضيق	
يابا	رقيقة	وتغىد الاستهزاء مع الضيق	
٣ - ياه	مفخمة	وتغىد الضيق الشديد	
ياه	رقيقة	وتغىد الضيق أو التعجب بدرجة أقل من ساقتها	

ومن الواضح اشتراك كل زوج من هذه في الاصل التاريخي ولكن تبلور ما يمكن أن نطلق عليه فكرة المبالغة الى جانب الاختلاف الصوتي بالتفخيم والترقيق لا يترك لنا مجالاً سوى أن نعتبر كلاً مختلفاً عن رفيقتهما

ثانياً - أثر تغير السواكن في المفردات

١ - برقة في المصرية :

وهي اسم يطلق على الفاكهة المعروفة التي دخلت البلاد العربية من بلاد الاندلس أو من « البرتغال ». وقد أطلق هذا الاسم على هذه الفاكهة مع فرق صوتي ينسجم مع ما هو معروف من تبادل القاف والغين في بعض اللهجات العربية . وفي بعض القرى المصرية تنطق عبارة « ما أدرشي » (أي لا أقدر) بالغين لا بالهمزة فيقال « ما اغدرش ». وهذا التبادل بين القاف الفصيحة والهمزة والغين شائع في السودان ويشيع في السودان ايضاً نطق الغين الفصيحة قافاً . وكثيراً ما سمعت بعض تلاميذى من السودانيين يقولون « قير هذا » « أي « غير هذا » (يحدث هذا ايضاً في بعض قرى الأرياف العراقية)

وفي فلسطين الشمالية تسمع الكلمة « كال » بمعنى « قال » وفيها تقابل الكلاف الفصيحة .

وخلالص القول ان هذه الاوصوات : ق ، ك ، غ ، ء ، ج . تتبادل بعضها وبعض .

وقد أثرت هذه الحقيقة في الكلمة (برتقال) التي اقرضت واطلقت على هذه الفاكهة المجلوبة من هذه البلاد فسمينا في المصرية الكلمة منطقه باحدى هذه الطرق :

برتقال ، برتؤان ، برتكان ، برتجان .

وبالرغم من أن الكلمة مقترضة وأنه لا يصح لي بذلك أن اوعى أنها عربية فصيحة فان الذي لاشك فيه أن استعمال الكلمة بالكاف استعمال أدبي أسبق من استعمالها بالهمزة أو الكاف أو الجيم . وبهذا يصح لنا أن نفترض وجود تطور صوتي انتهى بالكلمة الى هذه الامكانيات الاربعة .

ب - ورقة في العراقية :

في العراقية نحن نعرف ان القاف الفصحي تصير جيما ورخوه (اي غير معطشة كالجيم الظاهرة) فتصير « قال » الفصحي فيها « گال » . ولكن العراقية نزعت اخيرا الى الاحتفاظ بالكاف الفصحي في الكلمات التي اخذت حديثا عن هذه اللغة مثل « دقيقة » « قرآن » « قانون » « الخ » .

ومن هذه الكلمات « ورقة » التي تستعمل في العراقية بالكاف الى جانب الصورة العراقية القديمة لهذا النقط وهي « ورگة » . وكانت النتيجة أن أصبح في العراقية كلمتان اولاهما « ورگة » وتعني « ورقة الشجر » وثانيهما « ورقة » وتعني « ورقة الكتابة » .

ج - قتل في العراقية :

وفي العراقية كذلك لفظ « كتل » بمعنى « ضرب » وهو واضح

الصلة بلفظ « قُتِلَ » العربي ، بل ان اللفظ العربي المناظر لقتل العربية له نفس المعنى الذي للفظ العراقي « كُتُلَ » .

وقد استعملت العراقية من النصحي لفظ « قُتِلَ » محفوظة فيه بالقاف ، واستعملته بمعنى « ذبح » وبهذا اصبح في العراقية لفظان مختلفان « كُتُلَ » و « قُتِلَ » ولكنهما متهدنان في اصلهما التاريخي

أ - كلمات العدد المركب في المصرية :

تعني بالعدد المركب ما زاد على عشرة أو مكراراتها مثل عشرين وثلاثين والالف ٠٠٠ الخ وتعامل العربية الفصيحة هذه الاعداد بتركيبها تركيباً نحوياً يختلف في الاعداد من (١١) الى (١٩) عنه في سواها ويتخلص في فتح كل من جزئيها . أما الاعداد المركبة الأخرى مثل (١٠٥ ، ٢٥) الخ فتركبها بطريق عطف كلمة لاحقة على كلمة سابقة حساب ما هو واضح في كتب النحو العربي .

أما المصرية فانها تميل إلى التخفيف من درجة احتكاك صوت العين مما يقرب بها إلى الحركة ، واللاحظ ان هذه التزعة قد زادت بالنسبة للعين في الاعداد المركبة من (١١) الى (١٩) بحيث تخلصت هذه الاعداد نهائياً من العين فوجدنا « الشين » في الجزء الثاني من المركب مسبوقة بفتحة طويلة لا بعين مفتوحة كما في الجزء « عشر » في العبارات الفصحي . وقد تتجزء عن ذلك انه لم يصبح من الممكن اعتبار العدد المركب من بين التركيبات النحوية كما في العربية الفصيحة ، حيث قد صار بناء على هذا التطور الصوتي كلمة واحدة .

وقد سبق أن ذكرنا اننا نلجأ لتقسيم الحدث اللغوي إلى كلمات بالبحث عما إذا كان من الممكن ان تقدم جزءاً من اجزائه أو تؤخره أو نضع مكانه جزءاً آخر . فإذا أمكن ذلك عرفنا اثنا بازاء قسم دلالي - أي كلمة أو لاصقة -

من أقسام الحدث • ولتمييز الكلمة من اللاحقة نلجأ إلى اختيار آخر هو
أن نتعرف عما إذا كان المكن أن يستقل الجزء بنفسه مع أدائه معنى كاملاً ،
فإذا أمكن استقلاله فهو كلمة - أو صيغة حرة - وإن لم يكن فهو لاحقة -
أو صيغة غير حرة •

وباجراء هذين الاختبارين على العدد « اربعطاشر »^(۱) مثلاً نجد

ما يأتي :-

۱ - يوجد الجزء الأول « أربع » في استعمالات مصرية أخرى منفصلًا
عن الجزء الثاني مثل « أربع جمال » •

۲ - ليس في المصرية نظير للجزء الثاني في كلمات العدد ، حيث أن الكلمة
« عشر » مبتدأة بعين مفتوحة بينما يتبع الجزء الثاني من
« اربعطاشر » بحركة طويلة •

ولما كانت المصرية لا تبدأ كلماتها بالحركة بل بهمزة وصل ،
فإن هذا الجزء لو صح وكان كلمة من الكلمات المصرية لكان « آشر »
وليس « عشر » وهو مالا يوجد بين مفرداتها •

۳ - توجد تاء بعد العين تنتظر التاء التي في العدد المركب الفصيح « أربعة
عشر » وهذه التاء في الفصيح تاء تأييث تتحقق الجزء الأول من العدد
المركب إذا كان مميزة مذكراً • وهذه القاعدة نفسها تطبق على
العدد المفرد مثل « أربعة رجال » وفي هذا ما يؤيد كون « أربع » في
« أربعة عشر رجالاً » و « أربع عشرة امرأة » و « أربع نساء »
و « أربعة رجال » كلمة واحدة •

(۱) في اللهجة العراقية يقال « أرباطعش » •

٤ - تستعمل هذه التاء في الفاظ العدد المفرد في المصرية ولكن لوظيفة أخرى غير التمييز بين المذكر والمؤنث ٠ وانت لا تجدها مستعملة مع الميم المذكر ولا مع الميم المؤنث في المثالين الآتيين :-

أربع عيال ، أربع بنات

ولكنا نجد مستعملة مرة وغير مستعملة مرة أخرى والميم المذكر في كل من المثالين :-

أربعة أيام (أربعة أفلام) ، أربع جمال ٠

٥ - وظيفة هذه التاء في المصرية هي الفصل بين الكلمة العدد ومميزها الذي يبدأ بهمزة وصل ٠ ولهذا لا نجدها في المثال « أربع أرانب » لأن الهمزة في أول الكلمة الثانية همزة قطع ، ولا في « أربع بنات » أو « أربع عيال » لعدم وجود الهمزة ٠

٦ - هذه حقيقة تطورية انتقلت بالتاء التي تستعمل في العربية الفصحى للتفريق بين المذكر والمؤنث إلى تاء فاصلة بين همزة الوصل والكلمة السابقة عليها ، أو بعبارة أخرى فإن وظيفة هذه التاء قد صارت مجرد خاصة صوتية بعد أن كانت كما تشهد الفصيحة حقيقة نحوية ٠

٧ - كلمات العدد من (١٣ إلى ١٩) تحتوي على هذه التاء التي لا يمكن أن تعتبر للتأنيث ولا للفصل لأن كلاً منها كما قلنا كلمة واحدة وليس تركيياً يحتوي على اكتر من كلمة ٠ وأدوات التأنيث والخصائص الصوتية الفاصلة تتحقق أواخر الكلمات لا أوائلها في المصرية ٠

٨ - اذا قارنا كلمة « أربعطاشر » بكلمة « مسلمون » لاحظنا امكان تقسيم كل منها بحيث يتشابه الجزء الأول فيهما مع كلمة أخرى يمكن أن تستقل بنفسها بينما لا يمكن استقلال الجزء الثاني على هذا الوضع ٠

أربعteen ، أربعteen وlad - والجزء المشترك « أربع »
 رجال مسلمون ، رجال مسلم - والجزء المشترك « مسلم »
 ومعنى هذا ان لدينا في كل الحالتين صيغة حرة هي « مسلم »
 و « أربع » وصيغة غير حرة هي « دون » و « آشر » ٠

ثالثاً: أثر تغير الحركات في المفردات :

نعرض الأمثلة الآتية لبيان هذه الظاهرة :-

٤) الضمة الطويلة في آخر الكلمة •

المصرية تتبع من الضمة الطويلة في أواخر كلماتها • ويظهر ذلك في الأفعال التي تنتهي في الفصيحة بمثل هذه الضمة وهي الكلمات التي تعرف بالأفعال المعتلة الآخر بالواو • ومثالها : يدعوا ويعلو • وقد تخلصت المصرية من هذه الضمة الطويلة بأن جعلتها فتحة أو كسرة • فتحن نقول يدعى ويملا •

وقد عاملت المصرية كلمة « مانجو » المقرضة نفس هذه المعاملة فتخلصت من الضمة الأخيرة وجعلتها فتحة ، ثم لم تثبت أن انتهت الكلمة بهاء أو باءة مربوطة ، حسب قانون صوتي آخر .

وأصل هذه الكلمة من الملايو وقد أخذها الأنجلiz من هذه البلاد^(١) ومن الأنجلزية أخذتها العربية على ما اعتقد .

٠ هاء السكت في المصرية •

وهي الهمزة الزائدة للسكت في أواخر الكلمات المصرية المتهية بفتحة

(١) انظر قاموس . Concise English Dictionary : . **كلمة Mango**

وتسقط هذه الهاء في الوصل ومن امثلتها :
ال فعل « نده »

يذكر الاستاذ ريتشارد سون هاريل في بحثه القيم « أصوات اللهجات المصرية العربية »^(٢) أن الهاء نادرة الوجود في آخر الكلمة المصرية وإنها كثيرة ما تسقط في الوصل . وقد مثل لذلك بالكلمات « منه » و « نزيه » و « نده » التي تسمع ايضاً هكذا « نادى » ونحن نذكر للقاريء ما نراه من زيادة الهاء في اواخر الكلمات المنتهية بفتحة وبسقوطه الأخيرة اذا كانت مسبوقة بفتحة عند الوصل مثل « بيضة » و « كلمتا » « منه » و « نزيه » تنتهيان بهاء مسبوقة بكسرة ومن ثم فإنها لا تسقط .

وفي رأينا أن « نده » هي الكلمة المصرية ، أما « نادى » فافتراض حديث من الفصحى احتفظت فيه المصرية بالفتحة الطويلة الأخيرة دون زيادة هاء في نهاية الكلمة حسب ما تقتضي به القواعد الصوتية في الفصحى . ومع ذلك فهناك فرق بين « نده » و « أرده » (قرأ) يتمثل في سقوط الهاء في الأخيرة في الكلمة الثانية عند الوصل ولزومها في الأولى في الوصل والوقف . وهنا نلمح تطوراً لا في الصوت ذاته بل في سلوكه وهذا التطور هو عدم سقوط الهاء الأخيرة في « نده » في الوصل .

ونحن نفترض ما يأتي :

١ - الفعل الفصحى « نادى » يتبعي بفتحة طويلة ، وطبق ما ذكرنا يتحتم في المصرية أن تقتصر الفتحة وإن يتبعي بهاء عارضة تلزم آخره في نهاية الكلام .

Richards Harrel's Phonology of colloquial (٢)
Egyptian.

وقد نشر في نيويورك سنة ١٩٥٧ . انظر ص

٢ - أصبحت هذه الهاء العارضة لازمة وبهذا صارت احدى أصول الصيغة .
وربما ساعد على ذلك الالزوم قصر الفتحة الطويلة بعد النون مما
جعل الفعل يبدو على صورة حرفين . وقد عرض لزوم الهاء للصيغة
بسبب هذا النقص الكمي ، وب بواسطتها أصبحت الصيغة ثلاثة بعد
أن كانت نتيجة لقصر الفتحة بعد النون ثنائية .

٣ - نتيجة هذا ، تطور خاصة الهاء الزائدة الى وحدة صوتية ثابتة في هذه
الكلمة .

« نادي » و « نده » :

يعتبر الاستاذ هاريل « نده » طريقة اخرى من نطق « نادي » .
ونحن نختلف معه في ذلك ونعتبر « نده » فعلاً آخر مختلفاً عن « نادي » .
أما دليلاً على ذلك فهو اختلاف تصريفهما . والصيغة الفعلية مرتبطة
بتصريفاتها ، أي أنها لا تتعين بمجرد مظهرها الصوتي بل بما يتصرف
عنها من صيغ كذلك . وبالتالي يكون اختلاف الصيغ المتصرفه عن « نده » .
عن الصيغ المتصرفه عن « نادي » دليلاً على اختلاف الصيغتين أي على عدم
اعتبار أحدهما طريقة ثانية لنطق الأخرى . واليك مثالين لاختلاف الصيغ
المتصرفه عن كل من « نده » و « نادي » .

(أ) اسم الفاعل « منادي » من نادي : ويناظره من « نده » اسم
الفاعل المؤنث وله معنى خاص ، ندائها = ابني الجن .

(ب) اسم الفاعل المستعمل بعد الافعال المساعدة مثل « راح »
و « قام » . « فات على قمت ناده له » أو « ورحت ناده له » و « ناده » صيغة
متصرفه عن « نده » .

« فات على قمت منادية » أو « ورحت منادية » . و « منادي » صيغة
متصرفه عن « نادي » .

واختلاف تصريف اسم الفاعل بحيث يبدأ بيم زائدة في حالة دون .
الأخرى دليل على اختلاف الفعل الذي اشتق منه .

٤ - تخفيف الصيغ

تخفيف الصيغ ظاهرة صوتية توجد في جميع اللغات . ولما لهذه الظاهرة من آثار على تطور مفردات اللغةرأينا ضرورة الحديث عنها مع هذه الطواهر الصوتية التي تشير إليها .

ومعنى تخفيف الصيغة أن ينطق بالكلمة مع نقص بعض أصواتها ، أو مع اختفاء بعض العناصر النطقية منها مما يجعل الصيغة المخففة لكلمة ما تبدو مختلفة عن الصيغة العادية للكلمة نفسها . ولدينا في المcriية كلمة « شاء » وتنطق بهمزة أخيرة في صيغتها العادية . ولكن لهذه الكلمة صيغة مخففة أخرى لا تنطق فيها الهمزة . ويتضح ذلك من مقارنة العبارتين :-

« ما شاء الله ! ! » في المcriية « ماشا الله عليك » .

وتشيع ظاهرة تحريف الصيغ في الكلمات التي يكثر استعمالها ، أما لانها تستعمل في قواعد اللغة استعمال الادوات مثل أداة الاستقبال في المصرية « رَحْ » وهي صيغة مخففة للصيغة « راِيْح » وفي العراقيَة « رَاحْ » .

وقد يكون سبب تخفيف الصيغة كثرة استعمالها في عبارات تجري
مجرى الأمثل كصيغة « شاء » المخففة في العبارة السابقة التي تستعمل في
التعجب والتهكم وغير ذلك ◆

وَمَا يَلَاحِظُ أَيْضًا إِنَّ الصِّيغَ الْمُخْفَفَةَ تُشَيِّعُ فِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَكُونُ أَجْزَاءً مِنَ الْعَبَاراتِ التَّابِتَةِ (الْكَلِيشَهَاتِ التَّعْبِيرِيَّةِ) مُثَلُ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» «عَلَيْكُمُ السَّلَامُ» «رَحْمَكَ اللَّهُ» «حَرْمًا» الْخَ .

ولقد يكون الدافع لتخفيض الصيغ دافعاً اجتماعياً كما قد يكون تكريياً، ونعني بالدافع التركيبي ما ذكرنا من استعمال الأدوات.

أما الدافع الاجتماعي فهو أن يتحدد استعمال عبارة من العبارات بطرف اجتماعي خاص ولا غير ، بحيث لا يجوز استعمالها في سواه مع الاحتفاظ بالوظيفة الدلالية التي تؤديها ، واليك عدداً من الفروق الاجتماعية التي تستعمل فيها نحن متكلمي العامية بعض العبارات الخاصة في اللهجة المصرية والعرقية :-

١ - التحية : ونستعمل فيها التعبيرات ، « السلام عليكم » ، « مساء الخير » ، « صباح الخير » بالذات دون سواها من التعبيرات التي تؤدي نفس معاناتها ؟ فمثلاً لا يجوز أن نقول « الامان عليكم » أو « السلام لكم » بدلاً من « السلام عليكم » كما لا نستطيع أن نقول « غروب الخير » أو « شروق الخير » أو « مساء البركة » أو « صباح النعمة » الخ بدلاً من « مساء الخير » و « صباح الخير » .

وتكون هذه في اللهجة المصرية والعرقية على السواء .

٢ - تشميست العاطس ونقول في هذا الطرف بال المصرية ، « رحمك الله » أو « رحمة الله » وفي العرقية كذلك دون عبارات مماثلة لها في دلالتها مثل « غفران الله لك » أو « الله يرحمك » الخ .

٣ - التبريك بالعودة سالماً : وفي هذا الظرف نقول « حمد الله ع السلام » وفي اللهجة العرقية كذلك ، دون عبارة « شكر افي ع السلام » التي تحل فيها الكلمة « شكر » المماثلة دلالة لحمد بدلاً عنها .

ويقوم الطرف الاجتماعي بدور خطير في تحديد دلالات هذه العبارات بحيث أن لو سقطت بعض أصوات هذه العبارات أو اختلف أداؤها بعض الاختلاف لما عاق ذلك فهمها كاملاً .

ومن ثم ينزع المتحدث إلى عدم الالكترا ث بالاداء السليم الدقيق ، ليقينه من قيام الطرف الاجتماعي المساعد الذي يعرض بعض ما قد يتعرض

له الحديث اللغوي من اهمال في الاداء . ومن اجل هذا نسمع - ونفهم - عبارة « سامٌ اليكم » بل و « سلمٌ عَ » أو « ساعيكم » الخ بدلاً من الصيغة الكاملة « السلام عليكم » كما نسمع « سالم الخير » بدلاً من « مساء الخير » و « حمك الله » بدلاً من « رحمك الله » . كما نلاحظ ان لفظ الجملة ينطق « الله » بكسر اللام الرقيقة بدلاً من « الله » باللام المفتوحة الفخمة في عبارات « حمد الله ع السلام » ، « بسم الله »^(١) .

كذلك يخصن الطرف الاجتماعي عبارات بذاتها للرد على مثل هذه التحيات ، فعبارة « عليكم السلام » لا تصلح مكان عبارة « السلام عليكم » . وعبارة « هداكم الله » لا تصلح مكان عبارة « رحمك الله » الخ ، بالرغم من أن الفرق بين بده التحية والرد عليها قد يكون مجرد فرق تركيبي ولا أكثر ، كما هو ظاهر في عبارتي « السلام عليكم » و « عليكم السلام » التي تفترق كل منهما عن الأخرى في مكان المبدأ بالنسبة للخبر . ولا غير .

أما الدافع التركيبي لتحجيف الصيغ فهو تخصيص لفظ من الالفاظ باستعمال تركيبي معين ، كاختصاص استعمال « سوق » بالدخول على صيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستقبال ، ويعتبر هذا سبباً تركيبياً لتحجيف صيغتها إلى « سين » الاستقبال .

وقد يصح ما ذكره النحاة من أن « سوق » للمستقبل البعيد والسين للمستقبل القريب ، كما قد يكون قولهم هذا - كما عودونا - مجرد التماس للأسباب ، قد يصح هذا وقد يصح ذاك ولكن الشبه الواضح في

(١) لا تكفي الكتابة العادية المستعملة في المطابع العربية لضبط النطق بهذه العبارات المخففة . ولذا نترك للقارئ تصور النطق الواقعي لها من تجاربه الخاصة .

الصيغة والوظيفة بين هاتين الاداتين يشير اشارة قوية لوحدة اصلهما ؟ أو
عبارة أخرى لكون الثانية مجرد تخفيف للصيغة الأولى ٠

وما يقال عن « سوف » و « السين » يقال كذلك عن « هو » و « هـ »
الضمير المتصل بالفعل والاسم فهناك شبه واضح في الصيغة والدلالة ٠
وقد حدث - كما نستطيع أن نفترض - ان كانت الصيغة التامة « هو »
تستعمل في أول الجملة أي مبتدأ - كما تستعمل مفعولاً بعد الفعل ،
أو مضاف إليه - بعد الاسم - ، فنقول - فرضاً أيضاً - « هو محمد »
« ضربت هو » ، « كتاب هو » ٠ ويجدر بنا أن نشير هنا إلى نزوع العربية
الفصيحة إلى النطق بالضمير « هو » دون تحريره الواو بالفتحة كما في
« لا اله الا هو » أما سبب ذلك - على ما نفترض أيضاً - فهو أن الوقف
على آخر الكلمات العربية يكون بالسكون ٠ وقد مهد ضم الهاء لأن يكون
هذا السكون مدّاً للضمة ؟ والمد في عرف اللغوين العرب سكون كذلك ٠
وإذا صح هذا الفرض فان عبارة « ضربت هو » في الوقف تكون « ضربت
ـ هو » بضم الهاء ضمه طويلة أو قصيرة ، وهذه الأخيرة هي نفس الصورة
التي يظهر بها ضمير الغائب المفرد المذكر المتصل ، أو الهاء المضومة في
مثل ضربته وكتابه ٠

الصيغ المخففة وتخفيض الصيغ :

هناك فرق لا يصح اهماله بين كل من السين وسوف من ناحية وهو
وضمير الغائب المفرد المذكر المتصل من ناحية أخرى ٠ ذلك أن كلاماً من
السين وسوف تستعمل في نفس الموضع والنفس الوظيفة التي تستعمل
فيها الأخرى ؟ بينما أن هناك فرقاً استعماليّاً بين « هو » و « هـ » الضمير
المتصل ٠ وذلك الفرق هو استعمال احدهما في حالة الرفع والأخرى في
في حالي النصب والجر ٠ ومعنى هذا أن هناك تكاملًا وظيفياً بينهما وهذا
التكامل الوظيفي يمنع اعتبار احدهما صيغة مخففة للاخرى ، لأن الصيغة

المخفة لا تكمل الصيغة الاصيلية بل تحل محلها على سبيل الاختيار .
ولتوضيح معنى التكامل الوظيفي اذكر لك أن كلمة مثل « محمد »

تقع في جميع الواقع الاعرابية التي يقع فيها اسم الذات اي انها تقع في موقع
الرفع وموقع النصب وموقع الجر . وبهذا الاعتبار لا يوجد تكامل وظيفي
بين « محمد » وبين سواها من الكلمات كما يوجد بين « هو » و « ه » .

ويمكن تشبيه « محمد » بحارس البيت الذي تقع مسؤولية حراسته
عليه طول الوقت . كما ويمكن تشبيه « هو » بحارس الطريق و « ه » بزميله
الذي يتاوب معه الحراسة . وتقع مسؤولية كل منهما في وقت معين من
أوقات اليوم ، هو ساعات نوبته ، فاذا ما انتهت هذه الساعات صارت المسئولة
إلى حارس سواه .

حارس البيت في هذه الحالة حارس كامل أما حارس الطريق فحارس
يكمله من يقوم مقامه من حراس عند انتهاء نوبته . وبهذا لو قلت « حارس
البيت » فاني اعني أحد افراد يختص كل منهم بطرف معين ولا يمكن
اعطاء أحدهما أهمية أكثر من سواه .

ونستطيع ان نخلص من كل هذا بالتفريق بين تخفيف الصيغة والصيغة
المخفة . وتخفيف الصيغة عملية اجتماعية لغوية تؤثر في الصورة النطقية
للفظ من الالفاظ تأثيرا يتجزء عنه وجود صيغتين متشابهتين تشابها صوتيا
وظيفيا . ويتبع عن هذا تكامل وظيفي بين الصيغتين كما رأيت بالنسبة
للضميرين « هو » و « ه » أو تماثل وظيفي بينهما بحيث يمكن احلال
احدهما محل الأخرى دون فرق تركيبي كما يمكن احلال « أحمد » محل
« محمد » أو السين محل سوف .

والصيغة المخفة هي الصيغ ذات الاصل التاريخي الواحد التي تنشأ
عن عملية تخفيف الصيغ والتي يقوم بينها تماثل وظيفي . ومتالها السين .

وسوف في الفصحي و « مش » و « ماهش » في المصرية « وشون » و « شلون » في العراقية ٠

وتلعب عملية تخفيف الصيغ دوراً خطيراً في التطور اللغوي وتنهي في كثير من الاحيان بولادة لاصقات أمامية وخلفية في بعض الكلمات ٠ ولدينا كلمة « أنا » وعنهما تولدت همزة المضارعة في مثل أكتب وضمير المتكلم المتصل في مثل « ضربني »^(١) وكلمة « أنت » وعنهما تولدت الناء في أول المضارع وفي آخر الماضي ٠٠٠ الخ ٠

وتحدث عملية تخفيف الصيغ عادة في الكلمات التي تزيد درجة تواترها frequency كأدلة التعريف وأدوات التوكيد والنفي والضمائر وغيرها ٠ وهذا هو العامل التركيبي الذي أشرنا اليه ٠ كما تحدث ظاهرة تخفيف الصيغ ايضاً في العبارات ذات الوظيفة الاجتماعية المحددة كعبارات التحية والترحيب واللمجاملة والتغزية وغيرها ٠ وفي هذه الحالة يقوم الطرف الاجتماعي بدور كبير في تعين دلالة الحدث اللغوي ، ان لم تكتمل أصواته في عددها أو في اداء كل منها كما يعين الوضع التركيبي ، في الحالة الأولى ، للكلمة التي يتتابها التخفيف بحيث لا تختلط بسواها من الكلمات ٠

« أكوا » في العراقية

يختلف استعمال « كان » في العراقية عن استعمالها في العربية الفصحي

(١) نذكر القارئ هنا بما يحدث في نطق المصريين وال Iraqis لضمير المتكلم المفرد على هذا النحو « آني » أي بنون مكسورة بعدها ياء وهي بهذا الشكل قريبة من اللاحقة « ني » في آخر الفعل ٠ ومن ثم لا يكون هناك محل اعتراض على ما نقول ، لأن النون في « أنا » متلوة بفتحة « ني » متلوة بكسرة ٠ وعلى فرض صحة ما نقول تكون النون التي يسميها النحاة نون الوقاية ذات صلة تاريخية بضمير المتكلم « أنا » أكثر مما لليء التي أصبحت - بفعل وظيفتها عند اضافة الاسماء اليها - أولى من النون باعتبارها ضميرا ٠

فهي في العراقيه تستعمل للدلالة على الزمن الماضي فحسب ومن ثم لا يستعمل مضارعها ولا ما ضيئها ولا اسم فاعل منها ، بل يستعمل الفعل « صار » في هذه الحالات . فالتعبير العراقي المناظر للتعبير الفصيح « سيكون طيأ » هو « حيصير زين » والتعبير العراقي المناظر للتعبير الفصيح « هنا لن يكون » هو « هذا ما يصير » والتعبير العراقي المناظر للتعبير الفصيح « لقد كان » هو « صار » ٠ ٠ ٠ الخ ٠

أما « كان » في العراقيه فتستعمل للدلالة على المضى في الجملة الاسمية ، مثل « محمد في البيت » يصير زمنها ماضياً باضافة « كان » فيقال « محمد كان في البيت » ٠

والواضح أن « أكوا » ترتبط تاريخياً بـ « كان » التامة في صيغة المضارع في الفصحي ، فهي تشبهها في الدلالة حيث أن كليهما بمعنى يوجد كما تشبهها في الصيغة مع فرقين هامين أولهما سقوط النون وثانيهما البداء بالهمزة ٠

وسقوط النون أمر مأثور في مضارع « كان » المجزوم ومنه « ولم أك بعيا » أما الهمزة فهي همزة المتكلم في صيغة المضارع ٠ ويكون الذي حدث بالنسبة لهذا الفعل في العراقيه هو تخصصه في هذه الصيغة بحيث أصبحت صيغة « أك » وحدها دون تغير تستعمل للمتكلم والمخاطب والقائب المفرد والمتثنى والجمع المذكر والمؤنث ، بحذف نونها الأخير حتى في غير النفي (الذي يصاحب الجزم وسقوط النون في الفصحي) ٠

أما التخصص في المعنى فهو اقتصار هذه الصيغة على الدلالة على الوجود ، بعد أن كانت في الفصحي تستعمل للدلالة على مجرد الوجود إذا كانت « تامة » أو على الزمن إن كانت ناقصة ٠

« فد » العراقيه

يمكن القول بأن الأصل التاريخي لهذه الكلمة هو الكلمة « فرد »

الصحي . ولا تزال « فرد » بالراء تسمع من بعض سكان بغداد مستعملة نفس استعمال « فد » مما يؤكّد هذه الصلة التاريخية بينهما . وقد أصبحت « فد » في العراقيّة أداة تكير تقابل أداة التعريف « ال » . وتخصّص استعمالها في هذا فقدت الدلالة على الوحدة ، ولهذا يقال في العراقيّة ما يأتي :-

جipp فd واحد وقد استعملت هنا للدلالة على المفرد المذكّر

جipp فd واحدة وقد استعملت هنا للدلالة على المفرد المؤنث

جipp فd خمسة وقد استعملت للدلالة على الجمّع

رایح وراح و ح

تفيد صيغ اسم الفاعل في جميع أفعال الحركة في المcriّة استقبال الفعل الذي يليها وذلك مثل « نازل يلعب » « سافر يزور أخوه » الخ . ومن هذه الصيغ « رایح » اسم فاعل من « راح » . وقد تخصّصت « رایح » دون سواها من اسماء الفاعل المشتقة من افعال الحركة في الدلالة على الاستقبال ثم خفت صيغتها الى « راح » و « ح » وصارت ثلاثة أداة تفيد استقبال الفعل المضارع مثل :

« رایح آكل » ، « راح آكل » ، « حاكل »

ونلاحظ هنا ان « رایح » غير المخففة قد فقدت دلالتها الفعلية ولكنها احتفظت بتغير صيغها مع المفرد والثنى والجمع المذكّر والمؤنث ، أما « راح » و « ح » الصيغتان المخففتان فقد لزمنا صيغة واحدة في كل هذه الحالات كما ترى في الأمثلة :-

انا رایح آجي أنا راح آجي

اتي رايحة تيجي اتي راح تيجي

هم رايحين يجو هم راح يجو

الخ الخ

٥ - تداخل الصيغ

نعني بتدخل الصيغ توحد كلمتين أو أكثر توحداً لا يمكن معه أن نقسم الصيغة الناتجة منه إلى صيغ حرة أو غير حرة ٠

وللتوضيل لذلك نذكر أن الكلمة المصرية « معلش » تتصل كما هو ظاهر اتصالاً تارياً بعبارة « ما عليه شيء » ٠ وهذه العبارة - كما هو ظاهر أيضاً - تقسم إلى الصيغ ما ، على ، هـ ، شيء ٠ وقد تدخلت هذه الصيغ كلها واتحدت في الكلمة المصرية التي لم يعد من الممكن أن نقسم هذا التقسيم أو تقسيماً قريباً منه دون الإخلال بشكلها الصوتي ودلالتها في نفس الوقت ، إذ لا يقال « علش » باسقاط اليم ولا « ما على » باسقاط الشين الأخيرة مثلاً ٠

وقد يتبع تداخل الصيغ في المصرية بعد نشاط ظاهرة تخفيف الصيغ كما حدث في المثال السابق الذي خفت فيه صيغة « ما » بقصر حركتها وصيغة « هـ » بسقوطها تماماً في « معلش » - وإن كان يمكن أن توجد في « معلهش » - وصيغة شيء بأن أصبحت مجرد « ش » الأخيرة ٠

ولكن تداخل الصيغ في المصرية يحدث كذلك باندماج حرف الجر مع الكلمة السابقة عليه اندماجاً تحدث معه صيغة جديدة تضاف إلى مفردات اللغة ٠ وسنعرض ما يأتي أمثلة لذلك ٠

١ - زَأَل = قُدْفَ بِحِجْرٍ ٠

نستطيع أن نفترض ارتباطاً تارياً بين هذا الفعل وبين « زَأَلَه » أي دفع شيئاً نحوه ٠ ولو صح هذا لكان قد عانى تغيرين ٠

١ - تداخل الصيغ الذي سبب توحد « زَأَ » مع اللام ٠

٢ - سقوط شدة الهمزة وبقاء الفتحة مما تكون معه النتيجة

« زَأَلْ » لا « زَأَلَ » .

ومما يساعد على هذا الفرض أن « زَأَلْ » على وزن « فَعَلْ » وهي صيغة تدل على المبالغة في الحديث مثل « قَتَلْ » . وعلى هذا يتلخص فرضنا في حدوث التطور على خطوات ثلاثة ، كما يأتي :-

عندما تداخلت صيغة الفعل « زَأَلْ » واللام تتجزأ عنها فعل على وزن « فَعَلْ » ولما كان هذا الوزن في الأفعال وزن يشتق للدلالة على المبالغة في الحديث من فعل على وزن « فَعَلَّ » مثل « قَتَلَّ » وهي مشقة من « قَتَلَ » فقد اعتبرت المصرية الصيغة « زَأَلْ » للدلالة على كثرة الحديث ثم ابتكرت صيغة أخرى على وزن فعل « زَأَلْ » وهي نظيره « قَتَلَّ » وستعملان للحدث العادي و « زَأَلَ » وهي نظيره « قَتَلَ » وستعملان للحدث مع المبالغة فيه .

٢ - عابالك « عقبالك »

حدث في هذا التعبير ما حذر في التعبير « زَأَلَهْ » وأصله التاريفي يرتبط بالعبارة العربية « عقبى لك » . وقد تداخلت صيغة « عقبى » وصيغة لام الجر فكوتا الكلمة الجديدة هي عابال (عقبال) . ونحن نحس بدلاله المصدر في هذه الكلمة كما نحس بقرب هذا الوزن من وزن المصادر العربية .

ومع ذلك فليس هناك تصريفات أخرى تؤيد اعتباره مصدرًا مثله « ضرب » و « مضروب » مثلاً وسواهما من الصيغ التصريفية المتصلة بال المصدر « ضَرَبْ » وسبب هذا النقص التصريفي في الكلمة « عقبال » أنها قد تطورت عن أصلها تطوراً جديداً لم يمكن من تحت صيغ تصريفية مختلفة تساوي بينها وبين سواها من المصادر التي ترتبط تصريفياً بصيغها الفعلية « والوصفية المختلفة » .

ولكن ما الذي يدلنا على أن « عقبا لك » ليست مكونة من « عقبى » ،
واللام والكاف ؟ !؟

سنقدم الدليل على ذلك مما نعرف من قوانين صوتية . ولعل القارىء يلاحظ أن لام الجر المكسورة اذا دخلت على الكلمة « محمد » مثلاً سقطت كسرة ميم « محمد » وكانت مع اللام السابقة عليها وحركتها مقطعاً على هذا التحوى :-

$$\text{محمد} = \text{م}^{\circ} + \text{ح}^{\circ} + \text{م}^{\circ}$$

ولكن العبارة « عقبا محمد » لا تخضع لهذا القانون ، فلا تزال « محمد » محتفظة بالكسرة التالية لميمها الأولى . وسبب ذلك أن اللام الأخيرة في « عقبا » لام ساكنة لأنها آخر كلمة وأواخر الكلمات المصرية ساكنة - وليس لام جر مكسورة .

٣ - « وياك » بمعنى معك وهي ترجم تاريخياً إلى عنصرين وأو العطف والضمير المنفصل . وفي الفصحي لا يأتي بعد « ايا » اسم ظاهر فلا يقال « ايا محمد » ولكن تداخل وأو العطف و « ايا » جعل ذلك ممكناً حيث يقال في كل من المصرية والعراقية « وياك » و « وياه » إلى جانب « ويا محمد »

٤ - مال :

في العربية الفصحي عبارة « مالك »^(١) مكونة من « ما » الاستفهامية ولام الجر وكاف المخاطب . وكما حدث فيما تقدم من أمثلة اتحدت ما واللام وتكونت الكلمة مصرية جديدة تعتبر اسمًا تتصل به الكاف . أما كيف نستدل على أن اللام قد اتحدت مع ما ، ومن ثم لم تظل حرف جر ، فهو سلوكها الصوتي إذا ماريتها الكلمة مبدوءة بساكن مثل « محمد » ولام الجر كما سبق أن رأيت تفقد الحركة ، ثم تكون أول مقطع نهايته في الكلمة

(١) أما في اللهجة العراقية فيناظرها الكلمة « شبيئك » .

الـي تـلـيـها فـتـقـول « مـلـحـمـد » أـمـا هـا فـلـا فـتـقـول « مـا مـلـحـمـد » بـكـسـرـ الـلـامـ بـلـ « مـالـ مـحـمـد » بـسـكـونـ الـلـامـ وـكـسـرـ الـمـيمـ . وـمـا حـدـثـ هـا شـيـهـ بـمـا حـدـثـ فـي « عـقـبـالـ » .

وـتـسـتـعـمـلـ الـلـهـجـةـ الـعـرـاقـيـةـ الـلـفـظـ الـمـرـكـبـ « مـالـ » لـدـلـالـةـ عـلـىـ الـمـلـكـيـةـ بـمـعـنـىـ الـلـفـظـ الـمـصـرـيـ « بـنـاعـ » وـالـأـنـجـلـيـزـيـ « Of » . وـقـدـ سـارـتـ الـعـرـاقـيـةـ خـطـوـةـ اـوـسـعـ مـنـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ تـأـكـيدـ اـسـتـقـلـالـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ عـنـ اـصـلـهـاـ التـارـيـخـيـ (ايـ مـاـ وـلـامـ وـالـجـرـ) وـذـلـكـ بـجـواـزـ تـأـيـيـشـاـ كـمـاـ تـؤـنـتـ الـأـسـمـاءـ حـيـثـ يـقـالـ فـيـ الـعـرـاقـيـةـ « هـذـيـ مـالـيـ » لـمـؤـنـثـ وـ « هـذـاـ مـالـيـ » لـمـذـكـرـ . وـتـسـتـعـمـلـ الـلـهـجـةـ السـوـرـيـةـ « مـالـ » اـدـاـةـ لـنـفـيـ فـيـقـالـ « اـنـاـ مـالـيـ نـاـيـمـ » بـمـعـنـىـ « اـنـاـ لـسـتـ نـائـمـ » .

وـيمـكـنـ اـرـجـاعـ هـذـهـ الـتـطـوـرـاتـ الـثـلـاثـةـ الـمـخـلـفـةـ إـلـىـ اـسـتـعـمـالـ « مـاـ » فـيـ الـعـرـبـيـةـ الـفـصـحـيـ . وـ « مـاـ » فـيـ الـفـصـحـيـ قـدـ تـكـوـنـ مـوـصـوـلـةـ أـوـ اـسـتـفـهـامـيـةـ أـوـ نـافـيـةـ . وـعـنـ « مـاـ » الـمـوـصـوـلـةـ وـالـلـامـ تـطـوـرـتـ الـكـلـمـةـ الـفـصـحـيـ « مـالـكـ » (بـمـعـنـىـ الـذـيـ لـكـ ايـ الـذـيـ تـمـلـكـهـ) وـالـكـلـمـةـ الـعـرـاقـيـةـ « مـالـ » الـتـيـ تـذـكـرـ وـتـؤـنـثـ (مـالـكـ وـمـالـتـكـ) وـعـنـ « مـاـ » الـاـسـتـفـهـامـيـةـ نـشـأـتـ اـدـاـةـ الـاـسـتـفـهـامـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ مـثـلـ « مـالـكـ وـمـالـهـ » (بـمـعـنـىـ مـاـ شـأـنـكـ بـهـ) .

وـعـنـ « مـاـ » الـنـافـيـةـ مـمـتـرـجـةـ بـلـاـ النـافـيـةـ ، نـشـأـتـ اـدـاـةـ النـفـيـ السـوـرـيـةـ « مـالـ » كـمـاـ فـيـ الـمـثـالـ الـذـيـ اـشـرـنـاـ اـلـيـهـ .

٦ - جـابـ - نـشـأـ هـذـاـ الـفـعـلـ فـيـ الـلـهـجـاتـ الـحـدـيـثـةـ بـامـتـرـاجـ الـفـعـلـ جـاءـ مـعـ بـاءـ الـجـرـ فـيـ مـثـلـ الـعـبـارـةـ « جـاءـ بـالـكـتـابـ » . وـقـدـ سـقطـتـ الـهـمـزةـ الـاـخـيـرـةـ مـنـ « جـاءـ » نـمـ اـتـصـلـ مـاـ بـقـىـ مـنـ الـصـيـغـةـ الـفـعـلـيـةـ بـالـبـاءـ وـتـنـتـجـ فـعـلـ جـدـيـدـ يـتـصـرـفـ إـلـىـ « يـجـبـ » وـجـاـيـبـ الـخـ .

٦ - القرض اللغوي

تختلف مفردات اللغة عن قواعدها في أن الأولى - أي المفردات تمثل من الناحية السيكولوجية انعكاسا سريعا لما يطراً على الجماعة اللغوية من تغير مادي ونفسي . أما الوظيفة السيكولوجية للقواعد فإنها أكثر ثباتا واستمراً . ومن أجل هذا نلاحظ أنه من يسير حدوث تطور في معاني المفردات أو في صيغها نتيجة لاتصال الجماعة بسواها من الجماعات أو الاختلاف الثقافي الذي يطراً مع الزمن على الجماعة .

ولأخذ اللغة العربية الفصحي مثلاً لتوضيح ما نريد . ومن المسلم به أن المجتمع العربي الحديث قد اختلفت قيمة الحضارية عن المجتمع العربي القديم . وقد ظهر أثر هذا وبالتالي في معاني المفردات العربية التي أصبح الكثير منها مدلولات تختلف عن المدلولات التي كانت لها في العصور القديمة من ذلك لفظ (صحيفة) وقد أصبحت ذات معنى خاص لم يكن لها في العصور السابقة ، واشتق منها كلمة صحافة وصحفي ، لمعنى نوعاً من العمل جد في عصرنا الحديث . وكلمة محرر ومراسل ورئيس تحرير أو سوي ذلك من الألفاظ التي لا شك في عريتها ، والتي لا شك أيضاً في أنها قد اكتسبت مدلولاً حضارياً لم يكن لها من قبل . أما قواعد اللغة فان درجة تأثيرها باللون الحضاري المعاصر لا تبلغ ما تبلغ درجة تأثير المفردات . وليس ثمة من شك في أن ترتيب الجملة العربية الفصحي لا يزال بوجه عام كما كان في العصور الأولى ، ولم يطراً عليه إلا قدر ضئيل من الاختلاف ، مثل التزام ترتيب مفردات الجملة ، بحيث لا تقدم المفعول على الفاعل ، أو مثل الاختلاف في استعمال الاعلام فاصبح الشخص يسمى بأسمه واسم أبيه وجده ، فعائليته ، بدلاً من استعمال اسم الشخص ثم كنيته ثم لقبه الشخصي . والقرض من أهم وسائل التغيير في مفردات اللغة بحيث

تتلامع وما يجذب على الجماعة اللغوية من حاجات مادية ونفسية . وهو عبارة عن أن تأخذ لغة مفردات من لغة أخرى ، لأن مدلول هذه المفردات قد أخذ من أهل هذه اللغة الأخرى ولم يكن موجوداً في اللغة المقرضة . ومثال ذلك لفظ (تلفون) و (تلغراف) و (ماكينة) الخ . وقد يحدث القرض من اللغة الأخرى مع وجود ألفاظ في اللغة المقرضة تؤدي نفس المعنى . وفي هذه الحالة يكون الدافع للقرض تقليد أهل اللغة الأخرى لما لهم من مكانة اجتماعية معينة في نظر أصحاب اللغة المقرضة .

ومثال ذلك (ميرسي) الفرنسية ، وهي تستعمل في اللهجات العربية المعاصرة بدلاً من (اشكرك) أو جنباً إلى جنب معها .

وقد اقرضت اللغة العربية من سواها من اللغات واقرضت منها لغات أخرى على مختلف العصور ومن ذلك .

(١) أخذت العربية عن الفارسية في الجاهلية ومصدر الاسلام الألفاظ (كوز) و (ابريق) و (طشت) و (خوان) و (طبق) و « قصة » و « خز » و « ابرسيم » و « ديباج » و « سندس » و « استبرق » و « ياقوت » و « فيروزح » و « كمك » و « دار صيني » و « فلفل » و « كروبيا » و « قرفه » و « زنجيل » و « نرجس » و « ورد » و « بنفسج » و « ياسمين » و « مسك » و « عنبر » و « كافور » او « صندل » و « قرنفل » و « جوز » و « لوز » و « خندق » الخ .

(٢) أخذت العربية عن اليونانية في الجاهلية ومصدر الاسلام « قطرة » و « فردوس » و « قراميد » (الاجر) و « قسطاس » او « قطار » و « بطاقة » و « سجنجل » و « اسطرلاب » الخ .

(٣) أخذت عن الحبشة في الجاهلية ومصدر الاسلام « مشكاة » و « كفل » و « هرج » و « منبر » و « ارائك » الخ .

(٤) اخذت عن العربية والسوريانية في عصر الجاهلية وصدر الاسلام « طور » و « ربانيون » « طه » و « ابراهيم » ، « اسماعيل » ، « سرور » ، « عاديات » الخ^(١) . وقد حدث في العربية أن قضا بعض المفردات المقتضية على ما يساويها في المعنى .

ومن مفردات اللغة العربية كثير في اللغة الفارسية ولغة الاردو . التي يتكلّمها شعب الباكستان ولغة اندونيسيا والملاليو ولغة التركية والكردية . حيث لا تقل عدد المفردات العربية في هذه اللغات عن خمسة وعشرين بالمائة من مفرداتها .

ولما دخل المسلمون الاندلس صارت اللغة العربية لسان سكان هذه البلاد . ثم طرد الفرنجة المسلمين وعادت الأسبانية لتكون لغة الناس هناك . ولا تزال الأسبانية حتى اليوم ، تحفظ بعدد ضخم من مفرداتها التي افترضتها من اللغة العربية ، يبلغ نحوًا من سبعة عشر بالمائة من مجموع مفرداتها ، فمثلاً يسمون الحجام « الفاجيم » والمخزن « الماسين »^(٢) الخ .

ومن المفردات العربية التي افترضت في اللغات الاوروبية ما يأتي :-

١ - الفعل (Cipher) بمعنى « يحل الرموز الكتابية » وهي مأخوذة من الكلمة العربية « اصفر » .

٢ - الكلمة (Muslin) (مازلين) في الانجليزية اسم نوع من .

(١) انظر فقه اللغة لعلي عبدالواحد وافي ص ٢٤٣ - ٢٤٤ . والجزء الاول من مجلة المجتمع اللغوي ٣٢٦ - ٣٢٧ ، والجزء الاول من المزهر للسيوطى ١٣٦ - ١٣٧ . وشفاء العليل فيما ورد على لسان العرب من الدخيل لشهاب الدين الحضاص (المعرّب من الكلام الاعجمي) لابي منصور الجواليفي .

(٢) انظر الى مجلة اللغات العدد الاول سنة ١٩٦٤ ص ٣٦ - ٣٧ . « اصل اللغة الاسپانية بقلم جوزيه اورنانيو كاستيلو .

القمash الرقيق أخذت من اسم مدينة « الموصل » وكانت تعرف بهذا النوع من القماش .

٣ - الكلمة (Cuffia) الإيطالية « كوفيا » والكلمة (Coiffe) (كوف) في الفرنسية والإنجليزية مأخوذة عن « كوفة » أي لباس الرأس النسوب الى مدينة « الكوفة » ومعنى هذه الكلمة في الإيطالية والفرنسية والإنجليزية « قبعة سيدات » . ومنها أخذت الكلمة (Coiffure) (كوافير) اي حلاق شعر السيدات . ولعل من الطريق ان الكلمة (كوافير) قد وجدت طريقها الى اللهجات العربية المختلفة ، وتصورها الكثيرون الكلمة اوربية غير مدركين اصلها العربي .

وقد يلتجأ المثقفون من أبناء اللغة الى أن يستبدلو بالفردات الأجنبية المقرضة مفردات أخرى ، يشتؤونها من المواد اللغوية في لقفهم حتى تحل في لغة الأدب على الأقل محل هذه المفردات الأجنبية . وقد حدث هذا في العربية الحديثة فدخلت فيها كلمات « السيارة » و « الطيارة » او « الدبابة » ، وهي ألفاظ مؤثرة أخذت عن صيغة « قَعَّل » التي هي للبالغة في العربية من المواد « سار » و « طار » ، « دب » . قد يحدث أن يلتجأ أبناء اللغة الى ترجمة المفردات المقرضة للتخلص من الألفاظ الأجنبية . ومثال ذلك لفظ (الهاتف) وهتف تعني نادى على شخص بعيد ، وهو المعنى الأصلي للفظ تليفون أي الحديث بعيد . ومنها لفظ فريق الاشارة بالجيش بدلا من (Signal Corps) فكلمة الاشارة ترجمة حرفية للفظ الانجليزي (Signal) وفريق الخيالة ترجمة للفظ الانجليزي (Cavalry) اي راكب الخيل . ومن هذا النوع المصطلحات العلمية مثل « خلية » وهي ترجمة للفظ (Cell) والوجودية ترجمة للفظ (existentialism) والرمزية ترجمة للفظ (symbolism) .

ويشيع الافتراض بالترجمة أو ما يسمى بافتراض الدلالة في ترجمة عبارات كثيرة دخلت إلى لغتنا العربية من لغات أقوام اتصلنا بهم لاسباب سياسية أو اجتماعية مختلفة . ومثال ذلك « لعب دوره » وهي عبارة ترجمة عن « اعطاني كلمته » و « played his part . (gave me his word) (الغ) ^(٢) .

تحدث الان عن تأثير المفردات المفترضة في اللغة التي تفترضها وتأثيرها بها . والمفردات في هذا الصدد تشبه الفرد الذي هاجر من وطنه إلى وطن آخر ، فهو يتأثر بالمجتمع الجديد الذي انتقل إليه ، ولكنه يظل إلى حد كبير محتفظاً بخصائصه القومية ، فالهندي الذي يعيش في بغداد مثلاً يكتسب كثيراً من صفات البغداديين وعاداتهم ، ولكنه يظل إلى حد كبير هندياً . ومن ناحية أخرى يؤثر بيته في دوره في المجتمع الجديد ، بدرجة تفاوت طبقاً لصلاته بالناس فلو هاجر مليون هندي إلى العراق ، لتجز عن ذلك بطبيعة الحال اختلاف جوهري في عادات العراقيين . والمفردات المفترضة إذا زادت نسبتها أثرت في اللغة التي تفترضها وتأثيرت هي كذلك بهذه اللغة . وقد يبلغ تأثير هذه المفردات إلى درجة لا نعرف معها أنها مفردات أجنبية إلا بالبحث العلمي الدقيق . ومثال ذلك المفردات المعرفة التي استعملت في القرآن الكريم مثل (آمين) « سندس » و « فردوس » وهي مفردات لا تكاد تحس بأنها غير عربية ، حيث أنها تخضع لقواعد اللغة فلا تمنع من الصرف لعجمتها مثلاً . ومع هذا فإنه من الملاحظ أن الكلمات المفترضة تختلف عن مفردات اللغة الأصلية في أوزانها الصرفية وتركيباتها الصوتية ، أو في بعض هذه أو تلك . وقد سبق أن لاحظنا مثلاً أنباء الكلمة وعين الكلمة في العربية لا يمكن أن يكونا صوتاً واحداً أو صوتين

(٣) اقرأ مقال « تعبير اوربي في العربية الحديثة ص ٢٣٩ من كتاب دراسات في اللغة للدكتور ابراهيم السامرائي سنة ١٩٦١ » .

قربي المخرج ، وأن عين الكلمة ولام الكلمة قد يكونان صوتا واحدا وهو ما عرف باسم « التضييف » ولكنما لا يكونان متقاربي المخرج . وتطيقا لهذه النظرية تحكم بأن الكلمات التي تنتهي بـ دال و زاي مثل « مهندز » والكلمات التي تجمع فيها الصاد والجيم مثل « جص » ليست عربية الأصل لأنها خالفت القاعدة المذكورة . وكذلك تحكم بعدم عربية الألفاظ التي لا تتفق مع الأوزان العربية المعروفة مثل ابراهيم وجبريل . وستعرض من الآن بعض الأمثلة التي تأثرت فيها الكلمات المقتضية باللغة ، ثم ننتهي إلى ذكر بعض الأمثلة لتأثير الكلمات المقتضية في اللغة .

نضرب هنا مثيلين من اللهجة العراقية ومثلا من اللهجة المصرية .

١ - في اللهجة العراقية (فعل) « فوَّل » بمعنى « ملأ السيارة بالبنزين » وليس هذا اللفظ عربي الأصل ، ولكنه مأخوذ عن اللفظ الانكليزي (full) أو (fuel) وال الأول بمعنى « ملي » والثاني بمعنى « وقود » . وعلى أي الفرضين نرى أن العربية قد قالت هاتين الكلمتين على مادة الفعل . الثلاثي المعتل العين باللام مثل « قال » التي منها « قل » . وهي تناسب في الوزن . (full) ثم طبقت على هذه المادة (ف . و . ل) قاعدة الزيادة بتضييف عينها ، فاشتقت منها الفعل « فَوَّل » على قياس « صَوَّب » من « صاب » . واشتقت منها كذلك الصيغ الأخرى كالضارع والأمر . . الخ .

هنا خضعت الكلمة المقتضية لقواعد الزيادة والاشتقاق العربية ، كما تمثل في اللهجة العراق .

٢ - من المعروف أن اللهجة العراقية لا تقبل أن تبدأ الكلمة بثلاثة سواكن « او بعبارة أخرى لا يوجد في العراقية المقطع (سس سح) او (سس سس سح) » . وقد اقتضت اللهجة الانكليزية لفظ .

(spring) وهو يبدأ بثلاثة سواكن هي « س ت ر » وقد طبقت العراقية على هذه الكلمة المقترضة نظامها المقطعي ، حين زادت حركة الكسرة بعد السين فصارت الكلمة في العراقية « سِبِّرْ نِجْ » بكسر السين ٠ وبهذا أصبح تقسيمها المقطعي هكذا (س + كسرة + ب) أو (س ح س) و (ر + كسرة + ن + ج) (س ح س س) وهو نظام مقطعي مقبول في العراقية ٠

٣ - شاعت في اللهجة المصرية عبارة « بلادي فول » في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى والثانية ٠ وكانت تستعمل للسباب ، وقد وجد أن هذه العبارة تستعمل بصفة خاصة بين عمال المعسكرات البريطانية ٠ وهي في الواقع تحريف للعبارة الانجليزية (bloody fool) التي تستعمل في السباب ٠ ويلاحظ هنا وجود شبه صوتي بين لفظ (blood) الانجليزي ولفظ « بلاد » المصري ٠ ولفظ (fool) الانجليزي ولفظ « فول » المصري ٠ كما أن هناك شبهًا آخر بين مدلول هذه العبارة الانجليزية (فهي تستعمل لوصف شخص بالباء) وبين ما يشير إليه لفظ « فول » حيث أن المعروف أنه غذاء للحمير ، والحمير مثل للباء في المصرية ٠ وعلى هذا فإن وصف الشخص بأنه من بلاد تأكل الفول ، يمكن أن يفهم بأنه وصف له بالباء ٠ ومن أجل هذا الشبه في الصوت والدلالة افترضت العبارة الانجليزية بعد أن خضعت لهذا التحليل اللغوي المصري ٠

تحدث الآن عن تأثير الافتراض في تركيبات اللغة وسنمثل له بما يأتي :-

« استعمال اللاصقة التركية » « جي » في النسب في اللهجة المصرية والعراقية في مثل « جز مجي » و « عرْ بجي » في المصرية و « عربانجي » في العراقية ، مع ملاحظة اختلاف نطق « الجيم » في المصرية عنها في العراقية ٠ وهذا يعني الاتساع في قواعد النسب المعروفة في العربية بحيث

يصبح للنسبة في هاتين اللهجتين اداتان هي « جي » أو « الباء » وحدتها .
ويلاحظ في المصرية أن النسبة باللاصقة التركية يشيع في الألفاظ التي
تدل على حرفه ذليلة القدر مثل « طرشجي » و « جزجي » أما الألفاظ
التي تدل على حرفه ذات مكانة عالية فلا تستعمل فيها هذه اللاصقة .

ـ يطلق بعض التجار في مصر على متاجرهم عبارة مثل « اسلام اخوان » بدلا
من « اخوان اسلام » أى بتقديم المضاف إليه على المضاف . وهم هنا متأثرون
بمثل التركيب الانجليزي (Smith Brothers) وقد شاهدت على بعض
لافتات القاهرة عبارة « افريينو اولاد عم » بدلا من « اولاد عم اوينو » .

ـ في اللهجة العراقية أمر شبيه بما حدث في اللهجة المصرية يظهر في
الامثلة « خوش رجال » و « فلان يوم » و « غير شى » ولنعالج هذه الامثلة .

المعروف ان الكلمة « خوب » تعني بالفارسية « طيب » . ويلاحظ أن
هذه الكلمة تستعمل في اللهجة العراقية في مثل العبارة « خوب ايش تريد »
أى حسنا . ماذَا تَرِيد ؟ ويمكن بناء على هذا ان نفترض ان « خوش » هي
« خوب » مع ابدال الباء الأخيرة شيئاً و هذه الشيئ هي الصيغة المخففة لكلمة
شيء العربية ، التصقت باللفظ الفارسي ، وادغمت الباء فيها كما التصقت
باللفظ « كشن » العراقية و « ما هو » المصرية في اللفظ « ما هشن » . وبعد
هذا الالتصاق استعملت « خوش » في العراقية صفة . ولكن الذي يلفت
النظر انها تسبق الموصوف على خلاف القاعدة العربية السائدة في اللهجة
العراقية ، والتي تتطلب ان تتأخر الصفة على الموصوف . ولهذا تقول
« خوش ولد » فاذا استعملت صفة عربية مثل « طويل » أو « كريم » تأخرت
الصفة فقلت « ولد طويل » لا « طويل ولد » .

وتفسير هذا أن العراقية حين افترضت هذا اللفظ ، واستعملته
افتراضت معه قاعدة تقديم الصفة على الموصوف عند استعمال هذا اللفظ
بالخصوص .

وعلى هذا الاساس يمكن تفسير عبارة «فلان يوم» وفيها نجد أن الصيغة العراقية قد خالفت العربية في أمرين :-

١ - استعمال لفظ «فلان» لغير العلم ، حيث أن العربية تستعمله بدلًا من استعمال اسم الشخص فنقول «فلان بن فلان» والعربي لا تستعمل «فلان» وصفا الا بعد اضافة ياء النسب اليه فنقول «اليوم الفلاني» ٠

٢ - مثل هذا التركيب لا يمكن أن يكون الا صفة تقدمت على موصوفها أو مضافا ومضافا اليه ٠ وهنا لا يتحقق معنى الاضافة ويتحقق معنى الوصفية ٠ وهذا يعني ان الصفة تقدمت على موصوفها ٠ ويمكن تعليل ذلك بأن العراقية قد تأثرت في هذا بعض اللغات غير العربية التي تستعمل (فلان) صفة تقدم على موصوفها كالكردية مثلا ٠

أما (غير شيء) فان معناها يحتم أن تكون (غير) صفة مقدمة لشيء ٠ وهي هنا تشبه التعبير الانكليزي (another thing) ٠ وقد يمكن تفسير تغيير نظام ترتيب الكلمات في هذا المثال بما ذكرناه سابقا من أنه تأثر بلغة افترضت هذا التعبير من العربية ، وفيها تقدم الصفة على الموصوف ٠ ثم جاءت العراقية فقلدت هذا التركيب فقدمت الصفة على الموصوف ٠

كذلك نشير في النهاية الى نوعين من القرص الملغوي ، اولهما قرض اللهجات من اللغة الفصحى ، وثانيهما ما نسميه بالقرص المركب ٠ اما قرض اللهجات من اللغة الفصحى فأمر شائع في اللهجات العربية المعاصرة ٠ وذلك لأن ازدياد التعليم جعل اللغة الفصحى في متناول أغلب الطبقات وخاصة في العاصمة ٠ ولهذا نجد بعض العبارات العربية الفصحى تشيع على ألسنة العامة في العاصمة والمدن مثل (كذلك) (ولهذا السبب) (اما ان) ولم تكن من قبل من عباراتهم وقد يتسبب هذا النوع الحديث من القرص في أحداث لفظين مختلفين في اللهجة العامية من مصدر لغوي واحد ٠

ولدي هنا مثلاً واحد من اللهجة المصرية والآخر من اللهجة بغداد .

١ - في المصرية يوجد لفظ (فرد) وهو ينطق بأصوات رقيقة

لا تفخيم فيها ويستعمل في عبارات (جوز وفرد) و (فردة حمام) و (فرد)
بمعنى مسدس ذي طلقة واحد . ويدخول مصر في عهدها الدستوري
المجديد ترجم بعض المتقفين العبارة الانكليزية (Right of Individual)
عبارة (حق الفرد) . ونطق لفظ (فرد) هذه المرة مفخماً حسب النطق
الفصيح الجاري على ألسنة المصريين . وقد شاع هذا اللفظ بصورةه المفخمة
في اللهجة المصرية المعاصرة في العبارات السياسية مثل (الفرد والجماعة)
و (حق الفرد) ، أما لفظ (فرد) غير المفخم فقد ظل موجوداً ولكنه بمعنى
« واحد » . ولا يعني بالضرورة ما يدل اللفظ الانجليزي عليه^(١) .

٢ - المعروف عن اللهجة العراقية أنها تجعل القاف العربية جيماً غير
معطشة مثل الجيم القاهرية . ولذلك فإن كلمة (ورقة) الفصحي تنطق
في العراقية هكذا (وَرَگَه) ، ثم شاع التعليم فأخذت العراقية من العربية
لفظ (وَرَقَة) واحتفظت بالنطق الفصيح وصار في العراقية لفظان من
مصدر تاريفي واحد أحدهما (وَرَگَه) وتعني ورقة الشجر والآخر
(وَرَقَة) وتعني ورقة الكتابة .

واما الفرض المركب فهو أن تفترض لغة ما لفظاً من لغة اخرى .

وبعد مرور الزمن تفترض اللغة الأخرى نفس اللفظ الذي افترضته منها .

ومثال ذلك لفظ (ترسانة) في المصرية ويقصد به مصانع اصلاح السفن
والقاطرات وهو مأخوذ من اللفظ الانكليزى (arsinal) وهذا اللفظ
في الانجليزية مأخوذ من اللفظ العربي (دار الصناعة) .

ومثل لفظ « كواifer » الذي أخذته اللهجات العربية الحديثة عن

اللغات الاوربية مع أنه في الاصل مشتق عن « كوفية » اي غطاء الرأس .

(١) « فرد » المفخمة تستعمل للانسان فقط ولا تثنى ولا تجمع

ولا تؤنث ، يعكس « فرد » غير المفخمة .

ثالثا

التركيب

أولاً - بناء الكلمة

قواعد اللغة هي النظم التي تسير عليها في تكوين مفرداتها وترافقها . وقد جرى اصطلاح العرب على تسمية القواعد الخاصة بناء الكلمة بعلم الصرف . والقواعد الخاصة بتركيب الجمل بعلم النحو .

قواعد اللغة أشبه بالرسم التخطيطي الذي يقدمه المهندس إلى البناء ليبين له الطريقة التي يرتب بها الوحدات التي تسمى بالجدران حتى تسير غرفا ذات شكل معين ، والطريقة التي ترتب بها الغرف بعضها إلى جوار بعض تسير دارا ذات شكل معين . وعليها أولاً أن تعرف ما تريده هنا بلفظ وحدات قبل أن تعالج بالدراسة بناء الكلمة .

الفرد والنوع والجنس

يقرر علم المنطق أن الكون مكون من أفراد ، فانت فرد وأنا فرد آخر وهذا فرد ثالث . ولكننا جميعا ب رغم اختلاف كل منا عن الآخر نكون نوعا من الانواع يسمى بالانسان . والبقرة التي في بيتك فرد والبقرة التي في بيتك جارك فرد آخر والبقرة التي ارهاها تسير أمامي فرد ثالث وهكذا ، ولكن كل هذه الأفراد تجتمع في نوع يسمى البقرة . كذلك تتكون الانواع التي تسمى بالمحمار وبالحصان وبالشاة النخ من أفراد كل منها مستقل عن الآخر . وهذه الانواع كلها تكون جنسا يشملها جميعا هو الحيوان ، فالانسان نوع من انواع الحيوان والبقرة نوع آخر والحصان نوع ثالث وهكذا . وهذا التقسيم إلى فرد ونوع و الجنس ينطبق كذلك على موضوع دراستنا .

الصوت والصوتيم

لو نطقت أنا بالتون العربية في الكلمة « نار » ونطق آخر بها لكن

لدينا فرداً من افراد النوع الذي يسمى «النون في أول الكلمة» ولو نطق كل منا بالنون التي قبل الكاف في الكلمة «انكتب» لكن لدينا فرداً من نوع آخر من انواع النون • والنوع الاول مختلف عن الثاني ، فالاول صوت (لثوي انفي مجهور) أما الثاني فصوت (لهوي انفي مجهور) • ولاجل هذا الفرق الواضح بينهما قلنا بانهما نوعان مختلفان من النون • أو بعبارة أخرى فان النون جنس يتدرج تحته انواع • ويسمى هذا الجنس (بالصوتيم) أما كل نوع من الانواع التي يشملها فانتا نسميه بالصوت • وهكذا يمكن ان نقول بان الصوتيم (ن) جنس يتدرج تحته انواع هي الاصوات الآتية :-

- ١ - النون في أول الكلمة مثل النون في « نار »
- ٢ - النون قبل الكاف مثل النون في « انكتب »
- ٣ - النون قبل الياء مثل النون في « ان يكن »

النخ

والصوتيم « ج » كذلك تشمل الانواع - أو الاصوات الآتية :-

« الجيم » في أول الكلمة وهي صوت صلب انفجاري مجهور ، والجيم في آخر الكلمة وهي صوت صلب انحباسي مهوس (في بعض اللهجات العربية) والجيم قبل النون وهي صوت انفي مجهور وهكذا ..

وكل صوت من هذه الاصوات يشمل افراداً لا حصر لها كالجيم في الكلمة « جمل » وكلمة « جلال » وكلمة « جبل » النخ ..

وجميعها افراد للصوت الذي يسمى « الجيم في أول الكلمة » وكالجيم في الكلمة « لحج » وكلمة « موج » وكلمة « عوج » النخ وجميعها افراد للصوت الذي يسمى « الجيم في آخر الكلمة » وكالجيم في « اجناس » .. وكلمة « اجنبى » وكلمة « مجنون » وكلها افراد للصوت الذي يسمى

• الجيم قبل النون « الخ •

ونحن حين نكتب وحين تكون المفردات لا تفرق بين هذا النوع من الجيم أو ذاك ، اذ اتنا نكتبها جميعا بنفس الطريقة رغم الاختلاف بين نوع وأخر في النطق •

أو بعبارة أخرى فاننا نكتب الصوتيمات (الوحدات الصوتية) لا الا صوات •

الصرفيم :-

تعني بالصرفيم الوحدة الصرفية • وهي جنس كذلك مثل الفاكهة المسماة « بر تعال » و الجنس البر تعال يشمل انواعا مختلفة ، مثل الصوتيم الذي يشمل كذلك اصواتا مختلفة •

ومثال الصرفيم وزن « افتعل » و له أنواع منها :-

١ - النوع الذي يكون فاء الكلمة فيه ساكنا مفخما وهو « افطعل »
بالطاء لا بالباء مثل « اصطحب » و « اصطبر » الخ •

٢ - النوع الذي يكون فاء الكلمة « زاء » وهو « افدع » بالدال
لا بالباء مثل « ازدهر » : و « ازداد » الخ •

٣ - النوع الذي لا يكون فيه فاء الكلمة ساكنا مفخما أو زايا وهو
« افتعل » مثل « افتح » الخ •

ويجب أن نذكر أن الصوتيم لا يحمل اي معنى بمفرده فالهمزة أو الجيم أو العين لا تدل على شيء بعينه ولكنها تدل على المعاني اذا وجدت في مجموعات معينة • ومثال ذلك المجموعة (ك + فتحة + ت + فتحة + ب) وهي تدل دلالة مركبة من حدث و زمن و غيره و تذكير و افراد •

وليس من الممكن ان توزع اجزاء هذه الدلالة المركبة بين الصوتيمات

التي تكون المجموعة فيقال بان الحدث دلالة خاصة بالكاف والزمان دلالة خاصة بالفتحة الخ لأن هذه الدلالة المركبة لا تفهم الا من المجموعة كلها على هذا الترتيب بحيث لو نقص احدها او اختلف ترتيبها لاختل المعنى ومثل هذه المجموعة من الصوتيات تسمى كلمة ٠

ولكن هناك كلمات ذات دلالة مركبة يمكن ان يختص أحد صوتياتها او مجموعة منها بجزء من دلالتها ، مثل الكلمة (كتب) والكلمة (اكتب) فان الدلالة على المتكلم المفرد ترتبط بوجود الناء الاخيرة في الكلمة الاولى والهمزة في الكلمة الثانية ٠ ومثل (ون) في الكلمة « مسلمون » ودلالة الجمع المذكر خاصة بالواو والنون ومثل (هل) في الولد ودلالة التعريف خاصة بها دون بقية الكلمة ٠

مما سبق يتضح ان الكلمات « اكتب » و « كتب » و « مسلمون » و « الولد » تشتراك في ظاهرة تقسيم دلالتها المركبة بين اجزائهما ، ومعنى هذا ان تركيب هذه الكلمات ليس مجرد تركيب صوتي بل ان هناك تركيبا آخر يسمى التركيب الصرفي ، وهو تركيب الكلمة من اجزاء ذات مدلول ٠ وكل جزء من هذه الاجزاء ذات المدلول يسمى بالصرف (morpheme)

والصرف على قسمين - حر ومقيد - والصرف الحر هو جزء الكلمة الذى يمكن استقلاله بنفسه مكونا كلمة ، أما المقيد فهو الجزء الذى يتحتم اتصاله بسواه ٠ واليكم بعض الامثلة :-

- ١ - مسلمون - تتكون من صرفين - (مسلم) وهو صرف حر و (ون) وهو صرف مقيد ٠ ومثل (الولد) وتتكون من (هل) و (الولد) ٠
- ٢ - اكتب تكون من مجموعة من الصرفين المقيدة هي الهمزة

التي تدل على المتكلم والمادة والوزن . وستحدث عن هذين الاخرين فيما

بعد .

٣ - عليه - تتكون من صرفيين مقيدين (على) ولا تستعمل مستقلة
والهاء المكسورة ولا يمكن استعمالها مستقلة كذلك .

اللصق :-

لاحظنا ان الصرفي المقيد لا يوجد مستقلا بل لا بد من اتصاله - اي
لصقه بسواء من الصرفيمات . ويسمى الصرفي المقيد لاصقة اما الصرف
الحر الذى يتصل به فيسمى بالاساس ، فالكلمة مسلمون تتكون من الاساس
(مسلم) ومن الاصقة (ون) . وقد تكون الاصقة في الاول فسمى
سابقة مثل (ال) في (الولد) . وقد تكون في الآخر فسمى لاحقة مثل
(ون) في (مسلمون) .

وقد يكون اللصق قائما بين صرفيين مقيدين مثل (عليه) . وقد
يكون بين اساسين . وهذا النوع الاخير من اللصق احدى الوسائل التسي
تستعملها بعض اللغات في زيادة مفراداتها ، حيث يمكن بواسطته أن تولد
من الكلمة الواحدة عددا من الكلمات . والتوليد بهذه الطريقة شائع في
اللغة الانجليزية أكثر من شيوعه في العربية . وفي الانكليزية عدد من
السوابق منها :-

١ - Un و Im و In للنفي مثل :-
incomplete — impossible — unlucky

٢ - pre بمعنى (قبل) مثل pre arrange
والاساس فيها :- arrange بمعنى يرتب ، والسابقة
pre بمعنى من قبل .

٣ - pro بمعنى « متحيز » و anti بمعنى « متحيز ضد »
anti arab مثل proarab اي مناصر للعرب و
اي خصم للعرب . والاساس في الكلمتين arab بمعنى عربي .

أما اللواحق فمنها في الانجليزية كثير ايضا مثل :-

1 - eater للدلالة على فاعل الحدث مثل eat والاساس فيها آكل .

2 - ing ed للدلالة على المضى مثل walked و walk للدلالة على الاستمرار مثل walking والاساس فيهما speechless less بمعنى « بدون » مثل speech والاساس فيها speech بمعنى كلام .

وستعمل الانجليزية واللغات الاوربية عامة طريقة اخرى من طرق اللصق هي لصق اساسين أو اكثرا لاتتج الكلمة ثلاثة مثل frogman معنى (غواص) وهي مكونة من man معنى ضفدعه و frog معنى رجل .

ومثل هذه الطريقة لا تسع في اللغة العربية ولهذا يترجم هذا النظم الانجليزي الى العربية بالصفة والموصوف فنقول (الرجل الضفدع) .
وستعمل اللغة الالمانية هذه الطريقة على نطاق واسع لتكوين ما يسمى فيها بالاسماء المركبة . كما تستعمل اللغات الاوربية هذه الطريقة لابتكار مسميات للمخترعات الحديثة مثل :

telephone و telegraph وهما مكونتان من الاساس graph و phone معنى صوت في الاولى و automobile معنى كتابة في الثانية . ومثل auto و autograph معنى توقيع . وفيهما الاساس mobile معنى ذاتي ، و graph معنى متحرك و mobile معنى كتابة .
والتركيب المزجي الذي يشير اليه النحاة أحيانا في سببويه وبعلبك و خمارويه الخ من هذا النوع من اللصق . وقد نقلت هذه الكلمات على حالها هذا من لغات أخرى الى العربية . وعن اللصق ايضا تجت الكلمات كتبخانة وبنزيخانة . وال الاولى من أساسين (كتب) العربية .

و (خانة) التركية . والثانية من (بنزين) الانجليزية و (خانة) التركية .
وعنه ايضا تجت الكلمات (عربجي) و (طرشجي) و (جزمجي) .
وت تكون من الاساس «عربة» و «طرشى» و «جزمة» واللاصقة (جي)
التي تفيد النسب ، وقد اخذت من التركية وحرف نطقها في المصرية فنقطت
بالجيم القاهرية . بينما توجد في اللهجة العراقية مع نطق الجيم صوتا
انجليزيا صلبا مهوسا .

الوزن او النموذج الصرفي

لو قارنا الكلمات العربية (كتب) و (يكتب) (كتابة) (كتاب)
(مكتوب) الخ لوجادها جميما تشارك في شيئا اولهما وجود
الصويمات كـ ت ب بهذا الترتيب والثاني دلالة هذه المجموعة من
الصويمات . ولن تكون بعيدين عن الصواب اذا قلنا بان الكلمات التي
توجد فيها هذه الصويمات بهذا الترتيب تحتوي على هذه الدلالة المعينة
مثل كلمة (كتاب) و (مكتبة) و (كتاب) الخ . وتسمى هذه
السواكن الثلاثة (ك . ت . ب) مادة قاموسية . ولو قارنا الكلمات (كتب -
اخذ - ترك) الخ لوجادنها تشارك كذلك في امرین احدهما الحركات
التي بعد السواكن وهي (فتحة فتحة فتحة) وثانيهما دلالة معينة هي وقوع
حدث في زمن مضى من مفرد مذكر غائب . وهذه الدلالة المعينة مرتبطة
بهذه الحركات . والامر كذلك بالنسبة الى (كتب - وفهم - وترك)
اما (مكتوب ومفهوم ومتراك) فانها لا تشارك في الحركات فقط بل في وجود
ميم مفتوحة في اول الكلمة . او بعبارة اخرى اننا نجد الى جانب المادة التي
ت تكون منها الكلمة مجموعة من الحركات ، او السواكن والحركات وهذه
المجموعة تسمى بالوزن .

وعلى هذا فانه من الممكن تقسيم الكلمة في العربية الى قسمين (مادة)
و (وزن) واليک امثلة لهذا التقسيم :-

١ - الكلمة معلوم - المادة ع لم ٠ الوزن (فتحة × × ضمة طويلة ×)
وكل من هذه العلامات (×) يشغل مكاناً يشغلها في الكلمة أحد
صوتيات المادة فمكان العلامة الأولى يوجد الصوتيم (ع) ومكان الثانية
(ل) ومكان الثالثة (م) ٠

٢ - الكلمة كتب - المادة كتب والوزن (× فتحة × فتحة ×
فتحة او سكون) ومكان العلامة الأولى يوجد «ك» ومكان الثانية «ت» ومكان
الثالثة «ب» ٠

٣ - الكلمة أشرب - المادة شرب والوزن (همزة × فتحة ×
فتحة × باء فتحة او سكون) ومكان الاولى (ش) ومكان الثانية (ر) ومكان
الثالثة (ب) ٠

ولعلماء اللغة العرب طريقة خاصة في ذكر الأوزان وهي وضع (ف)
مكان الصوتيم الأول من المادة ووضع (ع) مكان الثاني و (ل) مكان الثالث
بدلاً من طريقة وضع العلامات التي استعملناها ٠ وبهذا يكون وزن «علوم»
هو «مفهول» وزن «كتب» هو « فعل» وزن «أشرب» هو «أ فعل» ٠
وهذا النوع من التحليل ينطبق على اللغات السامية وحدها ومن
بينها العربية ٠ أما اللغات غير السامية فليس لها مواد وأوزان مثل العربية
بل أنها تقف عند حد الأساس واللواسق ٠

التبادل:

لتأخذ على سبيل المثال الصيغة التي نعرفها باسم صيغة الفعل الماضي
محاولين تحليلها وفقاً لهذا النهج الذي تتحدث عنه ٠ ولنبدأ بالمثال «أخذ» ٠
هذا المثال يتكون من صرفي الماده وهو (ء خ ذ) وصرفين الوزن وهو
فتحة بعد الهمزة وفتحة بعد الخاء وفتحة بعد الذال عند اتصال الكلام أو
سكون عند الوقف ٠ وبيانه لهذا الصرفي بهذه الرمز

العلامة (×) تشير الى أحد أصوات المادة أمـا العـلـامـة (–) عـنـدـمـا تـوـضـعـ فـوـقـ الـخـطـ فـاـنـهـ تـشـيرـ إـلـىـ الـفـتـحـةـ ،ـ أـمـاـ إـذـاـ وـضـعـتـ تـحـتـ الـخـطـ فـاـنـهـ تـشـيرـ إـلـىـ الـكـسـرـةـ ،ـ كـمـاـ أـنـ وـضـعـ الـفـتـحـةـ وـالـسـكـونـ دـاـخـلـ قـوـسـينـ يـعـنـيـ أـنـ آـخـرـ الـكـلـمـةـ يـقـبـلـ أـحـدـ هـاـتـيـنـ الـعـلـامـيـنـ طـبـقـاـ لـكـوـنـهـ فـيـ آـخـرـ الـكـلـامـ أـوـ فـيـ وـسـطـهـ •

أما «فهم» فإنها تتكون من صرفي الماء (ف ه م) و صرفي الوزن.
- x (°) كما تكون «كرم» من صرفي الماء «كرم» و صرفي.

الوزن \times - \times و \times (°)

وحتى يتضح الفرق بين هذه الكلمات الثلاثة نضعها على هذا الوضع :

أخذ = (ءَخَذَ) $\times - \times - \times$ [(فعل)]

فهم = (فَهَمَ) $\times - \times$ [(فعل)]

والمعنى الذي يتصل بصرف المددة هو الحدث المجرد ٠ وهو معنى يوجد حينما وجدت مجموعة من هذه الاصوات بهذا الترتيب بصرف النظر عن الحركات والسوائل التي تفصل بينها ، ففي الكلمات «أخذ» ، «يأخذ» ، «مؤخذة» ، «أخذ» ، «آخذ» ، «مؤخوذ» السخ نجد الاصوات التي يتكون منها الصرف (سخ ذ) على ترتيب معين فيها جميعا ٠ كما أن بين هذه الكلمات اشتراكاً دلائلاً هو الذي نسميه بحدث «الأخذ» ، وما يقال عن «أخذ» يقال أيضاً عن «فهم» و «فأهم» و «مفهوم» و «استفهم» و «استفهام» السخ وعن «كرم» و «أكرام» و «مكرم» و «كريم» السخ ٠

• وقاموس اللغة هو المترجم الذي يحدد لنا معانٍ صرفيّة المادّة ..

أما صرفي وزن ، فانتا نلاحظ في الامثلة الثلاثة السابقة أمرين
 أولاًهما اتحادها جمياً في أداء معنى معين هو مثلاً المضي والتذكير والافراد .
 وثانيهما اختلافها في الصيغة ، فالحركة التي بعد الاصل التالي من الكلمة
 فتحة في الحالة الاولى وكسرة في الثانية وضمة في الثالثة .
 وهذا يعني أنه بالرغم من اختلافها في الصيغة فانها جمياً تتحد في
 مدلولها .

ونتهدج أن أي واحد من صرفي الملادة يتزوج مع واحد من هذه
السلالات ولا غير، فبعض المواد مثل «ض رب» و «ش رح» و
«ن ظ ر» الخ يأتي على صرفي الوزن [x - x - x[َ]] (فعل) .
وبعض المواد مثل «ع ل م» و «س م ع» و «ت م ل» الخ يأتي
على صرفي الوزن [x - x - x[َ]] (فعل) . وبعضها مثل

ـ (ع ظ م) و (ق د ب) يتأتى على صرفه الموزن
ـ [$\times - \times \times$] ^ـ (فَعْل) ـ

ومن أجل هذا يمكن القول بأن كلا من صرفيمات الوزن هذه يتبادل مع الآخر حيث أنه لا بد من وجود واحد منها مع صرفيم الماء .
بعد هذا نستطيع القول بأن الصيغة التي نسميها « صيغة الماضي المفرد المذكر » تتكون من :

الساده + احد التبادلات $\left[x - x \right] \left(فَعَل \right)$ ،
 $\left[x - x \right] \left(فَعَل \right) ، x - x \text{ و } \left(فَعَل \right)$

* * *

كذلك نلاحظ أن صرفي المادة قد يحافظ على أصواته كما في الأمثلة

السابقة أو لا يحافظ . وذلك اذا كان أحد اصواته واو أو ياء أو همزة الخ . فمثلا الصرفين (وع د) توجد كل اصواته في (وعد) و (وعد) و (موعد) ولكنها لا توجد جميعا في (عد) و (يعِد) حيث سقطت الواو . وهكذا يمكن أن نقول بأن صرفي الماء ايضا يتكون من تبادلات ويمكن اجمال القول على هذا النحو .

١ - صرفي الماء وهو يشمل التبادلات الآتية :

- أ - (س س س) مثل (ض رب)
- ب - (وس س) مثل (وع د)
- ج - (س وس) مثل (ق ول)
- (س س و) مثل (درج و)
- الخ .

٢ - صرفي الوزن وهو يشمل التبادلات الآتية :

- أ - [× - × - × ()°] كما في الكلمة (ضرب)
- ب - [× × - × ()°] كما في الكلمة (فهيم)

- ج - [× - × و × ()°] كما في الكلمة (كرم)

التكامل

لو تأمننا الفعل « ضرب » والفعل « ضرب » ، المبني للمجهول لوجدنا مضارع الاول والوصف المشتق منه يختلفان عن مضارع الثاني والوصف المشتق منه على هذا النحو :-

- أ - ضرب يضرب ضارب
- ب - ضرب يُضرب مضروب

في الحالة « أ » يقال بان وزن « فعل » و « فاعل » أو زان تتكامل في

مجموعة واحدة وأن « فعل » في الحالة « ب » تتكامل مع « يفعل » .
و « مفعول » في مجموعة أخرى .

كذلك يقال بأن وزن « فعل » قد يتكامل على أحدي الطرق الآتية : -

أ - « فعل » « يفعل » « أفعل » الخ مثل
ضرب يضرب اضرب .

ب - « فعل » « يفعل » « عمل » الخ مثل
أخذ يأخذ خذ .

ج - « فعل » « يفعل » « أفعل » الخ مثل
كتب يكتب اكتب .

د - « فعل » « يفعل » « افعل » الخ مثل
فتح يفتح افتح .

كما أن وزن « فعل » قد يتكامل باحدى الطرق الآتية : -

أ - « فعل » « يفعل » « أفعل » الخ مثل
فهم يفهم أفهم .

ب - « فعل » « يفعل » « افعل » الخ مثل
حسب يحسب احسب .
الخ .

أما وزن (فعل) فإنه يتتكامل على النحو الآتي : -

أ - « فعل » « يفعل » « افعل » مثل كرم يكرم اكرم .
وعلى هذا النحو سار علماء الصرف العرب وكانتوا على قدر كبير من
الدقة في بيان الأشكال التصريفية المتبدلة والمتكاملة ، ولم يتورطوا في هذا
الجانب من جوانب دراستهم في تأوييلات أو تقديرات كذلك التي وقعوا فيها
في باب الابدال والاعلال أو التي يقع فيها النحاة دائمًا عندما يتوولون
ويقدرون .

ثانياً - تركيب الجمل

يؤخذ مما سبق أن الكلمة عبارة عن صرفي حر أو مجموعة من الصرفيات التي ترتبط بعضها بعض بطريقة اللصق والتي تكون مجتمعة صيغة حرة . ومثال النوع الأول « ولد » وهي صرفي حر ، اي صرفي يمكن أن يستعمل وحدة لافادة معنى كامل . ومثال النوع الثاني « عليه » وهي مكونة من صرفين مقيدين ، و « مسلمون » وهي مكونة من صرفي حر حر « مسلم » و صرفي مقييد (ون) ، و « المسلمين » وهي مكونة من صرفي حر « مسلم » و صرفي مقييد يستعمل سابقة للصرفين الحر « ال » و صرفي مقييد آخر يستعمل لاحقة للصرفين الحر « ون » .

وقد يستفاد المعنى الكامل من الكلمة واحدة ، مثل « أكتب » وقد يستفاد من مجموعة من الكلمات مثل « كتب محمد » . ووضع الكلمات بعضها بجوار بعض لافادة المعاني المختلفة ليس أمراً مطلقاً ، بل أنه يخضع لقواعد معينة هي التي تسمى بقواعد تركيب العبارات أو علم النحو .

ووضع الكلمات بعضها بجوار بعض يعتمد على نوع الكلمة لا على الكلمة ذاتها . فالتركيب الذي يطلق عليه اسم « جملة فعلية » لا يهم أن تكون الكلمة الأولى فيه « قام » أو « خرج » أو « أكل » أو « يقوم » أو « يسافر » الخ وأن تكون الكلمة الثانية « محمد » أو « الفرس » أو « هذا » الخ . بل المهم أن تكون الأولى من النوع الذي يسمى بالفعل أو اسم الفاعل مثلاً وأن تكون الثانية من النوع المسمى بالعلم أو اسم الإشارة الخ . ولهذا فمن الضروري قبل دراسة التركيبات أن نحدد أنواع المختلفة التي تتسمى إليها الكلمات .

أنواع الكلمات :

يمكن تقسيم الكلمات إلى أنواع حسب صفاتها المادية أو حسب

وجودها في مكان خاص من تركيب بعينه ، فمثلا الكلمة « ولد » أو « بنت » أو « طائر » تتميز بقبول السابقة « ال » فتصير « الولد » أو « البنت » أو « الطائر » . ومثل « كتب » و « لعب » و « سافر » وهي تتميز بقبول اللاحقة (ت) فتصير « كتبت » و « لعبت » و « سافرت » . كذلك يمكن أن يقال بأن من مميزات الكلمات « ولد » و « بنت » و « طائر » إمكان كونها **الجزء الأول أو الثاني من التركيب المسمى بالإضافة** فيقال « كتاب الولد » أو « ولد محمد » .

ولكن الكلمات « هذا » و « الذي » يمكن أن تكون **الجزء الثاني من هذا التركيب** فيقال « كتاب هذا » و « كتاب الذي في المنزل » ولا يمكن أن تكون **الجزء الأول** : وباحدى هاتين الوسعتين أو بهما معا يمكن تقسيم الكلمات إلى انواع لا باعتبار دلالاتها بل باعتبار الصفات المادية في العبارة نفسها . **واليك الآن بعض أنواع الكلمات في العربية الفصحى والمميزات المادية لكل منها :**

١ - **ولد** ، **بنت** ، **كرسي** وهذا نوع يميز بقبول « ال » **وامكان كونه الجزء الأول أو الثاني من العلاقة** تسمى بالإضافة مثل « **بنت محمد** » و « **كتاب بنت** » .

٢ - **ضارب** ، **متكلم** ، **مستغفر** وهذا النوع يميز باشتقاقه على وزن فاعل أو الاوزان التي تبادل معه وهو يقبل السابقة « ال » **ويصبح أن يكون الجزء الأول أو الثاني من العلاقة المسمة بالإضافة** مثل « **ضارب الكلب** » ، **عصا الضارب** » .

٣ - **مضروب** ، **مكْرَم** وهذا النوع مشتق كذلك من مادة الفعل ولكنه على وزن مفعول أو أي وزن آخر من الاوزان التي

تبادل معه . وهو يقبل « ال » ويصح أن يكون الجزء الأول أو الثاني من العلاقة المسماة بالإضافة .

وهكذا نستطرد في ذكر بقية الأسماء المشتقة ، مع تحديد الصفات الخاصة لكل منها ثم ننتقل إلى ما يأتي :-

٤ - « محمد » « علي » « ابراهيم » ، وهذا النوع لا يقبل اللامنة « ال » الا اذا اتصلت بآخره اللامنة (ان) أو (ون) فلا يقال « المحمد » ولكن يقال « المحمدان » و « والمحمدون » . وهناك كلمات قليلة تابعة لهذا النوع توجد « ال » فيها ولكن لا يصح أن تجرد منها مثل « الحسين » و « الزبير » . (اما « حسين » و « زبير » فهي كلمات أخرى ليس فيها « ال » .)

٥ - « انا » ، و « أنت » و « هو » « الخ . هذا النوع لا يقبل « ال » ولا يمكن أن يكون الجزء الأول أو الثاني من العلاقة المسماة بالإضافة .

٦ - « هذا » أو « هذه » و « ذلك » « الخ ، هذا النوع لا يقبل « ال » ويمكن أن يكون الجزء الثاني من العلاقة المسماة بالإضافة ولكن لا يمكن أن يكون الجزء الأول منها .

٧ - « الذي » و « التي » و « اللذان » « الخ . هذا النوع عبارة عن صرفيات مقيدة لابد من استعمالها قبل جملة تكملها وهو يصح لأن يكون الجزء الثاني من بالإضافة ولا يصح أن يكون الجزء الأول .

٨ - « ضرب » و « أخذ » و « كتب » هذا النوع يشتق من المادة على وزن « فعل » أو أي وزن من الأوزان التي يتبادل معها . ومن مميزاته التحاق التاء الساكنة في آخره للإشارة للتأنيث والتاء المضمة للإشارة للمتكلم والمفتوحة للإشارة للمخاطب .

٩ - « يضرب » و « يأخذ » و « يكتب » هذا النوع يشتق من المادة على وزن « يفعل » أو أي وزن آخر يتبادل معه و يميز بامكان وقوعه مع الصرفيين المقيد « لن » و « لم » الخ .

هذه أمثلة لأنواع الكلمة في العربية الفصحى . ولكن هناك كلمات تمثل حالات متوسطة بين هذه الأنواع مثل « ليس » وهي تقبل التحاقناء التأنيت الساكة بها ولكنها لا تشتق من مادة ما على أحد الأوزان الخاصة بالنوع الذي يقبل هذه التاء . وسبب هذا الاختلاف أن مثل « ليس » و « ليت » من الكلمات التي تمثل حالات متوسطة بين الانواع نتيجة تطور تاريخي اختلفت بسيئه عن الاصل الذي كانت عليه ، فليس كانت في الاصل « لا أيس » ، أي انها كانت مكونة من « لا » النافية وكلمة « أيس » بمعنى « وجود » ثم اتحدت « لا » و « أيس » . في الكلمة واحدة طبقا لظاهره تداخل الصيغ التي تحدثنا عنها . أما « ليت » فقد مر بك كيف أنها كانت في الاصل فعلا . ولهذا تقبل « ليس » دخول تاء التأنيت كالفعل الماضي ولكنها لا تشتق اشتقاقة ، كما تقبل « ليت » دخول نون الواقية مع انها ليست من الافعال ودخول نون النداء مع انها ليست من الاسماء .

العلاقات النحوية :

في التركيب « ضرب الولد » لفظان بينهما علاقة ذات مظهرين . المظهر الاول الصلة الدلالية بينهما و تمثل في وقوع حدث الضرب من ذات الولد . أما المظهر الثاني فيتمثل في كون « ضرب » مشتقة على وزن معين هو الذي يسمى بوزن المبني للمعلوم وانها تؤثر لو كانت الكلمة الثانية مؤثرا ، كما لو كان المثال « ضربت البنت » وفي كون الكلمة الثانية في حالة رفع .

والصلة الدلالية أمر يدرك ولا يظهر في الخارج ، كما انه قد يتغير بـ تغير اللفاظ ذاتها ، فلو قلنا « مات الولد » لما أمكن القول بأن الصلة الدلالية بين اللفظين تمثل في وقوع حدث الموت من الولد ، كما لا يمكن أن نقول بـ وقوع حدث الضرب من الولد في المثال « انضرب الولد » . مع هذا فليس ثمة فرق على الاطلاق من حيث تركيب هذه الامثلة الثلاثة فالكلمة الاولى فيها جميـعاً فعل مشتق على أحد أوزان صيغ الماضي وهي تؤتـم اذا كانت الكلمة الثانية مؤتـمة أما الكلمة الثانية فـانها تحمل كذلك علامة الرفع .

ولأجل هذا فـانـا بالرغم من اعترافـا بـوجود دلالة لكل تركـيب لا نـرى من الاـوفـق أن نـجعل الدلالة أساس دراسـاتـنا التـركـيـة . بل أـنـا نـرى ضـرـورة الـاعـتمـادـعـلـى الصـفـاتـ المـادـيـةـ التيـ يـتـمـيزـ بـهاـ كـلـ تـرـكـيبـ عـنـ سـوـاـهـ .

أجزاء العلاقة :

تـكونـ العلاقةـ التـحـوـيـةـ منـ مـوـاـقـعـ وـعـلـامـاتـ . وـالـمـوـقـعـ هـسـوـ جـزـءـ منـ التـرـكـيبـ المـغـوـيـ يـرـتـبـطـ بـجـزـءـ آـخـرـ اـرـتـبـاطـاـ تـدـلـ عـلـيـهـ بـعـضـ الصـفـاتـ المـادـيـةـ التيـ تـظـهـرـ فيـ الـكـلـمـاتـ التيـ تـشـغـلـ اوـ تـشـغـلـ الجـزـءـ (اوـ المـوـقـعـ) الـذـيـ تـقـرـبـتـ بـهـ . أـمـاـ الـعـلـامـةـ فـهـيـ الصـفـةـ المـادـيـةـ التيـ تـدـلـ عـلـىـ الـعـلـاقـةـ التـحـوـيـةـ القـائـمـةـ بـيـنـ مـوـقـعـيـنـ . وـسـنـوـضـحـ مـاـ نـرـيـدـهـ هـنـاـ بـالـمـثـالـ الآـتـيـ :ـ

لو فـرضـ أـنـ لـدـيـنـاـ جـهـازـاـ مـرـكـبـاـ مـنـ ثـلـاثـةـ أـوـعـيـةـ ، وـعـاءـ مـثـلـ الشـكـلـ وـوـعـاءـ مـرـبـعـ الشـكـلـ وـوـعـاءـ مـسـتـدـيرـ الشـكـلـ ، فـانـ كـلـاـ مـنـ هـذـهـ أـوـعـيـةـ يـشـبـهـ مـاـ نـسـمـيهـ بـالـمـوـقـعـ . وـكـلـ وـعـاءـ مـنـ هـذـهـ أـوـعـيـةـ يـمـكـنـ أـنـ يـوـضـعـ فـيـ أـجـسـامـ تـقـلـامـ مـعـ شـكـلـهـ فـالـوـعـاءـ مـثـلـ الشـكـلـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـوـضـعـ فـيـهـ أـجـسـامـ مـلـبـعـةـ أـوـ مـسـتـدـيرـةـ . بـلـ الـأـجـسـامـ مـلـلـثـةـ ، سـوـاـهـ كـانـتـ هـذـهـ أـجـسـامـ

مصنوعة من الجيس أو الالتيوم أو الحديد وسواء كانت حمراء أو خضراء أو صفراء . . . الخ . والاجسام التي توضع في الاواعية تشبه الكلمات ، فكما أن كل نوع من الاجسام (المثلث أو المربع أو المستدير) يوضع في وعاء خاص فان كل نوع من أنواع الكلمات تحل موقعا خاصا ، فالنوع الذي يسميه بحروف العجزم مثلا لا يوجد الا قبل فعل مضارع والنوع الذي يسمى بالاسم يمكن أن يوجد في الموضع الذي يسميه التحاة موضع الفاعل أو المفعول . . . الخ .

وليس من المهم أن يكون الحرف « لم » أو « لما » أو أن يكون الاسم « محمد » أو « علي » أو « هذا » بل المهم أن يكون من هذا النوع فحسب . وفي الجهاز المذكور لابد من وجود جزء معين بكل وعاء يمكن بواسطته أن يصل بالوعاء الذي يجاوره وقد يكون هذا الجزء مسماً يربط بين الوعاءين ، وقد يكون تنوعا بارزا في أحدهما وتجويفا يوضع فيه هذا التنوء في الوعاء الآخر . والمسمار أو التنوء والتجويف يشبهان العلامة في العلاقة التحوية ، فوزن المبني للمعلوم ، وتأنيث الفعل لتأنيث الفاعل ورفع الفاعل اجزاء من التركيب تجعل كلها من الاسم والفعل صالحان لأن يوجد بينه وبين الآخر العلاقة التي تعرف باسم الاسناد الفعلية .

والى القارئ ، العلاقات التحوية في العربية الفصحى نسوقها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر .

العلاقة (1) وتكون من موقعين :-

الموضع الاول تشغله احدى الكلمات التي تسمى الى النوع رقم « ٨ » أو « ٩ » أو « ٢ » من الانواع التي ذكرناها مثل « ضرب » أو « يضرب » أو « ضارب » والموضع الثاني تشغله احدى الكلمات التي تسمى الى النوع رقم « ١ » أو « ٢ » أو « ٣ » أو « ٤ » أو « ٥ » أو « ٦ » أو « ٧ » .

من الانواع التي ذكرناها مثل « ولد » و « ضارب » و « مضروب » و « محمد » و « انا » و « هذا » و « الذي في البيت » . وبهذا يمكن أن توجد هذه العلاقة في الامثلة الآتية :

« ضرب ولد » و « سافر الضارب » و « سافر المضروب » و « ضرب محمد » و « ضربت انا » و « يضرب هذا » و « خرج الذي في البيت » و « هل ضارب محمد » .

وفي الموضع الاول علامتان ، احدهما ضرورة تأنيث الكلمة التي تقع فيه اذا كانت الكلمة التي تقع في الثاني مؤنثة ثم تأنيتها كونه مشتقا على وزن من أوزان الماضي أو المضارع أو اسم الفاعل (أو ما يساويه من الصيغ كالصيغة الشبهة وصيغ المبالغة) .

وفي الموضع الثاني علامتان ايضا هي تأخره عن الموضع الاول وظهور علامات الرفع فيه .

العلاقة (٢) ، وتكون من موقعين :-

الموضع الاول تشغله أحدي الكلمات التي تتسمى الى النوع رقم « ١ » او « ٢ » او « م » (شرط أن يكون متصلة بأي أو باللاصقة التي تعرف عند النهاية باسم الضمير المتصل أو أن يكون مضافاً (الخ . . .) أو « ٣ » او « ٤ » او « ٥ » او « ٦ » او « ٧ » من الانواع التي ذكرناها من قبل . مثل « ولد » و « الضارب » و « المضروب » (أو ولده أو ضاربه أو مضروبه أو ولد محمد أو ضارب محمد أو مضروب محمد) و « محمد » و « انا » و « هذا » و « الذي في البيت » .

الموضع الثاني تشغله أحدي الكلمات التي تتسمى الى رقم « ١ » او « ٢ » او « ٣ » (دون ضرورة وجود الشرط الذي ذكر لاستعمال هذه الانواع في الموضع الاول) أو « ٤ » او « ٥ » او « ٦ » او « ٧ » من الانواع المذكورة .

وهذه العلاقة توجد في الأمثلة الآتية :

« الولد ضارب » و « الضارب مسافر » و « المضروب مسافر »
و « محمد ضارب » او « أنا ضارب » و « الذي قدِّم ضارب » الخ .
ومثل « أنا أضرب » و « محمد يضرب » الخ .

وقد يوجد في الموقع الثاني « جار ومنجرور » او « ظرف » مثل « أنا
في الدار » و « محمد في الدار » الخ .

وعلامة هذه العلاقة ، هي رفع الكلمة الموجودة في الموقع الاول والكلمة
الموجودة في الموقع الثاني اذا كانت علامة الرفع تظهر عليها ، واتفاق الكلمة
التي في الموقع الاول مع الكلمة التي في الموقع الثاني في الجنس والعدد ،
مثل « فاطمة قائمة » و « والولدان قائمان » .

واذا كانت الكلمة التي تشغل الموقع الثاني من النوع رقم « ٨ » او
« ٩ » او « ٢ » او « ٣ » ، اعتبر تأخيرها عن الكلمة الاخرى من علامات
هذه العلاقة لانها اذا تقدمت لم تتفق في المد مع الكلمة الاخرى
وذلك مثل :

محمد قام	المحمدان قاما	فاطمة قامت	الفاطمتان قامتا
محمد قائم	المحمدان قائمان	فاطمة قائمة	الفاطمتان قائستان

والاتفاق هنا في المد والجنس . وفي الأمثلة :

قام محمد	قام المحمدان	قامت فاطمة	قامت الفاطمتان
قائم محمد	أقائم المحمدان	أقائمة فاطمة	أقائمة الفاطمتان

نلاحظ ان الاتفاق في الجنس دون العدد ولهذا فانها تعتبر أمثلة
للعلاقة رقم (١) لا للعلاقة رقم (٢) .

ملاحظة : قد تتغير هذه العلاقة بدخول الادوات المسمة « ان

وأخواتها » فتخير العلامة نصب الكلمة الموجودة في الموقع الاول ورفع
الموجودة بالموقع الثاني .

العلاقة رقم (٣) وتكون من ثلاثة مواقع :

الموقع الاول ويوجد فيه احدى الكلمات المعروفة باسم « كان وأخواتها » وهذه الكلمات تسمى لنوع رقم « ٨ » أو « ٩ » أو « ٢ » أو « ٣ » الخ . (شريطة أن تكون مشتقة من نفس المادة) .

والموقع الثاني يوجد فيه احدى الكلمات التي تصلح لأن توجد في الموقع الأول من العلاقة رقم (٢) السابقة .

اما الموضع الثالث فتوجد فيه احدى الكلمات التي تصلح لأن توجد
في الموضع الثاني العلاقة رقم (٢) السابقة .

وفي هذه العلاقة توجد خصائص العلاقات السابقين (رقم ٢٠١) وعلى هذا فسنلاحظ أن علاماتها قريبة من علاماتهم .

في الموقع الاول توجد العلامة التي في الموقع الاول من العلاقة رقم « ١ » فالكلمة على الوزن المسمى بالبني للمعلوم ، كما انها تؤثر اذا كانت الكلمة التي تشغل الموقع الثاني مؤثرة . و كما نقول « قامت فاطمة » نقول « كانت فاطمة ٠٠٠٠ » ، « قام الولدان » و « كان الولدان ٠٠٠٠ » .

وفي الموقع الثاني توجد علامة الرفع .

اما الموضع الثالث فعلامته أن يتفق في العدد والجنس مع الموضع الثاني
كما يتفق الموضع الثاني مع الموضع الاول فيما في العلاقة رقم (٢) ، وأن يكون
منصوباً . وكما نقول « محمد قائم » نقول « كان محمد قائماً » « فاطمة
قائمة » و « كانت فاطمة قائمة » ، الوالدان قائمان » و « كان الوالدان
قائمين » ، « النساء قائمات » و « كانت النساء قائمات » .

ونلاحظ في هذه الأمثلة اتفاق الموضع الثالث والثاني في العلاقة رقم

٣ في المدد والجنس ، كما يتفق الموضع الثاني والواو فيهما في العلاقة
رقم ٢

العلاقة رقم ٤ وت تكون من ثلاثة مواقع :-

الموضع الاول وتشغله احدى الكلمات التي تصرف باسم « ظن »
وأخواتها ٠

الموضع الثاني وتشغله احدى الكلمات التي تشغله الموضع الثاني في
العلاقة السابقة رقم ٣ او التي تشغله الموضع الاول في العلاقة رقم ٢ ٠

الموضع الثالث وتشغله احدى الكلمات التي تشغله الموضع الثالث في
العلاقة السابقة رقم ٣ او التي تشغله الموضع الثاني في العلاقة رقم ٢ ٠

وعلامات هذه العلاقة هي نفس علامات العلاقة السابقة رقم ٣ فيما
عدا أن كلا من الكلمتين اللتين تشغلان الموضع الثاني والثالث تكون منصوبة ٠
هذه أمثلة للعلاقات في العربية الفصحى نكتفي بذكرها لمجرد التمثيل
لا للحصر ٠

العلامات :

العلامة صفة مادية في التركيب توجد عند وجود علاقة ما وتتعدم عند
عدم اندامها ٠ وقد مر ذكر عدد من العلامات التي تميز
العلاقات التي تعرضنا لها ٠ وقد تكون العلامة واحدة لا تتغير بتغير
أنواع الكلمات التي تشغله الموضع ٠ وقد تكون متغيرة بتغير هذه الأنواع ٠
ومن أمثلة العلامات التي لا تتغير ، علامة العلاقة التي يسميها النحاة
بنائب الفاعل وهي رفع الاسم وبناء الفعل للمجهول وتأسیسها ان كان الاسم
مؤثرا ٠

وأغلب العلامات في العربية الفصحى من النوع المتغير ٠ وقد أصاب
النحاة حين جعلوا الاعراب (أى العلامات التي تسدل على العلاقات) أما

بالرفع أو بالنصب أو بالجر أو بالجزم . وقد يكون الرفع ضمة في آخر الكلمة أو واواً كما في المذكر السالم أو الفاء كما في المثنى أو نوناً كما في الافعال الخمسة الخ .

وقد يكون النصب بالفتحة أو بالكسرة كما في جمع المؤنث السالم أو بالياء الممدودة كما في جمع المذكر السالم أو بالياء الساكنة كما في المثنى الخ . وقد يكون الجر بالكسرة أو بالفتحة كما في المنون من الصرف . أو بالياء الممدودة كما في جمع المذكر السالم أو بالياء الساكنة كما في المثنى الخ . وقد يكون الجرم بالسكون أو بحذف النون كما في الافعال الخمسة أو بحذف حرف العلة كما في الفعل المضارع المعتل الآخر الخ .

وقد اقتصر النحو على الرفع النصب والجر والجزم علامات للاعراب .

أما نحن فلا نقف عند هذه العلامات بل انتا تعتبر وزن الفعل وترتيب الكلمات بل النغمة التي تقال بها العبارة أو جزء منها من العلامات التي تميز علاقه عن علاقه أخرى . وقد اتضح فيما مر كل هذا .

الموضع :

نود أن نحذر القارئ من الخلط بين الموضع والموقع ، فالرغم من تشابه اللفظين في المعنى الا انتا تعني بهما أمرين مختلفين . والموضع هو جزء من العلاقة أما الموضع فهو المكان الذي يوضع فيه هذا الجزء الذي نسميه بالموضع . وقد سبق أن شبها الموضع بوعاء ذي شكل معين يمكن أن توضع فيه الاجسام التي يتفق شكلها وشكله . ومن الممكن أن تصور الوعاء المثلث مثلًا وقد وضع قبل الوعاء المربع أو بعده . وفي مثل هذه الحالة أو تلك لا يتغير الوعاء ولا علاقته بالوعاء الآخر بل موضعهما فقط . ولنمثل لكل هذا بأمثلة لتوبيه .

العبارة « ضرب محمد عليا » ، فيها علاقتان علاقه « ضرب » بمحمد

و علاقه « ضرب » بعليا ٠ أو بعبارة أخرى يمكن أن يقال بأن « ضرب » تشغف في العلاقة الأولى موقعاً جرى العرف التحوي على تسميتها بالفعل المسند ، وأن « محمد » يشغل في نفس العلاقة موقعاً جرى العرف على تسميتها بالاسم المسند إليه ٠ وتشغل « ضرب » في نفس الوقت موقعاً من علاقة ثانية ، بينما تشغف « عليا » الموقعاً الثاني من هذه العلاقة الثانية ٠

ولكتنا نلاحظ أن من الممكن أن توضع العبارة على هذا الوضع : « عليا ضرب محمد » أو على هذا الوضع « ضرب عليا محمد » ونلاحظ أن ذلك لا يعني أي تغير في علاقات « ضرب » و « عليا » ولا في العلامات التي تميز كلاً من طرف في هذه العلاقة ٠ ولهذا نحكم بأن الفرق بين « ضرب محمد عليا » و « ضرب عليا محمد » و « عليا ضرب محمد » ليس في العلاقات ولا في الواقع أو العلامات التي في العلاقات بل في ترتيب الموضع ولا أكثر ٠ يو بالتألي نقول بأن الاختلاف بينها اختلاف في الموضع الذي يوجد فيه الموضع الذي تشغله « عليا » ٠

النموذج والتركيب :

النموذج هو الشكل العام الذي تكون عليه علاقة نحوية أو أكثر تكون تعبيراً كاملاً ٠ وبناء على هذا يمكن القول بأن العبارة « ضرب محمد عليا » والعبارة « عليا ضرب محمد » والعبارة « ضرب عليا محمد » إنما هي في الواقع نماذج ثلاثة مختلفة لشيء واحد ٠ ولكن هذه النماذج الثلاثة لم تختلف في عدد العلاقات التي تكون منها وإن كانت قد اختلفت في ترتيب الواقع الي تكون منها هذه العلاقات ٠ ولهذا يمكن أن نقول بأنها نماذج مختلفة لتركيب واحد ٠ وهذا التركيب عبارة عن علاقاتين كل منها تكون من موقعين ٠ وقد شغلت الكلمة « ضرب » الموضع الأول من كل من هاتين العلاقاتين بينما شغلت الكلمة « محمد » الموضع الثاني من العلاقة الأولى والكلمة « عليا » الموضع الثاني من العلاقة الثانية ٠ والنماذج المذكورة هي :

نموذج ١ - الموقع الاول من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الثانية (ضرب محمد علياً) ٠

نموذج ٢ - الموقع الاول من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الثانية + الموقع الثاني من العلاقة الاولى (ضرب علياً محمد) ٠

نموذج ٣ - الموقع الثاني من العلاقة الثانية + الموقع الاول من العلاقة الاولى + الموقع الثاني من العلاقة الاولى (علياً ضرب محمد) ٠

لدينا اذن عدد من المصطلحات التي نراها ضرورية لدراسة قواعد اللغة العربية وسنلخص تعریفاتها فيما يلي :-

١ - التركيب هو علاقة نحوية أو أكثر تكونَ حديثاً لغويَا كاملاً ٠

٢ - النموذج هو الشكل الذي ترتب به مواقع العلاقات في تركيب

معين ٠

٣ - الموضع هو المكان الذي يشغل الموضع في التركيب ٠

٤ - الموقع هو جزء من العلاقة نحوية يتميز بعلامة معينة ٠

٥ - العلامة هي صفة مادية في التركيب ترتبط بموضع معين من علاقة معينة ٠

٦ - العلاقة رابطة تركيبية قائمة بين جزئين أو أكثر من أجزاء تركيب معين ٠ تدل عليها العلامات المادية التي تظهر في هذه الأجزاء ٠

ثالثاً - الصيغة والمعنى

اعتمدنا في تعريف العلاقات التركية على الميزات المادية التي تظهر في صيغها لا على المعاني المستفادة منها ٠ وليس سبب هذا انتباها عنصر المعنى في التعبير اللغوي ، وإنما هو أن الصيغة الواحدة قد تعبّر عن أكثر من معنى واحد أحياناً وأن المعنى الواحد قد يعبّر عنه بأكثر من صيغة واحدة ٠

ومثال ذلك وزن « فَعَلَ » في العربية وهو قد يفيد كثرة وقوع الحدث كما في « قَتَلَ » أي أكثر القتل ، وقد يفيد التعدية ، أي جعل الغير يوقع الحدث كما في « عَلِمَ » أي جعل سواه يتعلم ٠ كذلك نلاحظ أن وقوع الحدث على شخص ، يستفاد من اسناد الفعل المبني للمجهول إلى من وقع عليه الحدث كما في « ضَرَبَ مُحَمَّدَ » أو اسناد الفعل الذي على وزن انفعل إليه كما في « ضَرَبَ مُحَمَّدَ » أو اسناد اسم المفعول إليه كما في « أَمْضَرَبَ مُحَمَّدَ ؟ » الخ ٠ ولهذا السبب يرى علماء اللغة المحدثون ضرورة الاعتماد على الشكل (أي الصيغة) في دراسة قواعد اللغة ، أما المضمون (أي المعنى) فان من الأدق أن يدرس دراسة مستقلة عن دراسة القواعد ٠

وكل من الصيغة والمعنى أمر مستقل عن الآخر ، وذلك بالرغم من تكاملهما في أداء الوظيفة اللغوية ، فالصيغة أصوات مرتبة ترتيباً خاصاً ، أما المعنى فصور ذهنية تدل عليها هذه الأصوات ، وقد تستدعيها أمور خارجية أخرى كما سبق ، أن أشرنا^(١) ٠ وعلى من يدرس معنى تعبير لغوي أن يدخل في اعتباره ضرورة التفريق بين المعاني التي تثيرها الظروف الخارجية والعقلية المحيطة بالمتكلم والسامع وبين المعاني التي ترتبط أساساً بالتعبير اللغوي ذاته ٠ وهذه الأخيرة وحدتها هي المعاني التركية التي تهم اللغوي

(١) انظر ص ٢٨ - ٣٠ و ٤٤ - ٤٦ ٠

بصفة أساسية ومعنى الكلمة مركب من معنى المادة ومعنى الوزن • والقواميس هي المرجع الذي يبين معاني المواد اللغوية ، أما معاني الأوزان فان من واجب من يدرس قواعد اللغة أن يبينها بعد حصر هذه الأوزان •

والى القارئ هذا المثال :-

المادة « ضرب » معناها القاموسي الحدث المسمى بالضرب ، المادة « عخذ » معناها القاموسي الحدث المسمى الاخذ الخ^(١) • وهذه المواد تأتي على الأوزان الآتية :

١ - فَعَلَ أَوْ فَعِيلَ أَوْ فَعْلَ .

ومعنى هذه الأوزان انتهاء الحدث ونسبة الى متكلم أو مخاطب أو أوغائب مذكر أو مؤنث مفرد أو مؤنث أو جم حسب اللواصق التي توجد في نهايته (مثل « فَعَلَتْ » أو « فَعَلَاتْ » أو « فَعَلَالْخ ») .

وتفيد هذه الأوزان كذلك وقوع الحدث على شخص قد يذكر الاسم الدال عليه مثل (ضرب محمد) ولكن « فَعُلَ » لا تفيد هذا المعنى بل ان الحدث فيها صفة ذاتية للشخص الذي صدر منه مثل « كرم محمد » وبهذا لا يقع على سواه •

الخ

٢ - فاعل ، مُفعل ، مُفَعَّل الخ .

معنى هذه الأوزان شخص صدر منه حدث مثل « قائم » و « مكِرِم » و « مُكَرَّم » • وذلك في العربية الفصحى ومختلف لهجاتها •

وليس في هذه الأوزان دلالة زمنية محددة ولكن من الممكن التعبير

(٢) قد يذكر القاموس المعنى بذكر اللفظ الدال عليه في لغة أجنبية أو لهجة خاصة كما لو قيل بأن « الضرب » هو « البسط » في العراقية مثلا .

عن الزمن باستعمال « كان » في مختلف صيغها مع الكلمات التي على هذا الوزن مثل « كان قائما » و « سيكون قائما » الخ .

اذا كانت هذه الأوزان مشتقة من مادة تفيد الحركة أفادت معنى الاستقبال في الفعل الذي يليها وذلك في اللهجة المصرية مثل « أنا نازل . آكل » ، والأكل هنا مستقبل بالنسبة للنزول .

« أنا مسافر اشتري كتب » والشراء مستقبل بالنسبة للسفر .

اذا كانت مشتقة من أفعال تفيد الاستقرار أفادت استمرار الحدث الذي يعبر عنه الفعل الذي بعدها ، وذلك بالنسبة لللهجة المصرية مثل :

أنا آعد (قاعد) آكل ، والأكل هنا مستمر .

أنا وائف (واقف) أشوفه والرؤية هنا مستمرة .

الخ .

وهكذا يستمر الدارس في ذكر كل وزن من الأوزان ويعدد المعاني .

المختلفة التي تستفاد من الكلمات التي تأتي على قياسها .

* * *

أما بالنسبة لتركيبيات اللغة ، فعلى الدارس أن يحصر العلاقات التحوية المختلفة وأن يعين المعاني التي تؤديها هذه العلاقات وذلك مثل :-

١ - العلاقة بين الكلمة الأولى والثانية في مثل + « ضرب محمد » .

(تميز بعلامات معينة سبق ذكرها) .

تستفاد منها المعاني الآتية :

أ - صدور حديث من محدث مثل (ضرب محمد)

ب - اتصاف الشخص بالحدث مثل (مات محمد)

ج - وقوع الحدث على شخص مثل (انضرب محمد)

الخ .

٢ - العلاقة بين الكلمة الاولى والثانية في مثل « محمد اخوك » (سبق ذكر العلامات التي تسيز بها هذه العلاقة) ٠

وستفاد منها المعاني الآتية :

أ - اذا كان كل من الاسمين غير مشتق أفادت النسبة الثابتة مثل « محمد اخوك » ٠

ب - اذا كان الجزء الثاني من العلاقة ظرفاً أو جاراً ومجروراً فقد تفيد النسبة الثابتة مثل « الشمس في السماء » أو النسبة المترتبة مثل « محمد في البيت » ٠

ج - اذا كان الثاني « اسم فاعل » أو « فعل » مبنياً للمعلوم أفادت وقوع المحدث الذي تعبّر عنه الكلمة الثانية من الشخص الذي تعبّر عنه الكلمة الاولى مثل « محمد ضارب » أو اتصاف الشخص بالحدث مثل « محمد ميت » أو وقوع الحدث على الشخص مثل « محمد منضرب » ، ومثل « محمد ضرب » و « محمد مات » و « محمد انضرب » ٠

د - اذا كان الثاني اسم مفعول أو فعل مبنياً للمجهول أفادت وقوع الحدث على الشخص مثل « محمد مضروب » و « محمد ضرب » الخ ٠ ومن هذه الامثلة يظهر اننا لا نُغفل جانب المعنى في التعبير اللغوي بل ندرسه منفصلاً عن دراسة الصيغة ٠ وليس هنا مجال الحديث عما يسببه الخلط بين هذين الجانبيين من مشاكل^(١) ٠

١ - نحيل القارئ الى كتابنا « دراسات نقدية في النحو العربي » وقد تعرضنا لهذه المسألة في تفصيل عند عرض قواعد اللغة العربية ٠

التطور في القواعد

كما تطور اصوات اللغة ومفرداتها تتطور كذلك قواعدها • وقد مر بك أمثلة لتطور الوظيفة النحوية لبعض الكلمات ، مثل « لـت » التي تحولت من الفعل « رأـت » إلى أداة تفيد التمني وتتدخل على الجملة الاسمية فتؤثر تأثيراً نحوياً خاصاً ومثل « بـعـد » في العراقيـة و « أـصـل » في المـصـرـية ، ومـثـل « رـايـح » في المـصـرـية وـالـعـراـقـيةـ التيـ أـصـبـحـتـ مـجـرـدـ أـداـةـ اـسـتـقـبـالـ وـفـقـدـتـ وـظـيـفـتـهاـ النـحـوـيـةـ التـيـ كـانـتـ تـشـارـكـ فـيـهـاـ اـسـمـاءـ الـفـاعـلـ ، وهـكـنـاـ •

وتتطور القواعد أبطأً في الحدوث من تطور الاصوات والمفردات ، ومن ثم فإنه يلاحظ على أوضح صورة عندما تقارن اللغة الفصحى في عصرها القديم باللهجات المعاصرة • وسنقدم للقارئ عدداً من الأمثلة لتطور القواعد في هذا المجال •

أولاً – بناء الكلمة :

لم تلتزم اللهجة المصرية ، مثلاً ، بجميع الموازين الصرفية التي كانت في العربية الفصحى ، بل لقد تخلصت من بعض هذه الموازين وغيّرت بعضها الآخر وزادت موزين جديدة لم تكن في الفصحى كما سترى •

١ - تخلصت المصرية من صيغة المبني للمجهول اكتفاء بوزن « انـفـعـلـ » • ولا يقال في المصرية « ضـرـبـ » بل يقال « انـضـرـبـ » • ولا يقال « أـكـلـ » بل يقال « اـتـاـكـلـ » • ولا « شـرـبـ » بل « اـشـرـبـ » • وليس فيها من صيغ المبني للمجهول سوى بعض أمثلة قليلة غير مضطربة مثل « الـبـلـدـيـ » يـوـكـلـ « أـيـ » يـوـكـلـ « وهذه الصيغة لا تقال في غير هذا المثال فلا تستعمل مثلاً في عبارة « الـلـحـمـ يـوـكـلـ » •

٢ - أصبحت بعض الافعال المبنية للمجهول في الفصحى ، افعالاً

الازمة في المصرية » بعد تغير حركاتها ، مثل « **غلب** » المصرية وهي تناظر « **غلب** » الفصحي و « **أطع** » وهي تناظر « **قطع** » . وقد شاع هذا الوزن في المصرية (**فُعْل**) وهو زن لم يكن موجوداً من قبل في العربية الفصحي وأتت عليه طائفة كبيرة من الأفعال الازمة التي تعبّر عن صفة ثابتة في الفاعل مثل « **زُهُؤ** » بدلاً من « **زهق** » الفصحي و « **كُبُر** » بدلاً من « **كَبِير** » الفصحي و « **صُغْر** » بدلاً من « **صَغْر** » الفصحي .

٣ - تحول وزن « **افتعل** » في الفصحي إلى وزن « **افعْل** » في المصرية بتأثير ظاهرة القلب المكتنّي التي مرت بك ^(١) .

٤ - جد في المصرية طائفة من الأفعال على وزن « **فَنْعَل** » مثل « **زنهر** » أي وقف معدل القامة و « **زنجر** » أي استعصى و « **أنعر** » أي تكبر (وهذه الكلمة تقال أيضاً على هذه الصور « **اتأنَّعَرَ** » فتكون على وزن « **افنْعَل** ») و « **جنزر** » بمعنى أصابه الصدأ الخ .

٥ - جد في المصرية نوع جديد من النسب إلى الأسماء وذلك بالإضافة إلى اللامقة « **جي** » بالإضافة إلى ياء النسب الفصحي . وفي المصرية اقتصرت اللامقة « **جي** » على الاتحاق ببعض الأسماء للدلالة على حرف غير كريمة مثل « **عربجي** » و « **جزميجي** » و « **بلطجي** » . ومن هذه الكلمة الأخيرة ولدت المصرية فعلاً جديداً من الفعل « **بلطج** » وهو فعل ليس عربياً الأصل .

وقد فعلت العراقية ما فعلت المصرية فاحتفظت باللامقة الفصحي (ياء النسب) وأضافت إليها « **جي** » التركية ^(٢) مثل شايجي (أي بائع الشاي) .

(١) انظر ص ١٧٦ .

(٢) الجيم في اللامقة المصرية جيم قاهرية أي ساكن رخوا انجباري مجهور أما في اللامقة العراقية فهي ساكن صلب انجباري « هموس » .

ومن أمثلة استعمال ياء النسب في اللهجتين « عراقي » « مصرى » .

• « شامي » الخ

٦ - المثنى في العربية الفصحى صيغة تأتي عليها الأسماء والصفات

دون قيد أبداً في اللهجات الحديثة فإنها لا تأتي في غير الأسماء الجامدة .

ولهذا فعندما يقع الاسم المثنى في اللهجات الحديثة مبتدأً أو موصوفاً ، فإن

الخبر أو النعت لا يكون على صيغة المثنى بل على صيغة الجمع ومثال ذلك .

١ - فيه ولدين كبار (بالمصرية) وأكوا ولدين كبار (بالعراقية)

٢ - الولدين كبار (بالمصرية) و الولدين كبار (بالعراقية)

أما في العربية الفصحى فيقال

يوجد ولدان كبيران و الولدان كبيران .

والفرق واضح ، فالصفة والخبر في الفصحى على صيغة المثنى

لكون الموصوف والمبتدأ على صيغة المثنى ، أما في اللهجتين العراقية والمصرية

فأنهما على صيغة الجمع بالرغم من كون المبتدأ والموصوف على صيغة

المثنى .

٧ - اداة التأنيث في العربية الفصحى هاء التأنيث كما في « بقرة » .

أو الايف المقصورة كما في « حبل » ، والالف الممدودة كما في « حمراء » .

أما في المصرية والعراقية فإن هذه الاداة لا تكون غير الهاء ، فنقول « بقرة »

و « حبلة » و « حمرة » بلا تفريق .

٨ - نون التوكيد الثقيلة والخفيفة ونون النسوة ، من اللواحق

التي تتحقق آخر الفعل في العربية الفصحى . وقد تخلصت المصرية

والعراقية والسورية - وبقية اللهجات الحديثة فيما اعتقد - من نون .

التوكيده . أما نون الاناث فقد تخلصت منها المصرية ولكنها بقيت في العراقية .

جنا الى جنب مع واو الجماعة التي المذكر . وفي السورية تستعمل النون
للحجع مطلقا سواء كان مذكرا أو مؤنثا .

٩ - استعمال اللامصلة « ات » في اللهجات الحديثة في جمع الاسماء
الاجنبية المقروضة ، مثل « تليفونات » و « تلغرافات » و « ويرات » (في
العراقية بمعنى اسلام) او « موتورات » الخ . والمعروف ان هذه اللامصلة
في العربية الفصحى تستعمل لجمع الاسماء المؤنثة الخ .

ثانيا - التراكيب :

١ - سقوط العلامات الاعرابية من اللهجات الحديثة ولزوم
اوآخرها السكون . وهذا يشمل المتن وجمع المذكر السالم ، حيث لم تعد
اللامصلة التي تلحق بهما تراوح بين الالف والنون في المتن والواو
والنون في الجمع في حالة الرفع والياء الساكنة والنون في المتن ويء المد
والنون في الجمع في حالة النصب والجر . وقد اقتصرت اللهجات الحديثة
على استعمال كسرة طويلة ممالة بعدها نون ساكنة ، لامصلة لازمة للمتن
وكسرة غير ممالة بعدها نون ساكنة ، لامصلة لازمة للجمع ، في جميع
الحالات ولم تفرق في ذلك بين موقع واخر . ولهذا يمكن ان نعمم الحكم
الذى قلنا به من ان سكون اوآخر الكلمات يشمل المتن والجمع السالم .
ومع هذا فان اللهجات الحديثة قد تزيد حركة بعد الاواخر الساكنة
للكلمات في بعض الحالات . وقد تسقط الحركات التي تلي السواكن
الاولى . ولكن زيادة الحركات وسقوطها على هذا النحو ليس معتمدا على
موقع الكلمات في التركيب ، بل على تركيبها المقطعي وموضع النبر فيها
وغير ذلك من الاعتبارات الصوتية . ولهذا فان مجال دراسة هذه الظاهرة
هو علم الاصوات لا علم التراكيب (النحو) . والياب مثلين من العراقية
والمصرية .

أ - « الرئيس عبد الرحمن محمد عارف » . وفي هذا المثال نلاحظ زيادة كسرة بعد نون « الرحمن » وسقوط الحركة التي بعد الميم في « محمد » في العراقية . ولو نطق المثال نفسه باللهجة المصرية لكان « عبد الرحمن محمد » بسكون النون وكسر الميم .

ب - « سعد محمد » . وفي هذا المثال كسرت الدال الأخيرة في « سعد » والكسرة هنا زائدة وسقطت الكسرة التي بعد الميم في « محمد » . والحركة الزائدة في هذين المثالين لا تتناسب مع ما قررناه من لزوم السكون أواخر الكلمات ، لأنها قد أتت لمجرد بعض الاعتبارات الصوتية كما ذكرنا .

٢ - بسقوط الحركات الاعرابية من اللهجات الحديثة انقرضت المفردات التي كانت في الفصحى عوامل اعرابية يرتبط وجودها بوجود هذه الحركات . ولهذا انقرضت من اللهجات الحديثة في عمومها أدوات الجزم مثل « لم » و « لما » و « لا م الأمر وانقرضت أدوات نصب الفعل مثل « لن » و « لأن » وأدوات نصب الاسم ورفعه مثل « ليس » و « لعل » و « كأن » و « لأن » الخ .

وبطبيعة الحال بقيت بعض هذه الأدوات لتدوي وظيفة أخرى في تركيب العبارة غير الاعراب مثل « إن » التي تستعمل استعمال « لأن » المفتوحة في تأويل مصدر ومثل « ما » التي أصبحت اداة النفي في اللهجات الحديثة بصورتها هذه او بعد تغير معين في كل لهجة^(١) .

٣ - سبب سقوط الحركات الاعرابية كذلك لزوم التراكيب ترتيباً ثابتاً . والمعروف أن العربية الفصحى لا تلتزم بترتيب الكلمات في العبارة .

(١) انظر مقالنا « النفي في العربية » المنشور بمجلة كلية الشريعة - بغداد انعدم الاول سنة ١٩٦٥ .

ترتباً معيناً حيث تستعين بالحركات الاعرابية على تمييز الفاعل من المفعول مثلاً • ولذا يمكن أن تقول « زيداً ضرب علي » أو « ضرب زيداً علي » أو « ضرب علي زيداً » معتدلاً في تعين كل من الفاعل والمفعول على رفع أحدهما ونصب الآخر • وبما أن اللهجات الحديثة لا ترفع ولا تنصب فانه من المحتم أن يلتزم كل من الفاعل والمفعول موضعها معيناً لا يتغير ، فنقول « زيد ضرب علي » بتقديم الفاعل على الفعل وتأخير المفعول عنه •

كذلك تتجزأ عن لزوم الكلمة موضعها خاصاً من التركيب امتناع كون خبر المبتدأ جملة فعلية ، حيث أن الاسم المتقدم على الفعل يكون فاعلاً له ولا غير ، ضرورة أنه لا يصح أن تقول « ضرب على » و « على ضرب » مع اتحاد المعنى في المثالين لأن المثل الاول يعني أن « على » مفعول أما الثاني فيعني أنه فاعل •

٤ - في العربية الفصحى ، يتحتم تقديم الخبر اذا كان ظرفاً او جاراً و مجروراً وكان المبتدأ نكرة ، مثل « في الدار رجل » • وهذه القاعدة لا وجود لها في اللهجات الحديثة (على الأقل في العراقية والمصرية) وال伊拉克ية تستعمل الكلمة التي ابتكرتها لتؤدي معنى « كان » التامة وهي « أكوا » فنقول « أكوا رجال بالدار » ، بينما تستعمل المصرية « فيه » لفظ الغرض فنقول « فيه راجل في البيت » •

٥ - عدم استعمال أن المصدرية قبل الفعل حتى تكون وما بعدها مفعولاً لفعل أو اسم مشتق سابق ، كما هو المفروض في العربية الفصحى في مثل « أريد أن اسافر » •

وفي العراقية تكون الجملة « أريد اسافر » وفي المصرية تكون « عاوز اسافر » دون وجود أن المصدرية •

أما فيما يتعلق بأن المفتوحة التي تستعملها الفصحى لتأويل الجملة

الاسمية بمصدر فان اللهجات الحديثة تستعمل « إن » المكسورة بدلا منها ولذا يقال في الفصحي « عرفت أن محمدًا مسافر » . وتقال هذه العبارة في العراقية « عِرِفت إِنْ مُحَمَّد مَسَافِر » وفي المصرية « عِرِفت إِنْ مُحَمَّد مَسَافِر » باستعمال « إِنْ » المكسورة فيهما . الخ . . .

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة لتطور قواعد بناء الكلمة وتركيب العبارة في اللغة . وأمام الباحث مجال واسع لتبسيع هذه الفوادر بالدراسة الواقية .

خاتمة

قصدنا بكل ما ذكرناه من قبل أن نؤكد ضرورة دراسة اللغة من جانبين مستقلين ، دراسة واقعها أي ظواهرها المختلفة في عصر معين وكيف يكمل بعضها بعضا ، وهي الدراسة التي يطلق عليها اسم (Synchronic) ودراسة تاريخ كل ظاهرة على حدة وهي التي يطلق عليها اسم (Diachronic)

ومثال الدراسة الأولى ، دراسة الانواع المختلفة للكلمة في العربية الفصحى في العصر الحديث مثلا وكيف ترکب منها الجمل . أو دراسة أصوات اللهجة العراقية وما يمكن منها أن يقع في اول الكلمة دون آخرها وما يحدث لها بجوار الأصوات المفخمة الخ .

ومثال الدراسة الثانية دراسة ظاهرة الشتية ، كيف كانت في السامية الاولى وكيف كانت في اللغات السامية القديمة ثم في العربية ولهجاتها الحديثة الخ^(١) . أو دراسة ظاهرة التفخيم في السامية الاولى واللغات السامية والعربية ولهجاتها الخ .

كذلك قصدنا أن نؤكد أن اللغة ظاهرة واحدة تتكامل فيها اللغة الفصحى ولهجاتها جميا . وقد يتوجس البعض خيفة من أن دراسة اللهجات قد تؤدي إلى اضعاف الفصحى . ونحن هنا نفرق بين الدعوة لاستعمال اللهجات الحديثة في مجالات الثقافة والعلم وبين دراسة هذه اللهجات . وعالم الاجتماع يدرس الرذائل ولكنه لا يدعو إليها . وكل ما نريد أن نؤكد في هذه الخاتمة هو أن اللغة الفصحى تمثل جانبا واحدا من جوانب العربية ولن يكتمل فهمنا لاسرار لغتنا إلا بالاحاطة بها في جميع

(١) انظر « بحث مقارن في التثنية » ص ٧٦ - ٩٥ من دراسات في اللغة المدكتور ابراهيم السامرائي بغداد ١٩٦١ .

مظاهرها ٠ ومن ثم فان الضرورة ملحة في أن تتعاون الجامعات العربية
ومجتمع اللغة و مختلف الهيئات العلمية في جمع التراث اللغوي في اللهجات
المعاصرة و دراسته و مقارنته بالتراث اللغوي الذى بقى لنا في لغة القرآن
والحديث والشعر ، حتى تتم الصورة الكبرى للغتنا العربية ٠

ولا تزال المكتبة العربية فقيرة في مثل هذه الدراسات التي ينبغي أن
نهم نحن بها بعض الاهتمام الذي يوليه المستشرقون إليها ٠ ليس للعربية
قاموس لتاريخ اللفاظ حتى اليوم ، وليس لاغلب اللهجات العربية قواميس
او قواعد سوى ما كتبه عنها بعض المستشرقين ٠ واصوات العربية الفصحى
لم تدرس حتى اليوم ، بل إن قواعدها لم تعالج بعد بقلم ناقد ٠

ومثل هذه المجالات الواسعة لا تزال تتطلب البحث والدراسة ٠ واني
أرجو أن أكون بما قدمت في هذه المحاضرات ، قد أقيمت بعض الضوء على
جوانب المشكلة وأوضحت الطريق بعض الإيضاح أمام من يريد اتباع المنهج
التحليلي الحديث ٠

أهم المراجع^(١)

اولا - المراجع العربية :

- ١ - ابن الأثير (المبارك بن محمد بن محمد الجوزي) النهاية في غريب الحديث
- ٢ - ابن الجوزي (أبو الفرج) غريب الحديث
- ٣ - ابن الجوزي (أبو الفرج) لحن العامة
- ٤ - ابن الخراط (عبد الحق الأشبيلي) معجم غريب القرآن والحديث في ٢٥ جزءا
- ٥ - ابن الشعيب (يعقوب الجمحي) كتاب الألفاظ
- ٦ - ابن جنبي (أبو الفتح عثمان) الخصائص
- ٧ - ابن دريد (محمد بن الحسن) الملا حن (في الكلمات التي تصرف إلى معنى ولها في اللغة معنى آخر أراده المتكلم)
- ٨ - ابن سيده (علي بن اسماعيل) المخصص
- ٩ - ابن فارس (أبو الحسين احمد) الصاحبي في فقه اللغة
- ١٠ - ابن كمال باشا ، غلطات العوام
- ١١ - أبو عبيدة (معمر بن المثنى) لحن العامة
- ١٢ - احمد تيمور باشا معجم اللغة العالمية (مخطوط بالخزانة التيمورية)
- ١٣ - احمد تيمور باشا الامثال العالمية طبع ١٩٤٩
- ١٤ - احمد تيمور باشا ، الكتابات العالمية طبع سنة ١٩٥٤

(١) نذكر هنا أهم المراجع العربية والافرنجية التي قد يحتاج إليها من يريد الاستزادة من الدراسات التي تعرضا لها في هذا الكتاب ، والمراجع العربية في عمومها خاصة بالبحث في اللغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة . أما المراجع الافرنجية فان أغلبها خاص بمناهج البحث في اللغة ، أصواتها ونمطاتها وتراثها . وقد استفينا في ذكر المراجع العربية بما ورد في كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي .

١٥- الانباري (ابو بكر محمد القاسم) كتاب الاضداد

١٦- الشعالي (ابو منصور عبدالله بن محمد) فقه اللغة

١٧- الجواليني (ابو منصور موهوب بن احمد) المعرف من الكلام
الاعجمي ، طبع دار الكتاب القاهرة

١٨- الجواليني (ابو منصور موهوب بن احمد) التكملة فيما تلحن به
العلامة

١٩- الحلبي (محمد التهالي) شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من
الدخليل *

٢٠- الدمشقي (محمد الامين المحيي) قصد السبيل فيما في العربية من
الدخليل

٢١- الدينوري (ابن حنيفة احمد ابن داود) لحن العامة

٢٢- التزبيدي (ابو بكر محمد بن الحسن) لحن العامة

٢٣- الزمخشري (ابو القاسم محمود) الفائق في غريب القرآن

٢٤- السجستانی (سہیل بن محمد) غریب القرآن

٢٥- السجستانی (سہیل بن محمد) لحن العامة

٢٦- السامرائي (دكتور ابراهيم) دراسات في اللغة بغداد ١٩٦١

٢٧- السامرائي (الدكتور ابراهيم) الاعلام العربية بغداد ١٩٦٤

٢٨- السعران (دكتور محمود) علم اللغة - مقدمة للقاريء العربي ،
دار المعارف - القاهرة

٢٩- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) المزهر في علوم اللغة وانواعها

٣٠- الصباغ (ميخائيل الصباغ السوري المتوفي سنة ١٨١٦) اللغة العربية
العامية في مصر والشام

٣١- العسكري (ابو هلال حسن بن عبدالله) لحن المخاصة

٣٢- الفغالي (ميخائيل) دروس في سريانية لبنان وعربته العامية ، طبع
باريس ١٩١٨

٣٣- الكسانى (ابو الحسن حمزة) لحن العامة

٣٤- المغربي (الشيخ عبدالقادر) الاشتقاد والتعريف

٣٥- النورى (محى الدين) تهذيب الاسماء واللغات

٣٦- الياس بقطر القبطي معجم في اللغات العامية لمصر والشام والمغرب وتونس (طبع في مصر سنة ١٨٧٢)

٣٧- أنيس (دكتور ابراهيم) من اسرار اللغة

٣٨- أنيس (دكتور ابراهيم) الاصوات اللغوية

٣٩- أنيس (دكتور ابراهيم) في اللهجات العربية

٤٠- ايوب (دكتور عبدالرحمن) اللغة بين الفرد والمجتمع ، القاهرة ١٩٥٤

٤١- ايوب (دكتور عبدالرحمن) دراسات نقدية في التحوّل العربي ، القاهرة ١٩٥٧

٤٢- ايوب (دكتور عبدالرحمن) أصوات اللغة ، القاهرة ١٩٦٢

٤٣- ايوب (دكتور عبدالرحمن) التطور اللغوى ١٩٦٤

٤٤- ايوب (دكتور عبدالرحمن) النهي في العربية (مجلة كلية الشريعة بجامعة بغداد العدد الأول ١٩٦٥)

٤٥- حسان (دكتور تمام) مناهج البحث في اللغة ، القاهرة

٤٦- حسان (دكتور تمثم) اللغة بين المعيارية والوصفيّة ، القاهرة

٤٧- حسن توفيق (المتوفى سنة ١٨٩٩) أصول الكلمات العامية

٤٨- حفيظ ناصف مميزات لغة العرب وترجمة اللغات العامية عليها

٤٩- زيدان (جورجي) الفلسفة اللغوية

٥٠- علي عبدالواحد وافي علم اللغة

٥١- علي عبدالواحد وافي فقه اللغة

٥٢- ولفسن (الدكتور اسرائيل) تاريخ اللغات السامية

٥٣- يوهان فك ، العربية ، ترجمة الدكتور عبدالحليم التجار ، القاهرة

١٩٥١

Bach, "An Introduction to Transformational Grammars", U. S. A., 1964.

Birkeland, H., "Growth and Structure of the Egyptian Arabic Dialect" (English Translation), Oslo, 1952.

"Stress Patterns In Arabic", Oslo, 1954.

Bloch, B., and Trager, G. L., "Outline of Linguistic Analysis", Baltimore, 1962.

Bloomfield, L., "Language", London, 1962.

Chomsky, N., "Syntactic Structures", the Hague, 1956.

"The Logical Structure of Linguistic Theory", (Mimeographed), Georgetown, 1955.

Cowan, W. G., "A Reconstruction of Proto-Colloquial Arabic", London, 1960.

Delattre, P., "The Physiological Interpretation of Sound Spectrograms", U. S. A., 1951.

Dixon, R. M. W., "Linguistic Science and Logic", the Hague, 1963.

Elson, Benjamin, and Pickett, Velma, "An Introduction to Morphology and Syntax", California, 1964.

Ferguson, Charles, A., "The Arabic Koine", Published in "Language", 1959.

Firth, "Papers on Linguistics", Oxford, 1957.

Fletcher, Harvey, "Speech and Hearing in Communication", Princeton, 1953.

Garbell, I., "Remarks on the Historical Phonology of An east Mediterranean Dialect", Published in "Word".

Gardener, Allen, "Speech and Language", Oxford, 1960.

Gimson, A. C., "An Introduction to the Pronunciation of English," London, 1962.

Gray, L. H., "Foundation of Language", New York, 1958.

"Introduction to Semitic Comparative Linguistics", New York, 1934.

Greenberg, J. H., "Essays in Linguistics" Chigago, 1958.

"The Patterning of Root Morphemes in Semitic", Published in "Language".

Harrell, Richard, S., "The Phonology of Colloquial Egyptian Arabic", New York 1957.

Harris, Z. S., "Methods in Structural Linguistics", 1952.

Heffner, R. M. S., "General Phonetics" Wisconsin, 1949.

Hjelmstev, L., "Prolegomena to A Theory of Language", Baltimore, 1953.

Hockett, C. F., "A Manual of Phonology", U. S. A., 1955.

(International Journal of American Linguistics).

International Phonetic Association, "The Principles of The International Phonetic Association", London, 1949.

Jakobson, R., Fant, C. G. M., Halle, M., "Preliminaries to Speech Analysis", Massachusetts, 1952.

Jespersen, Otto, "Language, Its Nature, Development and Origin", London, 1959.

"Mankind, Nation and Individual", London, 1946.

Jones Daniel, "An Outline of English Phonetics", London, 1956.

"The Phoneme; Its Nature and Use", London, 1950.

Joos, M., "Accoustic Phonetics", 1948.

“Readings in Linguistics”, New York, 1958.

Lehmann, Winifred P., “Historical Linguistics: An Introduction”, U. S. A., 1963.

MacCarthy, P. A. D., “English Pronunciation”, London, 1952.

Martinet, A., “Phonology as Functional Phonetics”, London, 1949.

“Economies des Changements Phonetiques”, Berne, 1955.

Merrifield, W. R., Naish, C. M., Bensch, C. R., Story, G., “Laboratory Manual for Morphology and Syntax”, California, 1962.

Mitchell, T. F., “Egyptian Colloquial Arabic”, London, 1960.

Pedersen, “The Discovery of Language”, Harvard, 1962.

Pike, K. L., “Phonetics”, Michigan, 1943.

Rabin, C., “Ancient West Arabian”, London, 1951.

“The Beginnings of Classical Arabic”, Studia Islamica, No: IV, Paris, Mclmv.

Sapir, Edward, “Language”, New York, 1921.

Saussure, F. de, “Cours De Linguistique Générale”, Paris, 1949.

Troubetzkoy, N. S., “Principes De Phonologie”, Paris, 1949.

Vandryes, “Language”, (English Translation) London, 1959.

Wright, “Arabic Grammar”, London, 1955.

Yushmanov, N. V., “The Structure of The Arabic Language” (English Translation) Washington D. C. 1961.

موضوعات الكتاب

١ - المدخل

فقه اللغة وعلم اللغة ٩ - ١

نشأة اللغة عند الإنسان ٩ - ٩

عند الاغريق - اتباع دارون - نظرية التقليد - نظرية صرخات الانفعال - لغات البدائيين - لغة الطفل - طريقة المقارنة واللغات النموذج ٠

ما هي اللغة ٢٠ - ٣٣

النشاط الفطري والنشاط المكتسب - اللغة نشاط عضوي ذهني - اللغة والكلام والحدث اللغوي - اللغة والفرد - العملية العقلية في اللغة - علم الاعصاب وعلم النفس - التصور والاستدعاة والخطأ في الربط الرمزي - الجانب الفيزيائي في الكلام ٠

اللغة والمجتمع ٣٩ - ٣٤

المجتمع أفراد بينهم روابط - اللغة رابطة الجماعة اللغوية - اللهجات الزمانية - اللهجات الأقلبية - اللهجات الطبقية - اللغة المشتركة ٠

الظروف الاجتماعية واللغة ٤٠ - ٤٦

أولا - الظروف المادية :

نشأة المدن الكبرى - الاحداث السياسية - تغير مستوى الحياة المادي ٠

ثانيا - الظروف العقلية :

الآراء والمعتقدات وأثرها في اللغة ٠

ثالثا - الظروف الكلامية

العائلات اللغوية ٤٧ - ٥٥

الصفات المشتركة بين أفراد عائلة لغوية واحدة - التشابه في النظم

الصوتية - التشابه في النظام الصرفي - خضوع الاختلافات لقواعد معينة .
العائلة اللغوية السامية - هجرة الاكاديين - هجرة الكنعانيين - هجرة
الآراميين - الموجة الحبشية - الموجة العربية .

اللغة العربية ٥٦ - ٨٢

اللهجات القديمة - العربية الفصحى - أصلها - آراء اللغويين
العرب - آراء المستشرقين - رأي متحامل - مراحل نمو اللغة العربية -
مرحلة الشعر الجاهلي - مرحلة القرآن والحديث - مرحلة الادارة والعلم -
اللهجات الحديثة - الهجرات العربية بعد الاسلام - كيف نشأت اللهجات
الحديثة - رأى « فك » - رأى « فيرجسون » .

ب - مادة اللغة

اولا - الاصوات :

اعضاء النطق ٨٥ - ٩٤

الرئتان - القصبة الهوائية - الحنجرة والاوتنار الصوتية - لسان
المزمار - البلعوم - اللهاة - التجويف الانفي - اللسان - سقف الحنك ،
الثلة - السقف الصلب - السقف الرخو - اللهاة - الاسنان - الشفتان .

كيف تنتج الاصوات ٩٤ - ١١٤

طرق التدخل في مجرى الهواء - وصف الاصوات الناتجة عن انواع
التدخل المختلفة - السواكن المخمة - الحركات - الحركات المزدوجة
وانصاف الحركات .

الرموز الصوتية ١١٥ - ١٢٢

رموز عربية الى جانب الرموز الرومانية - الرموز الثانوية - ملاحظات
على طريقة استعمال الرموز العربية الصوتية .

الاصوات العربية ١٢٢ - ١٣٩

الاصوات العربية كما وصفها سيبويه - مأخذ على سيبويه وتفسير

وجهة نظره - مقارنة بين الاوصوات في الفصحي واللهجات القديمة
والحديثة .

المقاطع ١٤٤ - ١٤٥

قوه انتقال الصوت - القواعد والقمن - أشكال المقاطع - أمثلة من
العراقية والمصرية .

النبر ١٤٨ - ١٤٩

معنى النبر - قواعد النبر في العراقية والمصرية .
ثانياً - المفردات :

مصادر المفردات ١٥١ - ١٦٤

في اللهجات القديمة - في العربية الفصحي - في اللهجات الحديثة -
دخول « ال » الموصولة على الافعال في اللهجة العراقية ، أصل ضمير
المخاطب المتصل ، « أعطى » و « وأنطى » « اد لعدي » المصرية ، « متروس »
المصرية « سيه » المصرية ، الفعل « أشل » في المصرية ، « ليت »
و « رأيت » ، « انّ » و « بعد » و « اصل » .

الاشتقاق ١٦٥ - ١٧٠

المادة والوزن - المواد المجردة والمسيرة - الاشتقاق من المادة
الاسمية - الاوصوات التي تتكون منها المادة .

القلب المكاني ١٧١ - ١٧٧

العامل النفسي - أمثلة من المصرية والعراقية - القلب المكاني وموازين
الكلمات .

التغيرات الصوتية ١٧٨ - ١٨٧

الاختلاف في التفخيم - « برقالة » في المصرية - « ورقة » في
العراقية - « قتل » في العراقية - كلمات العدد المركب في المصرية -
الضمة الطويلة في آخر الكلمة - هاء السكت - الفعل « نده » و « نادى »
في المصرية .

تحقيق الصيغ ١٨٨ - ١٩٥

الدافع الاجتماعي والدافع التركيبي - الصيغ المخففة وتحقيق الصيغ - «أكوا» في العراقية ، «فدا» في العراقية ، «رایح» و «ح» في العراقية والمصرية .

تدخل الصيغ ١٩٦ - ١٩٩

«زأ» في المصرية - «عاؤ بالك» في المصرية - «وياك» في المصرية والعراقية - «مال» في المصرية والعراقية والسورية - «جاب» في المصرية والعراقية وسواهما .

القرض اللغوي ٢٠٠ - ٢٠٩

أمثلة لاقتراض العربية الفصحى من الفارسية واليونانية والجنسية وسواها - مفردات عربية في اللغات الأوروبية - تأثير المفردات المفترضة في اللغة - تأثير المفردات المفترضة ، أمثلة من المصرية والعراقية - اقتراض اللهجات من اللغة الفصحى - القرض المركب .

ثالثاً قواعد اللغة :

بناء الكلمة :

الفرد والنوع والجنس - الصوت والصوتيم - الصرفيم - اللصق - الوزن أو النموذج الصرفي - التبادل - التكامل (أمثلة لكل ما ذكر من قواعد بناء الكلمة في العربية) .

تركيب الجمل :

أنواع الكلمات - العلاقات التحوية - أجزاء العلاقة - أمثلة للعلاقات من قواعد اللغة العربية - الموقع - العلامة - الموضع - النموذج - التركيب . الصيغة والمعنى .

التطور في القواعد :

اولاً - بناء الكلمة (أمثلة من اللهجات الحديثة) .
ثانياً - التراكيب (أمثلة من اللهجات الحديثة) .
خاتمة .

